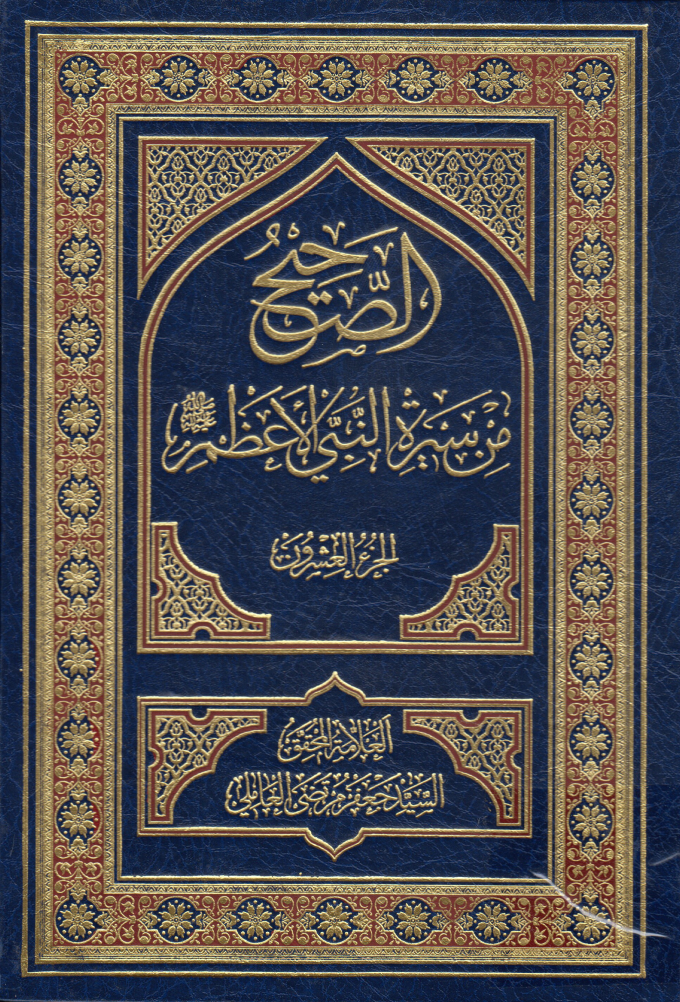
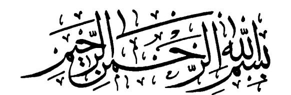
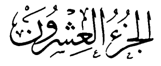

الصحيح
من سيرة النبي الأعظم ﷺ
الجزء العشرون
العلامة المحقق
السيد جعفر مرتضى العاملي


بسم الله الرحمن الرحيم




الصحيح
من سيرة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم


العلامة المحقق
السيد جعفر مرتضى العاملي


الجزء العشرون

الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ

(الجزء العشرون)

للعلامة المحقق السيد جعفر مرتضى العاملي

الناشر: دارالحديث للطباعة والنشر

المطبعه: دارالحديث

الطبعة: الثانية / ١٤٢٨ هـ ق ـ ٢٠٠٧ م ـ ١٣٨٦ هـ ش

عدد المطبوع: ١٠٠٠ دورة





قم، شارع معلم، قرب الساحة الشهداء، الرقم ١٢٥

الهاتف: ٧٧٤٠٥٤٥ ـ ٧٧٤٠٥٢٣ ـ ٠٢٥١ ٧٧٤٠٥٢٣ / فاكس: ٠٢٥١ ٧٧٤٠٥٧١ / ص.ب ٣٧١٨٥ / ٤٤٦٨

لبنان ـ بيروت ـ حارة حريك ـ خلف الضمان الاجتماعي ـ بناية فروزان. تلفاكس: ٠٠٩٦١ ـ ١ ـ ٢٧٢٦٦٤

BEIRUT - LEBANON Haret Herik Behind Center Forozan Bldg TeleFax: + 961 1 272664

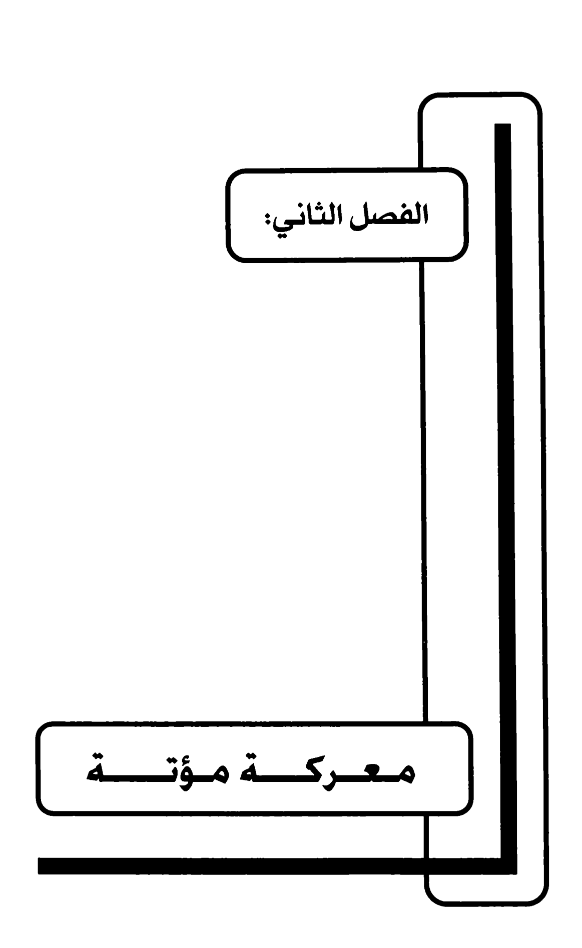
http://www.hadith.net

hadith@hadith.net

ISBN (SET): 978 - 964 - 493 - 171 - 0

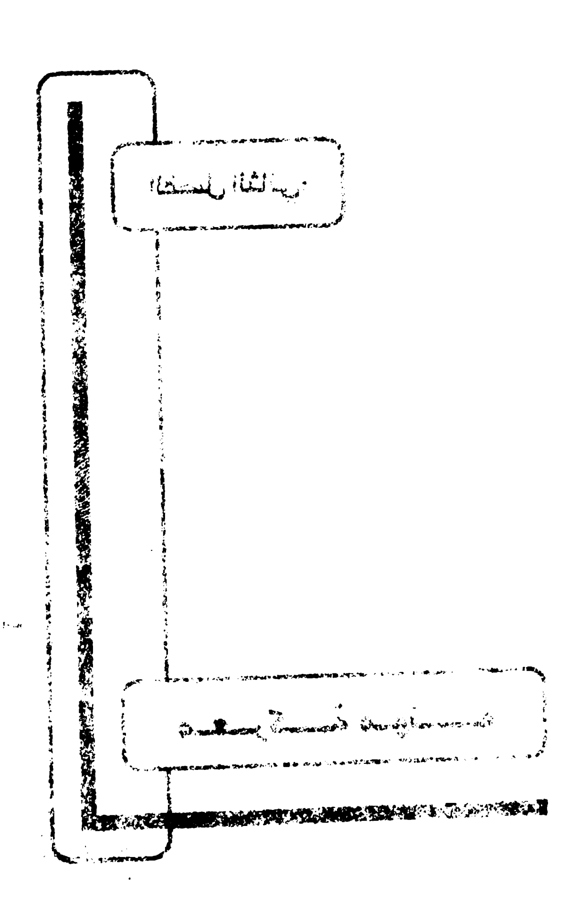
ISBN: 978 - 964 - 493 - 192 - 5





الفصل الثاني:

معـــركـــة مـؤتـــة


الفصل الثاني

المسلمون في مؤتة:

قالوا: ولما فصل المسلمون من المدينة سمع العدو بمسيرهم، فتجمعوا لهم، وقام فيهم شرحبيل بن عمرو، فجمع أكثر من مائة ألف، وقدم الطلائع أمامه[1].

فلما نزل المسلمون وادي القرى، بعث أخاه سدوس بن عمرو في خمسين من المشركين، فاقتتلوا. وانكشف أصحاب سدوس، وقد قتل، فشخص أخوه ـ وعند الواقدي: «وخاف شرحبيل بن عمرو، ودخل حصناً فتحصن، وبعث أخاً له يقال له: وبر بن عمرو»[2] ـ إلى هرقل يستمده، فبعث هرقل زهاء مائتي ألف[3].

---

(١) راجع: الروض الأنف ج٤ ص١٣٢ وسبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٤٨ والسيرة الحلبية ج٢ ص٦٦ و ٦٧ والطبقات الكبرى لاين سعد ج٢ ص١٢٩ وعن تاريخ مدينة دمشق ج٢ ص١٣.

(٢) المغازي للواقدي ج٢ ص٧٦٠ وتاريخ الخميس ج٢ ص٧١ وسبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٤٨ والبحار ج٢١ ص٦١ وعن تاريخ مدينة دمشق ج٢ ص١٣.

(٣) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٤٨ وتاريخ الخميس ج٢ ص٧١.

المسلمون في مواجهة هرقل:

ومضى المسلمون حتى نزلوا مُعان من أرض الشام. وبلغ الناس أن هِرقل قد نزل مآب من أرض البلقاء في مائة ألف من الروم، وانضم إليهم مائة ألف أخرى من لَخْم وجُذام، وبكر ووائل، وقبائل قضاعة من بلقين، وبهراء، وبليٍّ، عليهم رجل من بليٍّ، ثم أحد بني إراشة، يقال له: مالك بن رافلة.

وقيل: كانوا مائتي ألف من الروم وخمسين ألفاً من قبائل العرب المتنصرة، ومعهم من الخيول والسلاح ما ليس مع المسلمين.

فلما بلغ ذلك المسلمين أقاموا على معان ليلتين يفكرون في أمرهم، وقالوا: نكتب إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» فنخبره بكثرة عدونا، فإما أن يمدنا بالرجال، وإما أن يأمرنا بأمر فنمضي له.

فشجع الناس عبد الله بن رواحة، فقال: «يا قوم، والله، إن التي تكرهون، للتي خرجتم تطلبون: الشهادة. وما نقاتل الناس بعدد، ولا قوة، ولا كثرة، وما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به، فانطلقوا، فإنما هي إحدى الحسنيين، إما ظهور، وإما شهادة، وليست بشرِّ المنزلتين».

فقال الناس: صدق والله ابن رواحة[1].

---

(١) أسد الغابة ج٣ ص١٥٨ وعن إعلام الورى ج١ ص٢١٢ و ٢١٣ وتاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٣١٩ وتاريخ مدينة دمشق ج٢ ص٧ و ٨٣ وج٢٨ ص١٢٤ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٤٥٨ وعيون الأثر ج٢ ص١٦٦ والسيرة النبوية لابن هشام ج٣ ص٨٣١ ومجمع الزوائد ج٦ ص١٥٨ وسبل الهدى =

فمضى الناس حتى إذا كانوا بتخوم البلقاء لقيتهم جموع هرقل، من الروم والعرب، بقرية من قرى البلقاء، يقال لها: مشارف[1].

في المواجهة:

ثم دنا العدو، وانحاز المسلمون إلى قرية يقال لها: مؤتة. فالتقى الناس عندها، فتعبأ لهم المسلمون[2].

وروى أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم، ومحمد بن القرَّاب في تاريخه، عن برذع بن زيد، قال: قدم علينا وفد رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى مؤتة، وعليهم زيد بن حارثة، وجعفر بن أبي طالب، وعبد الله بن رواحة، وخرج معهم

= والرشاد ج٦ ص١٤٨ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج٢ ص٧٨٧ وراجع: النص والإجتهاد ص٣٠ والدرر لابن عبد البر ص٢٠٩ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٢ ص٤٨١ والبداية والنهاية ج٤ ص٢٧٧ والكامل في التاريخ لابن الأثير ج٢ ص٢٣٥ والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج٢ ق٢ ص٤١.

(١) تنسب إليها السيوف المشرفية، حيث يقال: إنها طبعت لسليمان «عليه السلام» بها. راجع: مجمع البلدان ج٥ ص١٣١ و ٢٢٠ وعن تاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٣٢١ وعن البداية والنهاية ج٤ ص٢٧٨ وعن السيرة النبوية لابن هشام ج٣ ص٨٣٢ وعن عيون الأثر ج٢ ص١٦٦ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٤٦٠ وسبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٤٨ والبحار ج٢١ ص٥٦ وإعلام الورى ج١ ص٢١٣.

(٢) راجع: مجمع الزوائد ج٦ ص١٥٨ وعن تاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٣٢١ وعن البداية والنهاية ج٤ ص٢٧٨ وعن السيرة النبوية لابن هشام ج٣ ص٨٣٢ وعن عيون الأثر ج٢ ص١٦٧ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٤٦٠ وسبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٤٨.

منا عشرة إلى مؤتة، يقاتلون معهم. قد كان رسول الله «صلى الله عليه وآله» نهاهم أن يأتوا، فركبت القوم ضبابة، فلم يبصروا حتى أصبحوا على مؤتة.

وروى محمد بن عمر، عن أبي هريرة قال: «شهدت مؤتة، فلما دنا العدو منا رأينا ما لا قِبل لأحد به من العَدد والعُدد، والسلاح والكراع، والديباج والحرير، والذهب، فبرق بصري، فقال لي ثابت بن أقرم: يا أبا هريرة، كأنك ترى جموعاً كثيرة.

قلت: نعم.

قال: إنك لم تشهد معنا بدراً، إنَّا لم ننصر بالكثرة»[1].

قال ابن إسحاق: وتعبأ المسلمون للمشركين، فجعلوا على ميمنتهم رجلاً من عذرة، يقال له: قطبة بن قتادة، وعلى ميسرتهم رجلاً من الأنصار يقال له: عباية بن مالك.

[قال ابن هشام]: ويقال له: عبادة بن مالك[2].

---

(١) شرح النهج للمعتزلي ج١٥ ص٦٧ وشجرة طوبى ج٢ ص٢٩٩ وتاريخ مدينة دمشق ج٢ ص١٤ وج١١ ص١٠٨ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٢ ص٤٨٢ والبداية والنهاية ج٤ ص٢٧٨ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٤٦١ وسبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٤٨ والبحار ج٢١ ص٦١ وإمتاع الأسماع ج١ ص٣٤٠ وشرح النهج للمعتزلي ج١٥ ص٦٧ والإصابة ج١ ص٥٠٠.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٤٨ والمغازي للواقدي ج٢ ص٧٥٩ و ٧٦٠ وراجع: السيرة الحلبية ج٣ ص٦٦ و ٦٧ وتاريخ الخميس ج٢ ص٦١ والبحار ج٢١ ص٥٥ و ٥٦ و ٧١ ومقاتل الطالبيين ص٧ ومجمع الزوائد ج٦ ص١٥٩ والمعجم الكبير ج٥ ص٨٥ وعن تاريخ مدينة دمشق ج٢٦ ص٤٦٢ وج٤٩ ص٣٣٦ وعن أسد الغابة =

استشهاد القادة:

قال ابن عقبة، وابن إسحاق، ومحمد بن عمر: ثم التقى الناس، واقتتلوا قتالاً شديداً.

فقاتل زيد بن حارثة براية رسول الله «صلى الله عليه وآله» حتى شاط في رماح القوم.

ثم أخذها جعفر بن أبي طالب، فقاتل بها حتى إذا ألحمه القتال اقتحم عن فرس له شقراء، فعرقبها.

ثم قاتل القوم حتى قتل.

فكان جعفر أول رجل من المسلمين عرقب فرساً له في سبيل الله[1].

وروى ابن إسحاق، عن عباد بن عبد الله بن الزبير، قال: حدثني أبي الذي أرضعني، وكان أحد بني مرة بن عوف، وكان في غزوة مؤتة، قال: والله، لكأني أنظر إلى جعفر حين اقتحم عن فرس له شقراء، ثم عقرها، ثم قاتل حتى قتل، وهو يقول:

= ج٣ ص١١٤ وعن الإصابة ج٥ ص٣٤٠ وعن تاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٣٢١ وعن البداية والنهاية ج٤ ص٢٧٨ وعن السيرة النبوية لابن هشام ج٣ ص٨٣٢ وعن عيون الأثر ج٢ ص١٦٧ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٤٦٠.

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٤٨ والمغازي للواقدي ج٢ ص٧٦١ والسيرة الحلبية ج٣ ص٦٧ وتاريخ الخميس ج٢ ص٧١ والبحار ج٢١ ص٥٠ و ٥١ و ٥٤ و ٦١ و ٦٢ وعن أمالي الطوسي ص٨٧ و ٨٨ وعيون الأثر ج٢ ص١٦٧ وشرح النهج للمعتزلي ج١٥ ص٦٩ ومقاتل الطالبيين ص٧ وتاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٣٢١ والسيرة النبوية لابن هشام ج٣ ص٨٣٣.

يا حبذا الجنة واقترابها … طيبة وبارداً شرابها

والروم روم قد دنا عذابها … كافرة بعيدة أنسابها

علي إذ لاقيتها ضرابها

وهذا الحديث رواه أبو داود من طريق ابن اسحاق، ولم يذكر الشعر[1].

وفي حديث أبي عامر عند ابن سعد: أن جعفراً «رحمه الله» تعالى لبس السلاح، ثم حمل على القوم، حتى إذا همَّ أن يخالطهم رجع فوحَّش بالسلاح، ثم حمل على العدو، وطاعن حتى قتل.

قال ابن هشام: وحدثني من أثق به من أهل العلم: أن جعفر بن أبي طالب أخذ اللواء بيمينه فقطعت، فأخذه بشماله فقطعت، فاحتضنه بعضديه حتى قتل «رحمه الله» تعالى، وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة. فأثابه الله بذلك جناحين في الجنة يطير بهما حيث شاء.

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٤٩ وتاريخ الخميس ج٢ ص٧١ ومجمع الزوائد ج٦ ص١٥٩ والسيرة النبوية لابن هشام ج٣ ص٨٣٣ والبداية والنهاية ج٤ ص٢٧٨ و ٢٧٩ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٤٦١ وسنن أبي داود ج١ ص٥٨٠ وراجع: مقاتل الطالبيين ص٧ والسنن الكبرى للبيهقي ج٩ ص٨٧ وتاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٣٢١ والمنتخب من ذيل المذيل ص٢ وذخائر العقبى ص٢١٧ والمصنف لابن أبي شيبة ج٤ ص٥٧٧ وج٧ ص٧٣١ والمعجم الكبير ج٢ ص١٠٦ وتاريخ مدينة دمشق ج٦٨ ص٨٨ وج٧٠ ص٢٧١ وتهذيب التهذيب ج٢ ص٨٤ والإصابة ج١ ص٥٩٣ وسير أعلام النبلاء ج١ ص٢٠٩ وتهذيب الكمال ج٥ ص٥٨ وأسد الغابة ج١ ص٢٨٨ والطبقات الكبرى لابن سعد ج٤ ص٣٧ ومعرفة السنن والآثار ج٧ ص٢٥.

ويقال: إن رجلاً من الروم ضربه يومئذ ضربة فقطعه نصفين[1].

وقيل: وقع أحد نصفيه في كرم، فوجد في نصفه ثلاثون أو بضعة وثلاثون جراحاً[2].

جراحات جعفر:

روى الذهبي: عن أسامة بن زيد الليثي، عن نافع: أن ابن عمر قال: جمعت جعفراً على صدري يوم مؤتة، فوجدت في مقدم جسده بضعاً وأربعين من بين ضربة وطعنة[3].

وعن نافع، عن ابن عمر أيضاً: «أنه وقف على جعفر يومئذٍ، وهو قتيل، فعددت به خمسين بين طعنة وضربة، ليس منها ـ أو قال فيها ـ شيء في

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٤٩ وتاريخ الخميس ج٢ ص٧١ والبحار ج٢١ ص٦١ عن المعتزلي، وراجع: الطبقات لابن سعد ج٤ ص٣٨ و البداية والنهاية ج٤ ص٢٧٩ والسيرة النبوية لابن هشام ج٣ ص٨٣٣ والمستدرك للحاكم ج٣ ص٢٠٨ والبحار ج٢١ ص٦١ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٤٦٢.

(٢) المنتخب من ذيل المذيل ص٣ والمستدرك للحاكم ج٣ ص٢٠٨ والطبقات الكبرى ج٤ ص٣٨ والبحار ج٢١ ص٦١ وراجع: سير أعلام النبلاء ج١ ص٢١٠ والبداية والنهاية ج٤ ص٢٩٢.

(٣) سير أعلام النبلاء ج١ ص٢١٠ وقال في هامشه: إسناده حسن. وأخرجه البخاري (٤٢٦٠) في المغازي: باب غزوة مؤتة من طريق ابن وهب، عن عمرو، عن ابن أبي هلال قال: وأخبرني نافع: أن ابن عمر أخبره: أنه وقف على جعفر يومئذ وهو قتيل. فعددت به خمسين بين طعنة وضربة ليس منها شيء في دبره ـ يعني ظهره.

دبره»[١].

وعن أبي جعفر «عليه السلام»: «أصيب يومئذٍ جعفر، وبه خمسون جراحاً، خمس وعشرون منها في وجهه»[٢].

وروى البخاري، والبيهقي، عن عبد الله بن عمر قال: «كنت فيهم في تلك الغزوة فالتمسنا جعفر بن أبي طالب، فوجدناه في القتلى، ووجدنا في جسده بضعاً وستين من طعنة ورمية»[٣].

وعن نافع، عن ابن عمر: أنه كان يأتي عبد الله بن جعفر، فقال له الناس: إنك تكثر إتيان عبد الله بن جعفر.

فقال ابن عمر: لو رأيتم أباه، أحببتم هذا. وجد فيما بين قرنه إلى قدمه

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٥٧ و ١٤٩ وعن صحيح البخاري ج٥ ص٨٦، وعن سنن سعيد بن منصور، والسيرة الحلبية ج٣ ص٦٩ وتاريخ الخميس ج٢ ص٧١ والبحار ج٢١ ص٥٨ عن جامع الأصول، والعمدة لابن البطريق ص٤٠٨ وعن فتح الباري (المقدمة) ص٢١٨ وج٧ ص٣٩٤ والمعجم الكبير ج٢ ص١٠٧ وعن البداية والنهاية ج٤ ص٢٨٠ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٤٦٤.

(٢) البحار ج٢١ ص٥٦ عن إعلام الورى ص١١٠ و ١١١ وعن مناقب آل أبي طالب ج١ ص١٧٧ وشجرة طوبى ج٢ ص٢٩٩ وإعلام الورى ج١ ص٢١٣.

(٣) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٤٩ و ١٥٨ والمغازي للواقدي ج٢ ص٧٦١ وراجع: الطبقات الكبرى ج٤ ص٣٨ وشرح الأخبار ج٣ ص٥٤٨ والعمدة لابن البطريق ص٤٠٨ وذخائر العقبى ص٢١٨ والبحار ج٢١ ص٥٨ وعن صحيح البخاري ج٥ ص٨٧ وتهذيب الكمال ح٥ ص٥٤ ومعجم ما استعجم ج٤ ص١١٧٢ وراجع: الطبقات الكبرى ج٤ ص٣٨.

سبعون بين ضربة سيف وطعنة برمح[1].

وفي نص آخر عنه أيضاً: وجد فيما أقبل من بدن جعفر ما بين منكبيه اثنان وسبعون ضربة بسيف، أو طعنة برمح[2].

وقيل: وجدوا في إحدى شقيه بضعة وثمانين جرحاً[3]، وفيما أقبل من بدنه اثنين وسبعين ضربة بسيف، وطعنة برمح[4].

وعن ابن عمر أيضاً: وجدنا فيما بين صدر جعفر ومنكبيه، وما أقبل منه تسعين جراحة، ما بين ضربة بالسيف، وطعنة بالرمح[5].

وعن ابن عمر قال: «التمسنا جعفر بن أبي طالب، فوجدناه في القتلى، في جسده (نيفاً) بضعاً وتسعين من طعنة ورمية»[6].

---

(١) تاريخ مدينة دمشق ج٢٧ ص٢٦٢ وعن تاريخ الإسلام للذهبي (حوادث سنة ٦١ ـ ٨٠) ص٤٣٠ وسير أعلام النبلاء ج٣ ص٤٥٨ و ٤٥٩ وتهذيب الكمال ج١٤ ص٣٧١.

(٢) المغازي للواقدي ج٢ ص٧٦١ وراجع: البحار ج٢١ ص٦١ والطبقات الكبرى ج٢ ص١٢٩ وشرح النهج للمعتزلي ج١٥ ص٦٧ وشجرة طوبى ج٢ ص٢٩٩.

(٣) راجع: النص والإجتهاد ص٢٩ وعن الكامل في التاريخ ج٢ ص٢٣٦ وتاريخ الخميس ج٢ ص٧١ وعن السيرة النبوية لابن هشام ج٢ ص٣٧٨.

(٤) السيرة الحلبية ج٣ ص٦٩ والطبقات الكبرى ج٤ ص٣٨.

(٥) السيرة الحلبية ج٣ ص٦٩ وتاريخ الخميس ج٢ ص٧١ والطبقات الكبرى ج٤ ص٣٨ وعن الإحتجاج ج١ هامش ص١٧٢ والدرجات الرفيعة ص٧٥ والبحار ج٢٢ ص٢٧٦ وعن عيون الأثر ج٢ ص١٦٨.

(٦) المعجم الكبير ج٢ ص١٠٧ وكنز العمال ج١٠ ص٥٦١ وعن صحيح البخاري ج٥ ص٨٧ والبحار ج٢١ ص٥٨ وتهذيب الكمال ج٥ ص٥٤ وقال في هامشه: =

وفي نص آخر: فقدنا جعفر بن أبي طالب. طلبناه في القتلى، فوجدناه وبه طعنة ورمية بضع وتسعون فوجدنا ذلك فيما أقبل من جسده"[1].

وقال ابن عمر: وكنت معهم في تلك الغزوة، فالتمسنا جعفراً، فوجدنا فيما أقبل من جسمه بضعاً وتسعين ما بين ضربة بسيف وطعنة برمح ورمية.

وروى ابن كثير: أنه لما قتل، وجدوا فيه بضعاً وتسعين ما بين ضربة بسيف، وطعنة برمح، ورمية بسهم، وهو في ذلك كله مقبل غير مدبر، وكانت قد طعنت يده اليمنى ثم اليسرى وهو ممسك للواء، فلما فقدهما احتضنه حتى قتل وهو كذلك[2].

وعن الفيروزآبادي: فوجد فيما أقبل من جسده تسعون ضربة ما بين طعنة برمح وضربة بسيف[3].

= أخرجه البخاري ج٥ ص١٨٢ في المغازي، باب غزوة مؤتة من أرض الشام، وأبو نعيم في الحلية ج١ ص١١٧ والحاكم ج٣ ص٢١٢ وابن سعد ج٤ ص٣٨ وراجع: شرح الأخبار ج٣ ص٥٤٨ والعمدة لابن البطريق ص٤٠٨ وذخائر العقبى ص٢١٨ وعن فتح الباري ج٧ ص٣٩٤ وسير أعلام النبلاء ج١ ص٢١٠ ومعجم ما استعجم ج١ ص١١٧٢.

(١) الطبقات الكبرى ج٤ ص٣٨ وذكر عن الفضل بن دكين: تسعين ضربة بين طعنة برمح وضربة بسيف، وعن المصنف لابن أبي شيبة ج٨ ص٥٥٠ وسير أعلام النبلاء ج١ ص٢١٠ وسبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٥٨.

(٢) البداية والنهاية ج٤ ص٢٩٢ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٤٨٣.

(٣) البحار ج٦٩ ص١٢٤ و ١٢٥ ومستدرك سفينة البحار ج٢ ص٦٨٥ وراجع: مسند ابي حنيفة ص٥٢٩.

وذكر ابن الأثير: أنه لما قتل جعفر وجد به بضع وسبعون جراحة ما بين ضربة بسيف وطعنة برمح كلها فيما أقبل من بدنه.

وقيل: بضع وخمسون، والأول أصح(١).

فظهر ذلك التخالف. أي أن التخالف بين الروايات أصبح ظاهراً وواضحاً.

كيفية الجمع بين الروايات:

قال الحافظ: ويجمع بأن العدد قد لا يكون له مفهوم، أو بأن الزيادة باعتبار ما وجد فيه من رمي السهام، فإن ذلك لم يذكر في الرواية الأولى، أو الخمسين مقيدة بكونها ليس فيها شيء في دبره أي ظهره، فقد يكون الباقي في بقية جسده، ولا يستلزم ذلك أنه ولى دبره، وإنما هو محمول على أن الرمي جاءه من جهة قفاه أو جانبيه، ولكن يريد الأول: أن في رواية العمري عن نافع: فوجدنا ذلك فيما أقبل من جسده، بعد أن ذكر العدد بضعاً وتسعين(٢).

ووقع في رواية البيهقي في الدلائل بضع وسبعون ـ بتقديم السين على الموحدة ـ وأشار أن بضعاً وتسعين بتقديم الفوقية على السين أثبت(٣).

طليعة شرحبيل:

ذكرت الروايات المتقدمة: أن شرحبيل بن عمرو الغساني قد جمع مائة ألف.

---

(١) أسد الغابة ج١ ص٢٨٨ وراجع: صحيح ابن حبان ج١١ ص٤٥.

(٢) البحار ج٢١ ص٥٨ عن جامع الأصول.

(٣) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٥٧ و ١٥٨ عن صحيح البخاري، وراجع: الطبقات الكبرى ج٤ ص٣٨.

ولكنها تعود لتقول: إنه لما نزل المسلمون وادي القرى أرسل شرحبيل أخاه في خمسين رجلاً، فاقتتلوا، ثم انكشف المشركون وقد قتل أخوه سدوس..

ثم تذكر: أن شرحبيل هذا قد خاف، فدخل حصناً فتحصن فيه.

ونقول:

إن هذه التصرفات لا تنسجم مع المنطق السليم، والعقل القويم، وذلك لما يلي:

١ ـ إن من يجمع مائة ألف مقاتل لا تكون طليعته خمسين رجلاً بحسب العادة، فإن المشركين الذين لا يجمعون ما يصل إلى عُشر ما جمعه شرحبيل، تكون طليعتهم مائتي فارس في الحديبية[1]، لمواجهة أقل من ألف وخمس مائة مقاتل..

٢ ـ ما معنى أن يخاف شرحبيل من ثلاثة آلاف رجل حتى إنه ليدخل حصناً ويتحصن فيه، مع أن معه مائة ألف مقاتل؟!..

---

(١) راجع: نور الثقلين ج١ ص٥٤٣ وكنز الدقائق ج٢ ص٦٠٦ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣٦ والسيرة النبوية لدحلان ج٢ ص٣٥ وتفسير القمي ج١ ص١٥٠ وج٢ ص٣١٠ والبحار ج٢٠ ص٣٤٨ وج٨٣ ص١١٠ ونيل الأوطار ج٨ ص١٩١ والأم للشافعي ج٧ ص١٤٩ ومستدرك الوسائل ج٦ ص٥١٨ والنص والإجتهاد ص١٦٥ والميزان (تفسير) ج٥ ص٦٤ وج١٨ ص٢٦٤ وعن فتح الباري ج٥ ص٢٤٣ وعن عيون الأثر ج٢ ص١١٤ وعن ابن سعد في الطبقات ج٢ ص٩٥ ونيل الأوطار ج٨ ص١٩١ وتفسير القمي ج١ ص١٥٠ وج٢ ص٣١٠.

٣ ـ وحين دخل شرحبيل الحصن، أين كان المائة ألف الذين جمعهم؟ هل دخلوا معه؟! أم تركهم في خارجه؟

وإذا كانوا دخلوا معه، فهل اتسع ذلك الحصن لهذه الأعداد الهائلة؟!

وإن كانوا قد بقوا في الخارج، كيف أقنعهم بصحة تصرفه هذا، وأن يبقوا عرضة للخطر في العراء، ويبيت هو في داخل الحصن؟!

وهل رضوا منه به أم لم يرضوا؟

٤ ـ وعن أخيه سدوس نقول:

كيف تجرأ أخوه سدوس على الدخول في حرب ضد ثلاثة آلاف مقاتل، مع أن الذين معه كانوا خمسين رجلاً فقط؟!

وإذا كان شرحبيل ـ وهو في مائة ألف مقاتل ـ لا يجرؤ على مواجهة ثلاثة آلاف مقاتل، بل يُدْخِلُه خوفه منهم حصناً ليأمن على نفسه فيه، فكيف يقدم سدوس على الدخول في حرب مع نفس هؤلاء الذين هرب منهم أخوه الذي أرسله؟!

وإذا كان باستطاعة الخمسين رجلاً ـ بمن فيهم سدوس ـ أن يفلتوا، وينكشفوا ويَسْلَموا حتى إنه لم ينقل أحد أن أحداً منهم قد أصيب ولو بجراحة، فلماذا لم يفلت سدوس نفسه أيضاً؟!

٥ ـ ولست أدري كيف استطاع شرحبيل أن يجمع مائة ألف مقاتل بهذه السرعة الفائقة. أي من حين بدأ المسلمون مسيرهم نحوهم، وإلى حين وصولهم؟! هل كانوا مجتمعين في منطقة واحدة، فدعاهم، فأجابوه؟! أم أنه قد جمعهم من مناطق متباعدة؟!

إننا لم نعهد في منطقة مؤتة تجمعات كبيرة تستطيع أن تفرز مائة ألف

مقاتل بهذه السرعة..

٦ ـ على أن من يستطيع أن يجمع أكثر من مائة ألف بهذه السرعة، فلا بد أن يكون ذا نفوذ عظيم يضاهي نفوذ هرقل ملك الروم، ويستحق أن يجعله هرقل على بلاد الشام كلها، ولا يجعل سواه، لا الحارث بن أبي شمر الغساني، ولا غيره.

بل هو يستطيع أن يستقل عن هرقل نفسه، فهو ليس بحاجة إليه، فلماذا يأنف من أن يكون تابعاً له؟!

الأرقام عن عدد جيوش العدو:

نحن وإن كنا لا نريد أن نعطي رقماً مبالغاً فيه عن عدد جيوش العدو، غير أننا نشير إلى أن مراجعة النصوص المتقدمة تعطي الإنطباع عن عدد جيوش العدو، وأنه كان أكثر من مائتي ألف، بل قد يصل إلى ضعف هذا العدد..

فقد تقدم: أن شرحبيل جمع أكثر من مائة ألف، وأن هرقل بعث إليه زهاء مائتي ألف.

وكان هرقل نفسه قد نزل البلقاء في مائة ألف من الروم، ومائة ألف أخرى من العرب.

وقيل: بل كان معه مائتا ألف من الروم، وخمسون ألفاً من العرب المتنصرة..

فإذا ضممنا هذه الأرقام إلى بعضها البعض، فإن العدد سوف يتضاعف ليصل إلى ما يقارب الخمس مائة وخمسين ألفاً. وهو رقم لم يذكره أحد من

المؤرخين. فهل كان ذلك غفلة منهم عن حقيقة الحال؟! أم أن ارتباك الروايات جعلهم يقتصرون على ذكر المائتي ألف، أو ما يزيد على ذلك بما لا يصل إلى هذه الأرقام العالية؟!

أم أن كثرة الأعداد، أوجبت اختلاط الأمور عليهم؟!

إننا لا نستطيع أن نقدم أية إجابة حاسمة على هذا السؤال، لكننا نقول:

لا شك في أن الجيوش المجتمعة كانت هائلة، حتى مع الإعتراف بغياب القدرة على تقديم إحصاءات دقيقة عنها..

وقد يكون سبب عزوف المؤرخين عن التصريح بأرقامها العالية هو استبعادهم أن يكون ذلك قد حصل فعلاً. فاكتفوا بذكر ما يسع الناس تصديقه، ولو بنحو من التكلف وادِّعاء التسامح، وتركوا ما عداه..

واحتمال تكثير عدد الجيوش إلى هذا الحد الذي ربما يبدو خيالياً هو إيجاد العذر لخالد عن هزيمته النكراء التي فوتت على الإسلام والمسلمين أعظم الإنجازات التي ربما لو تحققت لفتح الإسلام بلاد الروم بأسرها. ولكن ذلك وإن كان في محله إلا أن للمبررات حدودها المعقولة، فلو لم يكن العدد هائلاً بالفعل لم تصح ولم تقبل هذه المبالغة من أحد.

غير أن مما لا شك فيه أن النصر كان أكيداً مهما قلنا في عدد الجيوش، وأن خالداً هو الذي ضيعه، ويدل على ذلك هذا الموقف الصارم من المسلمين تجاه خالد وجميع من فر معه، ولم يتدخل النبي «صلى الله عليه وآله» للتخفيف عنهم، لأنه رآهم يستحقون أكثر من ذلك، ورأى أن للمسلمين الحق بأن يعاملوه بما هو أشد.

فتجمعوا لهم:

ذكرت النصوص المتقدمة: أن المائة ألف الذين جمعهم شرحبيل قد تجمعوا لهم. أي استعداداً لمواجهة المسلمين.

غير أننا نقول:

إن المتوقع ممن يستعد لمواجهة عدو قادم هو أن يواجهه بكمائن ومفاجآت تربك أو تعيق حركته، وتنهك قوته، وربما تنجح في حسم الأمور معه بأدنى الخسائر.. غير أننا لم نجد شيئاً من ذلك سوى طليعة سدوس التي انتهت بقتله، وفرار من معه.

مع ملاحظة: أنه ليس فيها أي عمل ذكي من الناحية العسكرية، بل هي مجرد عمل روتيني فاشل وضعيف.

إما النصر وإما الشهادة:

وعن تشجيعات عبد الله بن رواحة للناس، وقوله: «هي إحدى الحسنيين، إما ظهور، أو شهادة، وليست بشر المنزلتين»، نقول:

إن الحديث عن الظهور والغلبة في ظروف كهذه، وحيث يعدُّ عدوهم بمئات الألوف، وبأحسن عدة، وأتم تجهيز، لهو أمر يبعث على الإعتزاز، والفخر من جهة، وهو يدل على وجود مبررات لهذا الحديث، تجعل من توقع حصول النصر أمراً مقبولاً ومعقولاً.. وعلى أن هذه الأعداد لم تفاجئهم، بل كانوا يتوقعون حشوداً كبيرة جداً، تقترب من الأرقام التي صادفوها.

لكن ما لم يكن ذلك الجيش الإسلامي يتوقعه هو زيادة رقم الحشود إلى حد جعله يفكر بمراجعة النبي «صلى الله عليه وآله» لمعرفة ما إذا كانت

هذه الزيادة تستدعي توجيهاً آخر منه «صلى الله عليه وآله»، أم أن الأمور لم تصل إلى حد يدعو إلى ذلك..

ولكن ما يبقى غامضاً بالنسبة إلينا هو حقيقة تلك المبررات التي تدعو جيش المسلمين إلى توقع النصر، أو احتماله. فإن المادة التاريخية المتوفرة لدينا لا تخولنا معرفة شيء منها.

ولعل السبب في ضآلة النصوص هنا هو الرغبة في الحفاظ على ماء الوجه لبعض من تسبب بحدوث الهزيمة، فعمد الرواة والمؤرخون إلى إهمال التصريح بأمور كثيرة وخطيرة، كان التصريح بها مفيداً جداً وضرورياً..

وينبغي أن لا نهمل الإشارة إلى أن مما يؤكد ذلك كله: هو التعبير عن الشهادة بأنها «ليست بشر المنزلتين»، حيث يستبطن هذا التعبير إلماحة إلى أن موضوع الشهادة، كان هو الأبعد احتمالاً عن ذهن جيش المسلمين، باستثناء استشهاد القادة الثلاثة..

وهناك ما هو أصرح وأوضح، وهو: قول ثابت بن أقرم لأبي هريرة، حين رأى جموع الروم، فبهرته كثرتهم وتجهيزاتهم:

«يا أبا هريرة، كأنك ترى جموعاً كثيرة!!

قلت: نعم.

قال: إنك لم تشهد معنا بدراً، إنَّا لم ننصر بالكثرة»[1].

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٤٨ وعن مغازي الواقدي ج٢ ص٧٦٠ وشرح النهج للمعتزلي ج١٥ ص٦٧ وعن تاريخ مدينة دمشق ج٢ ص١٤ وج١١ =

فالنصر كان متوقعاً، وكانت الأمثولة لهم هي غزوة بدر، والنصر المؤزر الذي تحقق فيها..

فخرج على قومه في زينته:

وإن قصة أبي هريرة حين رأى كثرة القوم، والعدَّة والسلاح، والحرير، والديباج، والذهب، حيث برق بصره ـ لتذكرنا بقوله تعالى عن قارون: ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الحَيَاةَ الدُّنيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ، وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ﴾[1].

ويقول تعالى عن فرعون: ﴿وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ، أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ، فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَاء مَعَهُ المَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ، فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً فَاسِقِينَ﴾[2].

فقد أظهرت هذه الآيات الخلل العميق في النظرة وفي المعايير لدى قوم فرعون، وأمثالهم من طلاب الحياة الدنيا، وذلك لأن رؤيتهم للزينة الحاضرة، وللأنهار تجري من تحت فرعون، وكون أن ملك مصر بيده.. ثم

= ص١٠٨ وعن الإصابة ج١ ص٥٠٠ وشجرة طوبى ج٢ ص٢٩٩ وعن البداية والنهاية ج٤ ص٢٧٨ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٤٦٨ وعن دلائل النبوة للبيهقي ج٤ ص٢٧٨.

(١) الآيتان ٧٩ و ٨٠ من سورة القصص.

(٢) الآيات ٥١ ـ ٥٤ من سورة الزخرف.

التفاتهم إلى أن موسى «عليه السلام» لا تلقى عليه أسورة الذهب، ولا تأتي معه الملائكة، قد جعلهم يتخيلون أن السعادة، واللذة والحياة ستكون في جانب فرعون، وأن البؤس والسغب والحرمان سيكون في الجانب الآخر، فيستثير ذلك غرائزهم، ويدفع أهواءهم، للإندماج والانغماس، في هذا الواقع الزاخر بالشهوات.. ويدفعهم ذلك إلى أن ينأوا بأنفسهم عن الاستجابة لدعوات الحق، ويزيد من نفورهم منه، وابتعادهم عنه.

وأما عقولهم، فلا يكون لها دور، ولا يسمع لها رأي، لأنهم يشعرون أن عقولهم تدعوهم للتخلي على اللذة الحاضرة منهم، من دون عوض حاضر تقدمه إليهم.

وهذا بالذات هو ما جرى لأبي هريرة، فإنه حين رأى الديباج والحرير، والذهب، والعدة والعدد، والعتاد والسلاح، استيقظت غرائزه، واشرأبت أعناق الشهوات وحب الدنيا في نفسه، لتغرق في هذا الذهب، وذلك الحرير، وتعيش الركون إلى العدة والعدد، والسلاح.. وغاب العقل عن مسرح القرار، وخف ميزانه، وضعفت قدرته على التأثير في نفس هيمنت عليها الغرائز، وتملكها حب الدنيا، وركنت وانشدت إليها..

وربما يذكِّره ثابت بن أقرم بالمعادلة الصحيحة، وهي: أن النصر ليس للكثرة، وأن بدراً هي خير شاهد ودليل على ذلك..

فسكت أبو هريرة، ولم يجرؤ على إظهار حقيقة ما يعتلج في نفسه، ولم يكن لديه حيلة، ولا وسيلة، إلا هذا السكوت الساتر لما في الضمائر..

إيذاء الحيوان لا يجوز:

وذكروا: أن جعفراً رضوان الله تعالى عليه قد عقر فرسه.. وهذا ما رواه أبو داود، من طريق محمد بن سلمة، عن ابن إسحاق، قال: عن يحيى بن عبَّاد، عن أبيه عبَّاد بن عبد الله بن الزبير، قال: حدثني أبي الذي أرضعني، فذكره، وقال: ليس هذا الحديث بالقوي.

قال الصالحي الشامي: وقد جاء نهي كثير من أصحاب رسول الله «صلى الله عليه وآله» [عن تعذيب البهائم، وقتلها عبثاً] كذا قال أبو داود: إنه ليس بقوي وابن اسحاق حسن الحديث.

وقد صرح بالتحديث في رواية زياد البكائي، فقال: حدثني يحيى بن عباد، ويحيى وأبوه ثقتان، وجهالة اسم الصحابي لا تضرّ، ورواه أيضاً عن ابن اسحاق عن عبد الله بن إدريس الأودي كما في مستدرك الحاكم، فسند الحديث قوي[1].

قال الخطابي عن عقر جعفر لفرسه: وهذا يفعله الناس في الحرب إذا أرهق وأيقن أنه مغلوب، لئلا يَظفَر به العدوّ، فيتقوى به على قتال المسلمين[2].

قال الحلبي: ومن ثم لم ينكر عليه أحد من أصحابه. وبه استدل من جوز قتل الحيوان خشية أن ينتفع به الكفار[3].

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٥٧.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٥٧ والسيرة الحلبية ج٣ ص٥٧ وعون المعبود ج٧ ص١٧٢.

(٣) السيرة الحلبية ج٣ ص٦٧ وعن البداية والنهاية ج٤ ص٢٧٩ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٤٦١.

واختلف العلماء في الفرس يعقره صاحبه لئلا يظفر به العدو، فرخص فيه مالك، وكره ذلك الأوزاعي والشافعي.

واحتج الشافعي بحديث النبي «صلى الله عليه وآله»: «من قتل عصفوراً فما فوقه بغير حقه يسأله الله تعالى عن قتله».

واحتج بنهيه «صلى الله عليه وآله» عن قتل الحيوان إلا لمأكلة.

قال: وأما أن يعقر الفرس من المشركين، فله ذلك، لأن ذلك أمر يجد به السبيل إلى قتل من أمر بقتله[1].

هذا ما قاله هؤلاء، أما نحن فنقول:

عقر الفرس أم عرقبها:

١ ـ مما تجدر الإشارة إليه، هو: أن ما يذكرونه عن جعفر بالنسبة لفرسه، قد ورد بصيغتين:

إحداهما: أنه عرقب فرسه[2].

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٥٧ وكتاب الأم ج٧ ص٣٧٥.

(٢) راجع: المحاسن للبرقي ص٦٣٤ والكافي ج٥ ص٤٩ والوسائل (ط مؤسسة آل البيت) ج١١ ص٥٤٤ ومنتهى المطلب (ط ق) ج٢ ص٩١٣ وجواهر الكلام ج٢١ ص٨٣ عن الوسائل، والتهذيب، والمحلى ج٧ ص٢٩٦ وتهذيب الأحكام ج٦ ص١٧٠ والبحار ج٤٥ ص١٤ وج٥٨ ص٢٢٣ وج٩٤ ص٢٥ وراجع: التنبيه والإشراف ص١٣١ ومجمع البحرين ج٣ ص١٦٨ وعمدة القاري ج١٧ ص٢٦٧ والإستيعاب ج١ ص٧٧ وتاريخ مدينة دمشق ج٧٠ ص٢٨١.

والأخرى: أنه عقر فرسه[١].

ولعل الثانية هي الأولى والأقرب إلى الصحة، لأن عرقبة الفرس لا تتناسب مع ما ورد من النهي الشرعي عن إيذاء الحيوان، حسبما قدمناه في غزوة الحديبية، وذكرناه في كتابنا: «**حقوق الحيوان في الإسلام**»، ونحن نجل جعفراً عن الإقدام على عمل نهى عنه الشارع، ويأباه الخلق الإنساني الرفيع.

بل هناك نص عن رسول الله «صلى الله عليه وآله» يتعرض لنفس هذا المعنى، فقد روي عنه «صلى الله عليه وآله» قوله: «إذا حرنت على أحدكم

---

(١) راجع: الأمالي للطوسي (المجلس الخامس) ص١٤١ والطبقات الكبرى لابن سعد ج٤ ص٣٨ والمبسوط للسرخسي ج١٠ ص٢٨ وعن مناقب آل أبي طالب ج١ ص١٧٧ والبحار ج٢١ ص٥٠ و ٦٢ والنص والإجتهاد ص٢٨ وشرح النهج للمعتزلي ج١٥ ص٦٩ والدرجات الرفيعة ص٧٥ والسير الكبير ج٢ ص٧٩٦ وعن البداية والنهاية ج٢ ص٣٠ وبشارة المصطفى ص٤٣٢ وقصص الأنبياء لابن كثير ج٢ ص٢٩٩ ومقاتل الطالبيين ص٧ وعن سنن أبي داود ج١ ص٥٨٠ والسنن الكبرى للبيهقي ج٩ ص٧٨ ومجمع الزوائد ج٦ ص١٥٩ وعن عون المعبود ج٧ ص١٧٢ والثقات ج٣ ص٤٩ وعن تاريخ مدينة دمشق ج٦٨ ص٨٨ وعن أسد الغابة ج١ ص٢٨٨ وتهذيب الكمال ج٥ ص٥٨ وسير أعلام النبلاء ج١ ص٢٠٩ وتهذيب التهذيب ج٢ ص٨٤ وعن الإصابة ج١ ص٥٩٣ وعن تاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٥٨ والمنتخب من ذيل المذيل ص٢ و ٣ وعن السيرة النبوية لابن هشام ج٢ ص٨٣٣ وعن عيون الأثر ج٢ ص١٦٧.

دابة في أرض العدو فليذبحها، ولا يعرقبها»[١].

أما عقر الفرس فلا يأبى عن إفادة معنى الذبح، فهو الأقرب والأنسب بسجايا جعفر، الذي أشبه رسول الله «صلى الله عليه وآله» في خَلْقِهِ وخُلُقِهِ[٢].

---

(١) الوسائل (ط دار الإسلامية) ج١٦ ص٣٠٧ و ٣٠٨ وج٨ ص٣٩٦ وج٥ ص٥٢ والكافي ج٥ ص٤٩ وتهذيب الأحكام ج٦ ص١٧٣ وج٩ ص٨٢، والبحار ج٦١ ص٢٢٢ و ٢٣ وج٩٤ ص٢٥ عن الكافي، وعون المعبود ج٢ ص٣٣٣ وسنن أبي داود ج٣ ص٢٩ والمحاسن للبرقي ج٢ ص٦٣٤ ومستدرك الوسائل ج٨ ص٣٠١ وج١٦ ص١٥٧.

(٢) البحار ج٢٢ ص٢٧٥ وج٣٨ ص٣٠٧ ومستدرك سفينة البحار ج٢ ص٦٧ وج٥ ص٣٤٥ ومكاتيب الرسول ج٣ ص٦٣٥ وشرح مسند أبي حنيفة ص٥٣٩ والدرجات الرفيعة ص٧١ وأسد الغابة ج١ ص٢٨٧ ولسان الميزان ج٤ ص٢٦٩ وذخائر العقبى ص٢١٥ والغدير ج١٠ ص١٣٠ وغنية النزوع ص٧٦ وتحرير الأحكام (ط ج) ج١ ص١٣٦ وأنساب الأشراف ص١٥٣ وسبل الهدى والرشاد ج١١ ص١٠٧ و ١٠٨ وعن مسند أحمد ج٥ ص٢٠٤ والمستدرك للحاكم ج٣ ص٢١٧ ومجمع الزوائد ج٩ ص٢٧٥ وعن فتح الباري ج٧ ص٣٩٠ وتحفة الأحوذي ج١٠ ص١٨٤ والمصنف للصنعاني ج١١ ص٢٢٧ وكنز العمال ج١١ ص٦٣٩ و ٦٦٢ و ٧٥٥ وج١٢ ص٢٥٥ والطبقات الكبرى لابن سعد ص٣٦ وتاريخ بغداد ج٩ ص٦٣ وعن تاريخ مدينة دمشق ج١٩ ص٣٦٢ وتهذيب الكمال ج٢٤ ص٣٩٥ وسير أعلام النبلاء ج١ ص٢١٤ والمجدي في أنساب الطالبيين ص٣٢٠ والمناقب للخوارزمي ص٦٦ وكشف الغمة ج١ ص٩٧ وينابيع المودة للقندوزي الحنفي ج٢ ص٢١٩ وجامع الأحاديث والمراسيل ج١ ص٩٩ و ٤١٩ وج١٨ ص٢٥٣ و ٤٤٤ وج٢ ص١٤٠ وعن الفتح الكبير للسيوطي ج١٤ ص٢٥١ وعمدة القاري ج١٦ ص٢١٤.

والذبح لغرض عقلائي، لا يأباه الخلق الإنساني، ولا يمنع منه الشرع الشريف.

٢ ـ زعموا: أنه يمكن توجيه مبادرته إلى عرقبة الفرس بأنه أراد أن يحرم العدو من الاستفادة منه[1].

ونقول:

إن ذلك غير دقيق، فيما لو كان بإمكانه إيكال أمره إلى غيره من مقاتلي المسلمين، ليستفيد منه في الحرب والنزال، أو في غرض مشروع آخر..

٣ ـ أما أسباب المبادرة إلى ذبح الفرس، فيمكن أن نتلمسها فيما يلي:

ألف: إفهام العدو سرّ البطولة، ورمزها، وحقيقتها. وأنها إرادة وتصميم، وإيمان وجهاد، وتضحيات، وأن يملك الإنسان نفسه، وقرارها، والقدرة على التصرف فيها..

وليست الشجاعة هي مجرد امتلاك القدرة على التصرف في قدرات الجسد، في دائرة هوى النفس، وعلى خط تلبية متطلباتها.

بل الشجاعة هي امتلاك القدرة على التصرف في الجسد نفسه، انسجاماً مع مقتضيات الإيمان، وتطبيقاً للمبادئ، وانسجاماً مع القيم، والمثل الإلهية العليا.

إنه يريد: أن يوجه للروم وللعرب الذين معهم إنذاراً، وأن يزرع الإعجاب والرعب في قلوبهم في آن واحد، ثم أن يعطي المسلمين الذين

---

(١) السيرة الحلبية ج٣ ص٧٥ وعن عون المعبود ج٧ ص١٧٢ وسبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٥٧.

جاؤوا معه للجهاد درساً في الشمم والفداء، ومعنى الشجاعة، وسر الإباء، ولكنه درسٌ كلماته الأفعال، وحروفه التضحيات، واللسان الناطق به هو إيمان شامخ، ورأي باذخ، ويقين راسخ.

أما جيوش الروم فوجدت نفسها أمام التحدي الكبير، فواجهت اندفاع جعفر للتضحية والفداء، باندفاع غرائزي فيها، يهدف إلى التنفيس عن حقد دفين، وعن لؤم مشين وخزي وابتذال مهين، ولاذت بأسلحتها الفتاكة، وانهمرت على جعفر بطعناتها وضرباتها.. فقطعت يده اليمنى، ثم اليسرى.. وذلك حين وجدوا أنفسهم أمام حرب لا تخمد نارها إلا بإسقاط راية القائد، الذي لن يدعها تسقط ما دام حياً..

لقد آثر جعفر التخلص من الفرس، لأنه يريد أن يفهم عدوه مدى تصميمه في حربهم، ومدى تفانيه في الأهداف التي يحارب من أجلها..

وأن قادة الجيوش الإسلامية لا يريدون الإحتماء بالأبطال، ولا يريدون أن يموت الناس في الدفاع عنهم، بل هم الذين يريدون أن يموتوا قبل الناس، من أجل حفظ دين الناس، وحفظ أرواحهم وراحتهم..

وليست القضية مجرد خطب حماسية، وشعارات رنانة، بل هي مبادرة، واستعداد، وبذل وتضحية وجهاد، يرونه رأي العين..

بل إن هذا القائد لا يريد أن يهرب من الموت، ولا أن يحمي نفسه منه، فإنه يراه خيراً وصلاحاً، وسعادة، ونجاحاً، وفوزاً وفلاحاً. إنه يريد أن لا تفصله عنه حتى عدوة فرس، فآثر التخلص منه، فعقره..

أول من عرقب فرسه:

وزعموا: أن جعفراً كان أول من عرقب فرسه في الإسلام[1].

ولكننا قلنا: إن ذلك لم يثبت، بل الراجح: أنه قد عقر فرسه،[2]، لا أنه

---

(١) المحاسن للبرقي ص٦٣٤ وجواهر الكلام ج٢١ ص٨٣ والكافي ج٥ ص٤٩ والوسائل (ط مؤسسة آل البيت) ج١١ ص٥٤٤ والبحار ج٢١ ص٥٤ وج٥٨ ص٢٢٣ وج٩٤ ص٢٥ ومستدرك سفينة البحار ج٧ ص١٩٧ وج١٠ ص٢٣١ وعن عيون الأثر ج٢ ص١٦٧ ومجمع البحرين ج٣ ص١٦٨ وعمدة القاري ج١٧ ص٢٦٧ وعن الإستيعاب ج١ ص٧٧.

(٢) راجع: البحار ج٢١ ص٥٠ و ٦٢ والنص والإجتهاد ص٢٨ ومجمع الزوائد ج٦ ص١٥٩ وشرح النهج للمعتزلي ج١٥ ص٦٩ والدرجات الرفيعة ص٧٥ وسير أعلام النبلاء ج١ ص٢٠٩ وعن تاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٣٢١ وعن المنتخب من ذيل المذيل ص٢ و ٣ وعن السيرة النبوية لابن هشام ج٣ ص٨٣٣ والأمالي للطوسي ص١٤١ (المجلس الخامس: حديث٤٣) والمبسوط للسرخسي ج١٠ ص٢٨ ومقاتل الطالبيين ص٧ وعن مناقب آل أبي طالب ج١ ص١٧٧ والسير الكبير ج٢ ص٧٩٦ وعن البداية والنهاية ج٢ ص٣٠ وقصص الأنبياء لابن كثير ج٢ ص٢٩٩ وعن سنن أبي داود ج١ ص٥٨٠ والسنن الكبرى للبيهقي ج٩ ص٧٨ وعن عون المعبود ج٧ ص١٧٢ والطبقات الكبرى لابن سعد ج٤ ص٣٧ والثقات ج٣ ص٤٩ وعن تاريخ مدينة دمشق ج٦٨ ص٨٨ وتهذيب الكمال ج٥ ص٥٨ وسير أعلام النبلاء ج١ ص٢٠٩ وتهذيب التهذيب ج٢ ص٨٤ وعن الإصابة ج١ ص٥٩٣ وعن عيون الأثر ج٢ ص١٦٧ وعن أسد الغابة ج١ ص٣٢٧ وعن زاد المعاد ج١ ص١١٣ والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج٢ ق٢ ص٤١.

عرقبه. فرواية الأمالي هي الأصح، وهي الأوفق بالتزام جعفر لحدود الشرع فيما يرتبط بالتعامل مع الحيوان.

وقد نقل «رحمه الله» عن الزهري قوله: وكان جعفر أول رجل من المسلمين عقر فرسه[1].

آخر محاولة للشيطان!!

ورووا: أنه لما أخذ جعفر بن أبي طالب الراية جاءه الشيطان فمنّاه الحياة الدنيا، وكرّه له الموت، فقال:

الآن!! حين استحكم الإيمان في قلوب المؤمنين تمنيني الدنيا؟!

ثم مضى قدماً حتى استشهد. فصلى عليه رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ودعا له، ثم قال: «استغفروا لأخيكم جعفر؛ فإنه شهيد، وقد دخل الجنة، وهو يطير فيها بجناحين من ياقوت حيث يشاء من الجنة»[2].

ونقول:

لا شك في أن الشيطان لا يدع فرصة إلا ويحاول اقتناصها، وهو يرى: أنه

---

(١) الأمالي للطوسي ص١٤١ (المجلس الخامس: حديث٤٣) والبحار ج٢١ ص٥٠ وبشارة المصطفى ص٤٣٢.

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد ج٤ ص٣٨ والثاقب في المناقب ص١٠٢ وشرح النهج للمعتزلي ج١٥ ص٦٨ والدرجات الرفيعة ص٧٦ وتاريخ مدينة دمشق ج٢ ص١٤ وج١٩ ص٣٦٨ وكنز العمال ج١١ ص٦٦١ والبداية والنهاية ج٢ ص٢٨٢ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٤٦٧ وجامع الأحاديث والمراسيل ج١ ص٤٢٥ والفتح الكبير ج١ ص٨٠.

حين تنقطع السبل بالإنسان، ويواجه الخطر الأعظم في لحظة الموت الرهيب، تضعف عزيمته، وتتبلبل أفكاره، ويضطرب في قراراته، ويضيع في زحمة المشاعر والأفكار التي تظهر عليها عوارض التناقض والإختلاف.

ولكن هناك رجال مؤمنون، وأصفياء متقون، لا يفقدون السيطرة على أنفسهم، حتى في هذه اللحظات، بل إن منهم من يجد في هذه اللحظات ما يؤكد يقينه، ويزيد من وضوح الصورة لديه، فيزيده ذلك رضاً، قد يصل به إلى حد البهجة والسرور، على قاعدة: «فزت ورب الكعبة»، حيث يأنس بالموت كما يأنس الطفل بثدي أمه، ويراه أحلى من العسل، لأنه يشاهد ما أعده الله تعالى له، انطلاقاً من حقيقة: «لو كشف لي الغطاء ما ازددت يقيناً»، وعلى هذا الأساس جاء قول جعفر:

يا حبذا الجنة واقترابها ... طيبة وبارداً شرابها

والروم روم قد دنا عذابها ... كافرة بعيدة أنسابها

علي إذ لاقيتها ضرابها[1]

فقد عبر «سلام الله عليه» في أبياته هذه عن تلهفه للجنة، واشتياقه البالغ لها..

---

(١) راجع: النص والإجتهاد ص٢٨ والسيرة النبوية لابن هشام ج٣ ص٨٣٣ والبداية والنهاية ج٤ ص٢٧٨ والسنن الكبرى للبيهقي ج١٣ ص٥٢٠ وتهذيب الكمال ج٣ ص١٢٤ وسير أعلام النبلاء ج١ ص١٥٠ والسيرة النبوية لابن كثير ج٢ ص٤٦١ وسبل الهدى والرشاد ج١ ص١٥٠.

تسقط اليد ويرتفع اللواء:

وحين قطعت يد جعفر وسقطت، فإن ألم قطعها لم يشغل جعفراً، ولم يمنعه من المبادرة إلى رفع اللواء باليد الأخرى، ولم ير «عليه السلام» في هذا الذي جرى له عذراً يبرر انكفاءه عن المواجهة.

بل وجد أن واجبه هو: أن يهزم العدو بالرعب من خلال ما يشاهده من إصراره الأكيد على رفع اللواء باليد الأخرى، وليكون ذلك سبباً في مضاعفة حدة اندفاع المسلمين في مواجهة عدوهم.

وحتىَ حين قطعت اليد الأخرى، فإنه يواصل جهاده ويبذل قصارى جهده في حفظ جذوة الحماس ملتهبة لدى كتائب الجيش الإسلامي، الذي لا بد أن يظهر ـ من أجل ذلك ـ من البسالة والإقدام والشجاعة، ما يحير العقول، ويذهل الألباب..

وتصعد روح جعفر إلى بارئها، ويرتفع جعفر، ويحلق إلى مقامات القرب والزلفى، ومواقع العز والكرامة بنفس هاتين اليدين المقطوعتين، اللتين ألبستاه ـ بفقدهما ـ حلتين من البهاء والجمال، والعظمة والجلال.

الطيار بعد قطع يديه:

وقد صرحت بعض الروايات: بأن جعفرَاً قطعت يمينه، فأخذ الراية بيساره، فقطعت يساره، فاحتضن الراية، وقاتل حتى قتل[1].

---

(١) السيرة الحلبية ج٣ ص٦٧ وتاريخ الخميس ج٢ ص٧١ والسيرة النبوية لابن هشام ج٤ ص٢٦ وعن عيون الأثر ج٢ ص١٦٧ وعن زاد المعاد ج١ ص١١٣٤ والعبر =

ونقول:

إننا نتعقل أن يأخذ مقطوع اليدين اللواء ببقايا يديه، ويضمه إلى صدره، ولكن لا يمكن أن نتصوره قادراً على قتال العدو بسيف أو برمح، سوى مبادرته إلى ركل من يهاجمه بإحدى رجليه، ليدفعه عن نفسه، وليلحق به أكبر قدر ممكن من الأذى.

بل إن أخذه الراية بشماله، بعد قطع يده اليمنى يجعله غير قادر على حمل السيف بها أيضاً، لأنها أصبحت مشغولة باللواء.

وهذا معناه: أنه «عليه السلام» قد بذل محاولة لإبقاء الراية مرفوعة ليراها المسلمون، ويواصلوا القتال أطول وقت ممكن، لأنه يعلم: أن وقوع الراية على الأرض، يوجب تضعضع الجيش، وربما يؤدي ذلك إلى هزيمته، وهذا ما لا يريده ولا يرضاه..

الطيار أسوة وقدوة:

وغني عن البيان هنا: أن نفس هذا الذي جرى لجعفر بن أبي طالب «عليه السلام» قد جرى ما يشبهه للعباس بن أمير المؤمنين «عليهما السلام» في كربلاء، فإن يمينه قطعت، فأخذ السيف بيساره، فقطعت، فقاتل حتى ضعف، فضربه ملعون بعمود من حديد على رأسه فقتله[1].

= وديوان المبتدأ والخبر ج٢ ق٢ ص١٤١ والخرائج والجرائح ج١ ص١٦٦.

(١) البحار ج٤٥ ص٤٠ و ٤١ وينابيع المودة ج٣ ص٦٨ والعوالم ص٢٨٣ وعن المناقب لابن شهرآشوب ج٣ ص٢٥٦ ونور العين في مشهد الحسين ص٤١ و ٤٢ وإبصار العين في أنصار الحسين ص٦٢ والعوالم (الإمام الحسين «عليه =

وقد روي: أن الله تعالى عوضه أيضاً بجناحين يطير بهما مع الملائكة في الجنة، فقد روى الصدوق «رحمه الله» بسنده عن ثابت بن أبي صفية، قال: قال علي بن الحسين «عليه السلام»: رحم الله العباس ـ يعني ابن علي ـ فلقد آثر وأبلى، وفدى أخاه حتى قطعت يداه، فأبدله الله بهما جناحين يطير بهما مع الملائكة في الجنة، كما جعل لجعفر بن أبي طالب[1].

استشهاد جعفر وهو صائم:

وتقدم عن ابن عمر قال: أتيته (يعني جعفراً) وهو مستلق آخر النهار، فعرضت عليه الماء، فقال: إني صائم، فضعه في ترسي عند رأسي، فإن عشت حتى تغرب الشمس أفطرت.

قال: فمات صائماً قبل غروب الشمس شهيداً، وعمره إحدى وأربعون سنة، وقيل: ثلاث وثلاثون..

ونقول:

ألف: بالنسبة لعمره «عليه السلام» فإن صح ما يقولونه من كونه أسن من علي «عليه السلام» بعشر سنين[2]. فإن عمر علي «عليه السلام» كان

= السلام») ص٢٨٣ و ٢٨٤ وعن ينابيع المودة ج٣ ص٦٧ و ٦٨.

(١) الخصال ج١ ص٦٨ (باب الإثنين حديث١٠١) وتفسير نور الثقلين ج٤ ص٢٤٦ والأمالي للطوسي ص٥٤٨ والبحار ج٤٤ ص٢٩٨ والعوالم (الإمام الحسين) ص٣٤٩ ودرر الأخبار ص١٩٢ ومقتل الحسين لأبي مخنف ص١٧٦.

(٢) راجع: السيرة الحلبية ج٣ ص٦٩ وشرح أصول الكافي ج١٢ ص٥٣٩ والبحار ج٢٢ ص٢٧٥ وج٤٢ ص١١٥ وتحفة الأحوذي ج١٠ ص١٨٣ وعون المعبود =

آنذاك حوالي ثلاثين سنة، فلا بد أن يكون عمر جعفر أكثر من ذلك بعشر سنين. فكيف يكون عمره ثلاثاً وثلاثين سنة ـ كما يقولون ـ؟!

ب: إن المعركة إذا كانت قائمة، فلا يكون هناك مجال لأن يستلقي جعفر آخر النهار، ليعرض ابن عمر الماء عليه. ثم يستشهد قبل غروب الشمس!!

ج: قال الحلبي: «كونه رضي الله عنه مات صائماً لا يناسب كونه شق نصفين»[1].

وهو كلام عجيب، فهل شقه نصفين يمنع من كونه مات صائماً؟! فإن شقه هذا لا يوجب إفطاره، ولا إفساد صومه..

ذو الجناحين:

وفي بعض المصادر: أنه «قد وردت أخبار في أنه لما رفعوه على الرماح، منّ الله عليه بجناحين، فطار من رأس الرماح إلى السماء، وهو يطير في الجنة

= ج٦ ص٢٦٧ وشرح النهج ج١١ ص١١٦ و ٢٥٠ والطبقات الكبرى ج٤ ص٤٢ وعن تاريخ مدينة دمشق ج٤١ ص٩ و ٢٤ وج٤٢ ص٥٧٤ وعن أسد الغابة ج١ ص٢٨٧ وج٣ ص٤٢٢ وتهذيب الكمال ج٢ ص٢٣٦ وسير أعلام النبلاء ج١ ص٢٠٦ وتهذيب التهذيب ج٧ ص٢٢٦ وعن الإصابة ج١ ص٥٣٩ والأعلام ج٢ ص١٢٥ وعن البداية والنهاية ج٤ ص٢٩٢ وج٨ ص٥٢ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٤٨٤ وعن الإستيعاب ج٣ ص٧٣ والمدهش لابن قيم الجوزية ص٦٤.

(١) السيرة الحلبية ج٣ ص٦٩.

مع الملائكة»[1].

ولا ندري مدى صحة هذا الحديث، ولو صح فربما يكون هذا قد جاء على سبيل المجاز، أو أنه قد طار فعلاً إلى السماء مقداراً ثم عادت جثته إلى الأرض، وبقيت روحه تطير مع الملائكة، وربما، وربما..

نظرة في الكرامات:

إنه تعالى حين يظهر الكرامة لولي من أوليائه، فإنه لا يريد بذلك أن يقهر الناس على الإيمان، ولا أن يتهددهم بهذا الأمر، ليفرض عليهم سلوك طريق الحق، تحت طائلة التدخل الغيبي في صورة مخالفتهم للأوامر والنواهي الإلهية..

بل يريد تبارك وتعالى.. أن يثير في نفس الإنسان المؤمن، الطموح، لنيل مقامات القرب والزلفى عنده، وذلك من خلال تقديم نموذج تطبيقي حي وملموس، يسهِّل على المؤمنين اليقين بوعد الله تعالى، والسكون والركون إلى تحققه حتى كأنهم يرونه ماثلاً أمامهم، من دون أي إخلال أو انتقاص.

ويريد أن يقول لهم: إنه لا مجال لاحتمال المبالغة في البيانات الصادرة، فإنه إن كان هناك تجوُّز في التعبير عن حقيقة ذلك الوعد، والموعود به، فإنما هو محاولة لتقريب الصورة الحقيقية، التي تعجز التعابير المجازية أو الكنايات والإستعارات، عن الإحاطة بها، بل تبقى مجرد إشارات وإلماحات لما هو أعظم وأتم، وأخطر وأهم..

---

(١) تنقيح المقال ج١ ص٢١٢.

كما أن هذا الإنسان الذي هو مستغرق فيما هو مادي ومحسوس، إلى درجة أنه إنما يطل على الغيب من خلال ذلك.. يحتاج إلى اختصار المسافة بينه وبين الغيب.. فتأتي الكرامات والمعجزات، لتقوم بهذه المهمة، وليكون للغيب أيضاً حضوره وشهوده. ليعطي سلاماً للروح، وحياة في الوجدان، ويقظة في الضمير، وحركة في العقل بالاتجاه الصحيح، وعلى أساس من الوعي العميق، والرؤية الواضحة، والشمولية، والواقعية..

على أن هذه الكرامات تسهل على الإنسان المؤمن أن يعي كيف أن لمسألة الغيب حضورها في كل شيء، بل هي جزء من حياة هذا الكائن، وهي مستوعبة لكل المساحات التي ينطلق فيها في حركته نحو الله تعالى..

فالغيب ليس غائباً عن أي من مواقع حركة هذا الإنسان، حتى فيما يتخيل أنه مادي صرف. ولا موقع للغيب فيه، فإن الغيب كامن في عمق ذاته، وفي كنه وجوده.. فعليه أن يشعر به في كل المواقع والمواضع من دون استثناء.

ومن جهة أخرى: فقد تمس الحاجة إلى إقامة الحجة على الناس في أمر ظهر فيه تقصيرهم، أو ظهرت فيهم بوادر هذا التقصير، كما هو الحال في قضية جعفر «عليه السلام» في مؤتة، فإن ظهور هذه الكرامة له، بأن يطير جسده إلى السماء ولو مقداراً ما.. لا بد أن يقيم الحجة على الأعداء أولاً.. من حيث إنه يفتح أمامهم باب الهداية، ويسهل عليهم الحصول على القناعة من أقرب طريق.. ألا وهو طريق الوجدان، والإحساس القلبي، ويختصر المراحل أمامهم..

ثم هو تعميم للحجة على جيش المسلمين، الذين قد يخطر ببالهم: التماس

العذر لأنفسهم عن فرار وشيك ربما يراود أذهانهم، فيزعمون: أن مواجهة مئات الألوف لا مبرر لها، لأن احتمالات النصر على تلك الأعداد الهائلة تكاد تكون معدومة، بل هي معدومة فعلاً..

وأما ما فعله جعفر «عليه السلام» فإنما هو مبادرة شخصية منه، وتضحية يحمد عليها، ولكنها هدر للطاقة، لا تجدي نفعاً، ولا تحقق نصراً.

فجاءت الكرامة الإلهية له لتقول لهم: إن الله تعالى إذا كان هو الراعي لهم، والمشرف على حالهم، وهو الذي ينزل النصر عليهم، أو يحجبه عنهم. فعلى كل أنسان أن يقوم بواجبه، ويمتثل أمر الله ورسوله، وليس له أن ينظر في نتائج ذلك، ولا أن يحدد طبيعة النصر، وحجمه، ومواصفاته.. ولا أن يدَّعي لنفسه المعرفة بالغيب الإلهي فيه.

فلعل المطلوب الإلهي أمر آخر غير النصر العسكري ـ كما كان الحال في كربلاء مثلاً ـ ولعل المطلوب هو النصر العسكري، ولكن بطريقة حجب الله تعالى عنهم بعض عناصرها. ولو بأن تحدث اختلافات ومنازعات بين كتائب جيوش الأعداء، لأجل ما يرونه من استبسال لدى جنود أهل الإسلام.. وقد ينشأ عن ذلك الإستبسال، والإستشهاد هداية لطائفة أو لطوائف من جيش الأعداء. وقد تحدث انقسامات بين العرب وبين غيرهم لأكثر من سبب فيما لو طالت الحرب.. إلى غير ذلك من أسباب.

استشهاد ابن رواحة:

روى ابن إسحاق، قال: قتل جعفر، فأخذ الراية عبد الله بن رواحة، ثم تقدم بها وهو على فرسه، فجعل يستنزل نفسه ويتردد بعض التردد، ثم قال:

أقسمت يا نفس لتنزلنه طائعة أو لتكرهنه

إن أجلب الناس وشدوا الرنة ما لي أراك تكرهين الجنة

قد طالما قد كنت مطمئنة هل أنت إلا نطفة في شنة

وقال أيضاً:

يا نفس إلّا تقتلي تموتي هذا حمام الموت قد صليت

وما تمنيت فقد أعطيت إن تفعلي فعلهما هديت(١)

يريد صاحبيه زيداً وجعفراً، ثم نزل.

فلما نزل أتاه ابن عمر بعَرْق من لحم، فقال: شد بهذا صلبك، فإنك لقيت في أيامك هذه ما لقيت.

فأخذه من يده، ثم انتهس منه نهسة، ثم سمع الحطمة في ناحية الناس، فقال: وأنت في الدنيا؟

ثم ألقاه من يده، ثم أخذ سيفه، ثم تقدم فقاتل حتى قتل.

ووقع اللواء من يده، فاختلط المسلمون والمشركون، وانهزم بعض الناس، فجعل قطبة بن عامر يصيح: يا قوم يُقتل الرجل مقبلاً أحسن من أن يقتل مدبراً.

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٤٩ وتاريخ الخميس ج٢ ص٧١ و ٧٢ والنص والإجتهاد ص٢٩ والسيرة النبوية لابن هشام ج٣ ص٨٣٣ وعن البداية والنهاية ج٤ ص٢٧٩ والسنن الكبرى للبيهقي ج٩ ص١٥٥ وعن تاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٣٢١ وعن تاريخ مدينة دمشق ج٢٨ ص١٢١ وشرح النهج ج١٥ ص٦٩ و ٧٠ والسيرة النبوية لابن كثير ج٢ ص٤٦١ ومجمع الزوائد ج٦ ص١٥٩.

قال سعيد بن أبي هلال: وبلغني أن زيداً، وجعفراً، وعبد الله بن رواحة دفنوا في حفرة واحدة[١].

تردد ابن رواحة في النزول:

وفي بعض الروايات: «فأخذها (يعني: الراية) عبد الله رواحة، وتقدم بها وهو على فرسه، وجعل يتردد في النزول عن فرسه، ثم نزل، وقاتل حتى قتل»[٢].

ونستطيع أن نفهم أن النزول عن الفرس إنما هو حين يراد إفهام العدو أن الفارس قد استقتل، وأن أي توهم في حبه للنجاة من خلال بقائه على ظهر فرسه، ما هو إلا توهم باطل..

الحرب دامت أياماً:

من يلاحظ النصوص المتداولة لغزوة مؤتة يخرج بنتيجة مفادها: أن القادة الثلاثة قد قتلوا في أول المعركة، ثم أخذ اللواء خالد، وولى هارباً، وتبعه

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٥٠ وراجع: السيرة الحلبية ج٣ ص٦٧ وعن فتح الباري ج٧ ص٣٩٣.

(٢) السيرة الحلبية ج٣ ص٦٧ وشرح النهج للمعتزلي ج١٥ ص٦٩ والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج٢ ق٢ ص٤١ وعن فتح الباري ج٧ ص٢٩٣ وحياة الصحابة (باب الجهاد) تحريض النبي وترغيبه على القتال، وعن تاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٣٢١ وعن البداية والنهاية ج٤ ص٢٧٩ وعن السيرة النبوية لابن هشام ج٣ ص٨٣٣ وعن عيون الأثر ج٢ ص١٦٧ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٤٦٢ وسبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٤٩ وزاد المعاد ج١ ص١١٣٤.

المسلمون.. ولذلك اقتصر عدد قتلى المسلمين على ثمانية شهداء، وقيل: قتل اثنا عشر شهيداً، أو نحو ذلك. كما سيأتي إن شاء الله تعالى..

ولكننا نقول:

• إن ذلك موضع شك كبير. ومن موجبات هذا الشك:

أن هذا الرقم للقتلى لا يتناسب مع قولهم أيضاً: إن الحرب قد دامت سبعة أيام[1].

ويؤيد ذلك قولهم المتقدم: إن ابن عمر جاء إلى ابن رواحة بعرق من لحم، وقال له: «شد بهذا صلبك، فإنك لقيت في أيامك هذه ما لقيت».

حيث يشير إلى أن ابن رواحة قد لقي مصاعب كبيرة خلال أيام مرت عليه، ولعلها هي الأيام السبعة المشار إليها، وكان ـ فيما يبدو ـ يمارس القتال المجهد فيها.

وأما احتمال أن يكون المراد هو: مشقات قطع المسافات الطويلة من المدينة إلى مؤتة، فهو بعيد عن الذهن، وليس له ما يؤيده.

ويؤيد ذلك: ما سيأتي من أن المسلمين اعتمدوا أسلوب مبارزة الفرسان، وهي طريقة ممتعة، يظهر فيها الفرسان شجاعتهم، ويقدمون فيها عروضاً شيقة لفنون الحرب والقتال وتوجب طول أمد الحرب..

ولعل المسلمين أظهروا فيها براعة نادرة، وشجاعة فريدة.. فقل شهداؤهم، وكثرت القتلى من أعدائهم، وربما كان لابن رواحة سهم وافر في هذا المجال..

---

(١) راجع: السيرة الحلبية ج٣ ص٦٧ وسبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٥١.

ثم اختار الأعداء أسلوب الهجوم الشامل.. فقتل القادة آنئذٍ.. وربما تكون بوادر النصر قد بدأت بالظهور، فضيعها خالد.

هزيمة خالد:

وبعد أن استشهد عبد الله بن رواحة بادر خالد بن الوليد فأخذ الراية وانهزم بها وتبعه سائر الناس، ولكن هناك من سعى لتزوير الحقيقة وإيهام الناس بعكسها، ونحن نذكر ذلك، ونبين وجه الحق فيه في الفصل التالي.

الآن حمي الوطيس:

وحول القول المنسوب لرسول الله «صلى الله عليه وآله» وهو يصف للمسلمين ما يجري في مؤتة: «الآن حمي الوطيس»، قال ابن أبي الزناد ما يلي:

«بلغت الدماء بين الخيل موضع الأشاعر من الحافر. والوطيس أيضاً ذاك. وإذا حمي ذلك الموضع من الدابة كان أشد لعدوها»[1].

ونحسب: أننا لسنا بحاجة إلى التعليق على هذه الروايات المغرقة في غرابتها، ولكن الأغرب منها: أن يبادر المؤرخون والمحدثون إلى إيرادها في كتبهم وفي مجاميعهم الحديثية والتاريخية، وغيرها، ويقدمونها للناس على أنها هي الحقائق الناصعة، وذلك من أجل أن تبقى حقيقة فرار خالد عن الناس ضائعة..

ولست أدري كيف يمكن أن يخبر النبي «صلى الله عليه وآله» عن بلوغ الدماء موضع الأشاعر، وهو يرى ما يجري عياناً، بعد أن رفع الله تعالى له

---

(١) المغازي للواقدي ج٢ ص٧٦٤ وراجع: البحار ج٢١ ص٦٢.

كل خفيض، وخفض كل رفيع، ثم يرى الناس يظلمون هؤلاء المجاهدين ويطردونهم.. ثم لا يدافع عنهم؟! بل إنهم حتى لو كانوا قد هربوا من ساحة المعركة فإنهم لم يرتكبوا بذلك حراماً، بعد أن كان عدوهم يزيدهم بعشرات الأضعاف. كما أشرنا إليه أكثر من مرة..

وذلك يدل على عدم صحة ما زعموه، وأن الصحيح هو أن خالداً قد فرَّ بهم لحظة استشهاد القادة..

وتتأكد الشكوك في صحة هذه المزاعم حين نقارن بين عدد شهداء المسلمين وبين ما يزعم من أن الدماء قد بلغت الأشاعر من حوافر الخيل!!

شهداء مؤتة:

أما بالنسبة للذين استشهدوا من المسلمين في سرية مؤتة فهم:

جعفر بن أبي طالب، وزيد بن حارثة، وعبد الله بن رواحة، ومسعود بن الأسود بن حارثة (بن نضلة)، ووهب بن سعد بن أبي سرح، وعباد بن قيس، والحارث بن النعمان (بن إساف بن نضلة)، وسراقة بن عمرو بن عطية (بن خنساء)[1].

وزاد ابن هشام نقلاً عن ابن شهاب الزهري:

أبا كليب، أو كلاب بن عمرو بن زيد، وأخاه جابر بن عمرو بن زيد،

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٥٤ والسيرة النبوية لابن هشام ج٣ ص٨٤٠ وعن البداية والنهاية ج٤ ص٢٩٥ وعن تاريخ مدينة دمشق ج٢٥ ص٣٣٠ وعن عيون الأثر ج٢ ص١٦٩ والسيرة النبوية لابن كثير ج٢ ص٤٩٨.

وعمرو، وعامر ابنا سعد بن الحارث[1].

وزاد الكلبي والبلاذري: هوبجة بن بجير الضبي. ولما قتل فقد جسده، ولا ذِكر لهوبجة فيما وقفت عليه من نسخ الإصابة للحافظ، ولا القاموس. مع ذكر الذهبي له في التجريد، وأن له وِفادة وهجرة[2].

وزاد ابن سعد، والعدوي، وابن جرير الطبري: زيد بن عبيد بن المعلى الأنصاري[3].

وزاد ابن إسحاق، كما في الإصابة، وجزم به في الزهر: عبد الله بن سعيد بن العاص بن أمية.

قال ابن الأثير: قتل باليمامة في الأكثر.

وقال الذهبي: الأصح ببدر.

وقيل: باليمامة.

وقيل: بمؤتة[4].

وزاد ابن الكلبي، وابن سعد، والزبير بن بكار: هبار بن سفيان بن عبد

---

(١) عن البداية والنهاية ج٤ ص٢٩٥ وسبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٥٤ والسيرة النبوية لابن هشام ج٣ ص٨٤٠ وعن وعن تاريخ مدينة دمشق ج٢٥ ص٣٣٠ وعن عيون الأثر ج٢ ص١٦٩ والسيرة النبوية لابن كثير ج٢ ص٤٩٨.

(٢) عن أسد الغابة ج٥ ص٧٤ وسبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٥٤.

(٣) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٥٥ وعن تاريخ مدينة دمشق ج١٩ ص٤٥٠ وعن الإصابة ج٢ ص٥٠٧.

(٤) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٥٥ وعن تاريخ مدينة دمشق ج٢٩ ص٥٥ و ٧٥ وعن الإصابة ج٢ ص٨٩.

الأسد المخزومي، وقال عروة، وابن شهاب الزهري، وابن إسحاق، وابن سعد: استشهد بأجنادين[١].

وقال سيف بن عمر: استشهد باليرموك[٢].

وزاد ابن عقبة: عبد الله بن الربيع الأنصاري[٣]، ومعاذ بن ماعص[٤].

ووقع في نسخة من مغازي موسى بن عقبة: أن الذي استشهد بمؤتة أخوه عباد[٥].

وقال في البداية، بعد أن ذكر جميع من قتل بمؤتة من المسلمين: (فالمجموع على القولين) اثنا عشر رجلاً[٦].

وهذا عظيم جداً أن يتقاتل جيشان متعاديان في الدين، أحدهما وهو الفئة التي تقاتل في سبيل الله تعالى عدتها ثلاثة آلاف، وأخرى كافرة عدتها

---

(١) الطبقات الكبرى ج٤ ص١٣٥ وعن البداية والنهاية ج٧ ص٤١ وسبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٥٥ والسيرة النبوية لابن هشام ج٣ ص٨٢٢ وعن تاريخ مدينة دمشق ج٢٩ ص٧٠ وج٣٧ ص٤٦٧ وتاج العروس ج٣ ص٦٠٩ وعن الإصابة ج٦ ص٤١٤.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٥٥ وعن الإصابة ج٦ ص٤١٤.

(٣) عن تاريخ مدينة دمشق ج٢٨ ص٧٨ وسبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٥٥.

(٤) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٥٥ وعن الإصابة ج٦ ص٤١٤ وعن تاريخ مدينة دمشق ج٢٦ ص٢٣٧ وج٥٨ ص٤٦٧ و ٤٧٠ وفي ج٢ ص١١ عباد بن ناعص.

(٥) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٥٥ وعن الإصابة ج٦ ص١١٤.

(٦) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٥٥ وعن البداية والنهاية ج٤ ص٢٩٥ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٤٨٩.

مائتا ألف مقاتل: من الروم مائة ألف، ومن نصارى العرب مائة ألف، يتبارزون ويتصاولون، ثم مع هذا كله لا يقتل من المسلمين سوى اثني عشر رجلاً، وقتل من المشركين خلق كثير، هذا خالد وحده يقول:

«لقد اندقت في يدي يومئذٍ تسعة أسياف وما صبرت في يدي إلا صفيحة يمانية».

فماذا ترى قد قتل بهذه الأسياف كلها؟

دع غيره من الأبطال والشجعان[1].

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٥٤ و ١٥٥ وعن البداية والنهاية ج٤ ص٢٩٥ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص١٨٩.

الفصل الثالث:

خالد يضيع النصر الأعظم

الفصل الثالث:

[illegible]

الإنحياز، أم النصر والفتح؟!

لقدِ وضع محبو خالد خطة تهدف إلى حفظ ماء وجهه، حتى لو كان ثمن ذلك هو تضييع الحق وتزوير التاريخ، والخطة هي التالية:

أن يدَّعوا: أن الذي حصل هو أحد أمرين: إما مجرد الانحياز والمحاشاة، ثم الانصراف. وإما النصر والفتح على يد خالد.

ثم يتم تضعيف دعوى المحاشاة، وادعاء أن الصحيح هو الفتح، وتحقيق النصر على يد خالد بن الوليد..

فنحن نبدأ بذكر ما قالوه وما استدلوا به، ثم نعقب ذلك بالنصوص المصرحة بالحقيقة، وبيان زيف دعواهم وبطلانها، وذلك على النحو التالي:

قال ابن إسحاق: «فلما أخذ الراية خالد بن الوليد دافع القوم، وحاشى بهم، ثم انحاز، وانحيز عنه، وانصرف الناس»[1].

وعلى حد تعبير الزهري: «ثم أخذ اللواء خالد بن الوليد، فناوش

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٣ ص٤٦٣ وج٦ ص١٥١ والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص٢٧ وراجع: ما عن المصادر التالية: تاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٣٢٢ والسيرة النبوية لابن هشام ج٣ ص٨٣٤ وعن فتح الباري ج٧ ص٣٩٥ والبداية والنهاية ج٤ ص٢٧٩ وعيون الأثر ج٢ ص١٦٧.

القوم، وراوغهم حتى انحاز بالمسلمين منهزماً، ونجا بهم من الروم»[1].

قالوا: هكذا ذكر ابن إسحاق: أنه لم يكن إلا المحاشاة والتخلص من أيدي الروم الذين كانوا مع من انضم إليهم أكثر من مائتي ألف، والمسلمون ثلاثة آلاف. ووافق ابن اسحاق على ذلك شرذمة.

وعلى هذا سمي هذا نصراً وفتحاً، باعتبار ما كانوا فيه من إحاطة العدو، وتراكمهم، وتكاثرهم عليهم. وكان مقتضى العادة أن يقتلوا بالكلية[2].

وهو محتمل، لكنه خلاف الظاهر من قوله «صلى الله عليه وآله»: «حتى فتح الله عليكم»[3].

وقد لوحظ: أنهم حين يريدون الحديث عن الهزيمة يقتصرون على خصوص عبارة ابن إسحاق التي جاءت ملطفة ومخففة إلى حد كبير، ثم يصفون سائر الذين صرحوا بالهزيمة بأنهم شرذمة. نعم مجرد شرذمة بنظرهم.. ثم يواصلون توجيه الكلام بطريقة توحي بأن النصر أمر مسلَّم، لكن الاختلاف إنما هو في كيفيته ومداه.

فيزعمون: أن سبب تسمية ما جرى في مؤتة نصراً هو تمكن المسلمين من الإفلات من يد تلك الكثرة الهائلة، وأن هذا هو ما يقصده ابن إسحاق، وأنه محتمل، ولكنه خلاف الظاهر.

---

(١) البحار ج٢١ ص٥٠ و ٥١ وعن أمالي الطوسي ص٨٧ و ٨٨ و (ط دار الثقافة) ص١٤١ وراجع: بشارة المصطفى ص٤٣٢.

(٢) السيرة الحلبية ج٣ ص٦٨ وسبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٥٠.

(٣) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٥٠ وفي هامشه عن البخاري ج٧ ص٥٨٥. وراجع: البخاري ج٥ ص٨٧.

ومهما يكن من أمر، فإنهم استدلوا على النصر في مؤتة بما يلي:

دلائل انتصار خالد:

وقالوا أيضاً: والأكثرون على أن خالداً ومن معه قاتلوا المشركين حتى هزموهم.

ففي حديث أبي عامر عند ابن سعد وغيره: أن عبد الله بن رواحة لما قتل «انهزم المسلمون أسوأ هزيمة رأيتها قط. (في كل وجه)، حتى لم أر اثنين جميعاً. ثم أخذ اللواء رجل من الأنصار، (يقال له: ثابت بن أرقم، فجعل يصيح بالأنصار)، ثم سعى به حتى إذا كان أمام الناس، ركزه ثم قال: إليَّ أيها الناس.

فاجتمع إليه الناس، حتى إذا كثروا مشى باللواء إلى خالد بن الوليد.

فقال له خالد: لا آخذه منك، أنت أحق به.

فقال الأنصاري: والله ما أخذته إلا لك.

فأخذ خالد اللواء من الأنصاري، و «حمل على القوم، فهزمهم الله أسوأ هزيمة رأيتها قط. حتى وضع المسلمون أسيافهم حيث شاءوا، (وأظهر الله المسلمين)»[1].

فأتيت رسول الله «صلى الله عليه وآله» فأخبرته، فشق ذلك عليه،

---

(١) الطبقات الكبرى ج٢ ص١٣٠ وسبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٥٠ والسيرة الحلبية ج٣ ص٦٧ عن ابن سعد، وراجع: تاريخ الخميس ج٢ ص٧٢ والبحار ج٢١ ص٦٢ وشرح النهج للمعتزلي ج١٥ ص٦٨ وتاريخ المدينة ج٢ ص١٤ وج١١ ص١٠٧.

فصلى الظهر ثم دخل الخ..

وروى الطبراني برجال ثقات، عن موسى بن عقبة، قال: ثم اصطلح المسلمون بعد أمراء رسول الله «صلى الله عليه وآله» على خالد بن الوليد المخزومي، فهزم الله تعالى العدو، وأظهر المسلمين[1].

وروى محمد بن عمر الأسلمي، عن عطاف بن خالد: لما قتل ابن رواحة مساءً، بات خالد بن الوليد، فلما أصبح غدا، وقد جعل مقدمته ساقته، وساقته مقدمته، وميمنته ميسرة، وميسرته ميمنة، فأنكروا ما كانوا يعرفون من راياتهم وهيأتهم، وقالوا: قد جاءهم مدد، فرعبوا وانكشفوا منهزمين.

قال: فقتلوا مقتلة لم يقتلها قوم.

وفي نص آخر: فتبعهم المسلمون يقتلونهم كيف شاءوا، فغنم المسلمون من أموالهم، فرجعوا إلى المدينة[2].

وذكر ابن عائذ في مغازيه نحوه[3].

وروى محمد بن عمر، عن الحارث بن الفضل: لما أخذ خالد بن الوليد

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٥١ وعن فتح الباري ج٧ ص٣٩٥ وتاريخ مدينة دمشق ج٢ ص١٠ وعن البداية والنهاية ج٤ ص٢٨٢ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٤٦٨.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٥١ وتاريخ الخميس ج٢ ص٧٢ وتاريخ مدينة دمشق ج٢ ص١٥ وعن البداية والنهاية ج٤ ص٢٨٢.

(٣) راجع ما تقدم في: سبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٥١ والمغازي للواقدي ج٢ ص٧٦٤ والسيرة الحلبية ج٣ ص٦٧ وتاريخ الخميس ج٢ ص٧٢.

الراية قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «الآن حمي الوطيس»[١].

وروى الحاكم في المستدرك، عن أبي هريرة، وأبي سعيد الخدري، وهذا الذي ذكره أبو عامر والزهري، وعروة، وابن عقبة، وعطاف بن خالد، وابن عائذ، وغيرهم، هو ظاهر قوله «صلى الله عليه وآله» في حديث أنس: «ثم أخذ الراية سيف من سيوف الله، ففتح الله على يديه»[٢].

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٥١ وفي هامشه قال: أخرجه مسلم ج٣ ص١٣٩٨ كتاب الجهاد (٧٦ ـ ١٧٧٥) من حديث عباس، وأحمد في المسند ج١ ص٢٠٧ وعبد الرزاق (٩٧٤١). وراجع: المغازي للواقدي ج٢ ص٧٦٤ والسيرة الحلبية ج٣ ص٦٨ وكنز العمال ج٤ ص٢٥٣ والطبقات الكبرى ج٢ ص١٢٩ وج٤ ص٢٥٣ وتاريخ مدينة دمشق ج١٦ ص٢٣٨ وعن البداية والنهاية ج٤ ص٢٨٢ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٤٦٧.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٥١ و ١٥٣ وفي هامشه قال: أخرجه البخاري (٤٢٦٢)، وراجع: السيرة الحلبية ج٣ ص٦٧ وتاريخ الخميس ج٢ ص٧٢ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٤٦٨ و ٤٨٢ و ٤٧٦ و ٤٦٩ وعن البداية والنهاية ج٧ ص١٢٩ وج٤ ص٢٨٣ و و ٢٨٨ و ٢٩١ ومسند أحمد ج١ ص٢٠٤ وعن صحيح البخاري ج٤ ص٢١٨ وج٥ ص٨٧ والمستدرك للحاكم ج٣ ص٢٩٨ ومجمع الزوائد ج٩ ص٣٤٩ وعن فتح الباري ج٧ ص٣٩٤ وتحفة الأحوذي ج٨ ص١١٣ وج١٠ ص٢٣٣ والآحاد والمثاني ج٢ ص٢٥ وعن السنن الكبرى للنسائي ج٥ ص١٨٠ والمعجم الكبير ج٢ ص١٠٦ وج٤ ص١٠٤ وكنز العمال ج١٠ ص٣٨٦ و ٥٥٩ وراجع الدر المنثور ج٢ ص٢٤٥ والطبقات الكبرى ج٤ ص٣٧ والتاريخ الصغير ج١ ص٤٩ وتاريخ مدينة دمشق ج٢٧ ص٢٥٥ وعن أسد الغابة ج٢ ص٩٤.

وفي حديث أبي قتادة مرفوعاً كما سيأتي: ثم أخذ خالد بن الوليد اللواء، ولم يكن من الأمراء، هو أمَّر نفسه. ثم رفع رسول الله «صلى الله عليه وآله» إصبعه، ثم قال: «اللهم إنه سيف من سيوفك فانصره»[1].

وعند الحلبي أنه «صلى الله عليه وآله» قال: «ثم أخذ الراية خالد بن الوليد، نعم عبد الله وأخو العشيرة، وسيف من سيوف الله سله الله على الكفار والمنافقين، من غير إمرة حتى فتح الله عليهم»[2].

فمن يومئذٍ سمي خالد بن الوليد «سيف الله»[3]، رواه الإمام أحمد برجال ثقات.

ويزيده قوة، ويشهد له بالصحة، ما رواه الإمام أحمد، ومسلم، وأبو داود، والبرقاني، عن عوف بن مالك الأشجعي، قال: «خرجت [مع من خرجِ] مع زيد بن حارثة في غزوة مؤتة، ورافقني مددي من المسلمين من اليمن، ليس معه غير سيفه. فنحر رجل من المسلمين جزوراً، فسأله المددي

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٥١ وقال في هامشه: أخرجه البيهقي في الدلائل ج٤ ص٣٦٨ وابن أبي شيبة في المصنف ج١٤ ص٥١٣ وراجع: السيرة الحلبية ج٣ ص٦٧ وفضائل الصحابة ص٤٤ وعن مسند احمد ج٥ ص٢٩٩ و ٣٠١ وراجع: المصنف لابن أبي شيبة ج٨ ص٥٤٦ وسنن النسائي ج٥ ص٦٩ وصحيح ابن حيان ج١٥ ص٥٢٣ وتاريخ مدينة دمشق ج١٦ ص١٦ وسير أعلام النبلاء ج١ ص٢٠٩ وج٤ ص٦٠ وعن تاريخ الطبري ج٣ ص٣٢٢ وعن البداية والنهاية ج٤ ص٢٨١ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٤٦٦.

(٢) السيرة الحلبية ج٣ ص٦٨.

(٣) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٥١ وتاريخ الخميس ج٢ ص٧٢.

طائفة من جلد، فأعطاه إياه، فاتخذه كهيئة الدرقة، ومضينا، ولقينا جموع الروم، فيهم رجل على فرس له أشقر، عليه سرج مذهب، وسلاح مذهب، فجعل الرومي يسل على المسلمين، ويغري بهم، فقعد له المددي خلف صخرة، فمر به الرومي، فعرقب فرسه بسيفه، وخر الرومي، فعلاه بسيفه فقتله، وحاز سلاحه، وفرسه.

فلما فتح الله تعالى على المسلمين بعث إليه خالد بن الوليد، فأخذ منه بعض السلب.

قال عوف: فأتيت خالداً، وقلت له: أما علمت أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قضى بالسلب للقاتل؟

قال: بلى، ولكني استكثرته.

فقلت: لتردنه، أو لأعرفنكها عند رسول الله «صلى الله عليه وآله».

فأبى أن يرد عليه.

قال عوف: فاجتمعنا عند رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فقصصت عليه قصة المددي وما فعل خالد، فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «ما صنعت»؟

قال: استكثرته.

قال: «رد عليه ما أخذت منه».

قال عوف: دونكها يا خالد، ألم أف لك؟

[فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «وما ذاك»؟

فأخبرته].

فغضب رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وقال: «يا خالد، لا ترد عليه.

هل أنتم تاركون أمرائي؟ لكم صفوة أمرهم، وعليهم كدره»[1].

الغنائم دليل النصر:

وقالوا أيضاً: روى محمد بن عمر، والحاكم في الإكليل، عن جابر رضي الله تعالى عنه، قال: أصيب بمؤتة ناس من المسلمين، وغنم المسلمون بعض أمتعة المشركين، وكان فيما غنموا خاتم جاء به رجل الى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فقال: قتلت صاحبه يومئذ.

فنفله رسول الله «صلى الله عليه وآله» إياه[2].

وتقدم في حديث عوف بن مالك ما يشير إلى ذلك آنفاً.

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٥١ و ١٥٢ وقال في هامشه: أخرجه مسلم ٣ ص٤٧٣ كتاب الجهاد وذكر بعضه الواقدي في المغازي ج٢ ص٧٦٨.

وراجع: نيل الأوطار ج٨ ص٩٦ و ٩٧ وعن صحيح مسلم ج٥ ص١٤٩ ومسند أبي داود ج١ ص٦١٨ وعون المعبود ج٧ ص٢٧٨ وكنز العمال ج١٠ ص٣٨٥ و ٣٨٦ والجامع لأحكام القرآن ج٨ ص٨ وسير أعلام النبلاء ج٢ ص٤٨٨ والمغني لابن قدامة ج١٠ ص٤٣٠ والمحلى لابن حزم ج٧ ص٣٣٨ وعن مسند أحمد ج٦ ص٢٨ وسنن أبي داود ج١ ص٦١٨ وعن المعبود ج٧ ص٢٧٨ وشرح معاني الآثار ج٣ ص٢٣١ وصحيح ابن حبان ج١١ ص١٧٦ ومسند الشاميين ج١ ص٢٧٥ وعن نصب الراية ج٤ ص٣٠١ وراجع: كنز العمال ج١٠ ص٣٨٦ وعن أحكام القرآن للجصاص ج٣ ص٧١ وتاريخ مدينة دمشق ج٦٨ ص٩٠ وعن البداية والنهاية ج٤ ص٢٨٥ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٤٧٢.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٥٢ والمغازي للواقدي ج٢ ص٧٦٨ والسنن الكبرى ج٦ ص٣٠٩ وتاريخ مدينة دمشق ج٤١ ص١٦.

وروى محمد بن عمر، عن خزيمة بن ثابت قال: «حضرت مؤتة، فبارزني رجل منهم يومئذٍ، فأصبته وعليه بيضة له فيها ياقوتة، فلم تكن همتي إلا الياقوتة، فأخذتها. فلما رجعنا إلى المدينة أتيت بها رسول الله «صلى الله عليه وآله» فنفلنيها، فبعتها زمن عثمان بمائة دينار، فاشتريت بها حديقة نخل»(١).

قال في البداية: «وهذا يقتضي أنهم غنموا منهم، وسلبوا من أشرافهم، وقتلوا من أمرائهم»(٢).

وروى البخاري عن خالد، قال: «لقد اندقت في يدي يوم مؤتة تسعة أسياف، وما ثبت في يدي إلا صفيحة يمانية»(٣).

---

(١) المغازي للواقدي ج٢ ص٧٦٩ والسنن الكبرى ج٦ ص٣٠٩ وسبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٥٢ و ١٥٦ وراجع: كنز العمال ج١٠ ص٥٥٥ وعن فتح الباري ج٧ ص٣٩٥ وتاريخ مدينة دمشق ج١٦ ص٣٥٩ وسير أعلام النبلاء ج٢ ص٤٦٨ (لكن بدل زمن عثمان زمن عمر).

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٥٢ و ١٥٦ وعن البداية والنهاية ج٤ ص٣٨٥ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٤٧٨.

(٣) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٥٢ وفي هامشه قال: أخرجه البخاري ج٧ ص٥٨٨، وراجع: السيرة الحلبية ج٣ ص٦٧ وتاريخ الخميس ج٢ ص٧٣ والإستيعاب (مطبوع مع الإصابة) ج١ ص٤٠٨ والإصابة ج١ ص٤١٤ وج٢ ص٢١٨ والمصنف لابن أبي شيبة ج٤ ص٥٨٢ وج٧ ص٥٧٩ وج٨ ص٥٤٨ والمعجم الكبير ج٤ ص١٠٤ ورياض الصالحين ليحيى بن شرف النوري ص٧١٧ والطبقات الكبرى ج٤ ص٢٥٣ وج٧ ص٣٩٥ وتاريخ مدينة دمشق ج١٦ ص٢٤٨ و ٢٤٩ وعن البداية والنهاية ج٤ ص٢٨١ و ٢٨٥ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٤٦٥ و ٤٧٢.

وهذا يقتضي أنهم أثخنوا فيهم قتلاً، ولو لم يكن كذلك لما قدروا على التخلص منهم، إذ كان المسلمون ثلاثة آلاف، والمشركون أكثر من مائتي ألف، وهذا وحده دليل مستقل[1].

وقال الحلبي: وفي رواية: أصاب خالد منهم مقتلة عظيمة، وأصاب غنيمة.

وهذا لا يخالف ما يأتي أن طائفة منهم فروا إلى المدينة لما عاينوا كثرة جموع الروم، فصار أهل المدينة يقولون لهم: أنتم الفرارون[2].

وقد ذكر ابن إسحاق: أن قطبة بن قتادة العذري، الذي كان على ميمنة المسلمين حمل على مالك بن زافلة، ويقال: ابن رافلة، وهو أمير أعراب النصارى، فقتله، وقال قطبة يفتخر بذلك:

طعنت ابن رافلة ابن الإراش ... برمح مضى فيه ثم انحطم

ضربت على جيده ضربة ... فمال كما مال غصن السلم

وسقنا نساء بني عمه ... غداة رقوقين سوق النعم

وهذا يؤيد ما نحن فيه، لأن من عادة أمير الجيش إذا قتل أن يفر أصحابه، ثم إنه صرح في شعره بأنهم سبوا من نسائهم، وهذا واضح فيما

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٥٢ و ١٥٦ وراجع: السيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٤٧٢ وعن البداية والنهاية ج٤ ص٢٨٥.

(٢) السيرة الحلبية ج٢ ص٦٨ وراجع: البداية والنهاية ج٤ ص٢٤٩ تاريخ مدينة دمشق ج١٦ ص٢٣٠ وراجع: سبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٥٦ وعن السيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٤٧١ وعن البداية والنهاية ج٤ ص٢٨٤.

ذكرناه[1].

وعن أنس قال: نعى رسول الله «صلى الله عليه وآله» وهو على المنبر زيداً، وجعفراً، وابن رواحة للناس يوم أصيبوا قبل أن يأتيه خبرهم، فقال:

«أخذ الراية زيد فأصيب، ثم أخذها جعفر فأصيب، ثم أخذها ابن رواحة فأصيب، وعيناه تذرفان، حتى أخذ الراية سيف من سيوف الله، ففتح الله عليهم»[2].

وروى النسائي، والبيهقي، عن أبي قتادة قال: «بعث رسول الله «صلى الله عليه وآله» جيش الأمراء، فانطلقوا فلبثوا ما شاء الله، فصعد رسول الله «صلى الله عليه وآله» المنبر، فنودي: الصلاة جامعة. فاجتمع الناس إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فقال:

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٥٢ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٤٧٢ و ٤٧٣ وتاريخ مدينة دمشق ج٤٩ ص٣٣٧ والبداية والنهاية ج٤ ص٢٨٥ وعن السيرة النبوية لابن هشام ج٣ ص٨٣٥.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٥٣ عن البخاري والبيهقي، وفي هامشه: عن البخاري ج٧ ص٩٢ وراجع: تاريخ الخميس ج٢ ص٧٢ ومسند أحمد ج٣ ص١١٣ والسنن الكبرى للبيهقي ج٨ ص١٥٤ ومستدرك الحاكم ج٣ ص٤٢ وطبقات ابن سعد ج٤ ق١ ص٢٥ ونيل الأوطار ج٤ ص٩٦ وراجع: المناقب لابن شهرآشوب ج١ ص٩٤ وأحكام الجنائز ص١٦٦ وعن صحيح البخاري ج٥ ص٨٧ وتحفة الأحوذي ج٨ ص١١٣ وج١٠ ص٢٣٣ والكامل لابن عدي ج٢ ص٢٧٦ وعن البداية والنهاية ج٤ ص٢٨٠ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٤٦٣.

«أخبركم عن جيشكم هذا. إنهم انطلقوا فلقوا العدوفقتل زيد شهيداً، فاستغفر له. ثم أخذ اللواء جعفر فشدَّ على القوم حتى قتل شهيداً، فاستغفر له، ثم أخذه خالد بن الوليد، ولم يكن من الأمراء، هو أمر نفسه».

ثم قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «اللهم إنه سيف من سيوفك فأنت تنصره». فمن يومئذ سمي خالد: «سيف الله»[1].

صمود ونصر، أو مجرد انحياز:

فاتضح مما تقدم: أن سياق حديث هؤلاء يسير باتجاه الإيحاء بأن الذي كان في مؤتة هو إما الانحياز والمحاشاة، أو النصر والفتح.. ثم يصرحون بعدم صحة الأول، ويؤكدون على صحة الثاني، كما رأينا..

غير أننا نقول:

إن هؤلاء الناس أنفسهم قد ساقوا لنا طائفة من الدلائل والشواهد على أن الأمر لم يكن كما زعموا، وإن كان ربما يلاحظ في بعضه سعي لحفظ

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٥٣ والسيرة الحلبية ج٣ ص٦٧ والكامل في التاريخ ج٢ ص وأحكام الجنائز ص٣٣ وفضائل الصحابة ص ١٨ و ٥٣ وعن مسند أحمد ج٥ ص ٢٩٩ و ٣٠١ ومجمع الزوائد ج٦ ص١٥٦ وعن فتح الباري ج٧ ص٣٩٤ والمصنف ج٨ ص٥٤٦ والسنن الكبرى ج٥ ص٤٨و ٦٩ و ٧٧ وصحيح ابن حبان ج١٥ ص٥٢٣ وكنز العمال ج١٠ ص٣٨٧ و ٥٥٦ والطبقات الكبرى ج٧ ص٣٩٥ وتاريخ مدينة دمشق ج٢ ص١٧ وج١٦ ص٢٣٨ وسير أعلام النبلاء ج١ ص٢٠٩ وج٤ ص٦٠ وعن تاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٣٢٢ والبداية والنهاية ج٤ ص٢٨١ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٤٦٦.

ماء الوجه بطريقة أو بأخرى..

كما أن نفس تلك النصوص التي أرادوا منها أن تدلل على صحة ما قالوه وتؤيده قد جاء أكثرها عاجزاً عن ذلك، كما سيتضح إن شاء الله تعالى.

تهافت بلا مبرر:

إن هناك العديد من الموارد قد تخالف ما سبق وقد ظهر فيها أيضاً التهافت حتى في الرواية الواحدة، فلاحظ ما يلي:

١ ـ حدث رجل من بني مرة، كان في الجيش. قيل له: إن الناس يقولون: إن خالداً انهزم من المشركين.

فقال: لا والله، ما كان ذلك. لما قتل ابن رواحة، نظرت إلى اللواء قد سقط، واختلط المسلمون والمشركون، فنظرت إلى اللواء في يد خالد منهزماً، واتبعناه فكانت الهزيمة[1].

٢ ـ ويروي الواقدي عن محمد بن صالح، عن رجل من العرب عن أبيه: أنه لما قتل ابن رواحة انهزم المسلمون أسوأ هزيمة رأيتها قط، في كل وجه، ثم تراجعوا، وكان ثابت بن أقرم قد أخذ اللواء.. ثم أعطاه لخالد «فأخذه خالد، فحمله ساعة، وجعل المشركون يحملون عليه، فثبت حتى تكركر المشركون، وحمل بأصحابه، ففض جمعاً من جمعهم، ثم دهمه منهم بشر كثير، فانحاش المسلمون، فانكشفوا راجعين»[2].

---

(١) المغازي ج٢ ص٧٦٢ و ٧٦٣ وتاريخ مدينة دمشق ج٦٨ ص٨٧.

(٢) المغازي للواقدي ج٢ ص٧٦٣ وسبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٥٠ وتاريخ الخميس ج٢ ص٧٢ والبحار ج٢١ ص٦٢ وتاريخ مدينة دمشق ج٢ ص١٥ وج١١ ص١٠٨.

قال ابن إسحاق: ثم أخذ الراية ثابت بن أقرم أخو بني العجلان، فقال: يا معشر المسلمين، اصطلحوا على رجل منكم.

فقالوا: أنت.

قال: ما أنا بفاعل.

فاصطلح الناس على خالد بن الوليد[1].

وروى الطبراني عن أبي اليسر الأنصاري، قال: أنا دفعت الراية إلى ثابت بن أقرم لما أصيب عبد الله بن رواحة، فدفعت إلى خالد.

وقال [له ثابت بن أقرم]: أنت أعلم بالقتال مني[2].

وعند الواقدي: أنت رجل سن، وقد شهدت بدراً.

زاد الحلبي: «فقال له خالد: أنت أحق به مني، لأنك ممن شهد بدراً، ثم أخذه خالد ومانع القوم، وثبت، ثم انحاز كل من الفريقين عن الآخر من غير هزيمة على أحدهما»[3].

---

(١) المغازي للواقدي ج٢ ص٧٦٣ وتاريخ الخميس ج٢ ص٧٢ والسيرة النبوية ج٤ ص٢٧ ومجمع الزوائد ج٦ ص١٥٩ والثقات ج٢ ص٣٣ وعن تاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٣٢١ وعن البداية والنهاية ج٤ ص٢٧٩ وعن السيرة النبوية لابن هشام ج٣ ص٨٣٤ وعن عيون الأثر ج٢ ص١٦٧ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٤٦٣ وسبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٥٠.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٥٠ والسيرة الحلبية ج٣ ص٦٧ ومجمع الزوائد ج٦ ص١٥٧ وعن فتح الباري ج٧ ص٣٩٤ والمعجم الأوسط ج٢ ص١٧٩ وتاريخ مدينة دمشق ج١١ ص١٠٦ وعن أسد الغابة ج١ ص٢٢٠.

(٣) السيرة الحلبية ج٣ ص٦٧.

٣ ـ وعن ابن كعب بن مالك قال: حدثني نفر من قومي حضروا يومئذٍ، قالوا: لما أخذ خالد اللواء انكشف بالناس، فكانت الهزيمة، وقتل المسلمون، واتبعهم المشركون، فجعل قطبة بن عامر يصيح: يا قوم، يقتل الرجل مقبلاً أحسن من أن يقتل مدبراً، يصيح بأصحابه، فما يثوب إليه أحد، هي الهزيمة.

ويتبعون صاحب الراية منهزماً[1].

٤ ـ وعن أبي هريرة: لما قتل ابن رواحة، انهزم المسلمون، فجعل خالد يدعوهم في أخراهم، ويمنعهم عن الفرار، وهم لا يسمعون، حتى نادى قطبة بن عامر: أيها الناس، لأن يقتل الرجل في حرب الكفار، خير من ان يقتل حال الفرار، فلما سمعوا كلام قطبة تراجعوا[2].

طريق جمع فاشل:

وقد حاول بعضهم: أن يجمع بين هذه الروايات المختلفة والمتخالفة، فقال:

«هذا لا يخالف ما يأتي من أن طائفة منهم فروا إلى المدينة لما عاينوا كثرة جموع الروم، فصار أهل المدينة يقولون لهم: أنتم الفرارون»[3].

قال في البداية: لعل طائفة منهم فروا لما عاينوا كثرة جموع العدو، على ما ذكروه مائتي ألف، وكان المسلمون ثلاثة آلاف، ومثل هذا يسوغ الفرار.

فلما فر هؤلاء ثبت باقيهم، وفتح الله عليهم، وتخلصوا من أيدي

---

(١) المغازي للواقدي ج٢ ص٧٦٣ وتاريخ مدينة دمشق ج٤٩ ص٣٣٧.

(٢) تاريخ الخميس ج٢ ص٧٢.

(٣) السيرة الحلبية ج٣ ص٦٨ وراجع: البداية والنهاية ج٤ ص٢٤٩.

أولئك، وقتلوا منهم مقتلة عظيمة، كما ذكره الزهري، وموسى بن عقبة، والعطاف بن خالد، وابن عائذ.

وحديث عوف بن مالك السابق يقتضي أنهم غنموا منهم، وسلبوا من أشرافهم، وقتلوا من أمرائهم.

وقد تقدم فيما رواه البخاري: أن خالداً قال: «اندقت في يدي تسعة أسياف الخ..»، يقتضي أنهم أثخنوا فيهم قتلاً، ولو لم يكن كذلك لما قدروا على التخلص منهم، وهذا وحده دليل مستقل[1].

وقال الصالحي الشامي: أكثر الآثار تدل: على أن المسلمين هزموا المشركين، وفي بعضها أن خالداً انحاز بالمسلمين، وقد تقدم بيان ذلك.

قال الحافظ: ويمكن الجمع بأن يكون المسلمون هزموا جانباً من المشركين، وخشي خالد أن يتكاثر الكفار عليهم. فقد مر أنهم كانوا أ كثر من مائتي ألف، فانحاز عنهم حتى رجع بالمسلمين إلى المدينة[2].

وقال الحافظ ابن كثير في البداية: يمكن الجمع بأن خالداً لما انحاز بالمسلمين بات، ثم أصبح وقد غير بقية العسكر كما تقدم، وتوهم العدو أنهم قد جاءهم مدد، حمل عليهم خالد حينئذ فولوا فلم يتبعهم، ورأى الرجوع بالمسلمين مع الغنيمة الكبرى[3].

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٥٦ وراجع: البداية والنهاية ج٤ ص٢٤٩ وعن فتح الباري ج٧ ص٢٩٥ (وفيه أنهم أكثر من مائة ألف بدل مائتي ألف).

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٥٦ وعن فتح الباري ج٧ ص٣٩٥ (وفيه أنهم أكثر من مائة ألف بدل مائتي ألف).

(٣) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٥٨ و ١٥٩ والمغازي للواقدي ج٢ ص٧٦٤.

وقال الواقدي: «فانكشفوا منهزمين، فقتلوا مقتلة عظيمة، لم يقتلها قوم»[١].

غير أنه سيتضح: أن هذه التمحلات بعيدة جداً عن الواقع، وأن من نسب إليهم القول بحصول النصر والفتح على يد خالد ومن معه، لا تصح النسبة إلى معظمهم، أو لا يصح الاستدلال بقولهم.. فنسبة ذلك إليهم ما هو إلا تدليس ظاهر، من ماكر ماهر.

والذين نسب إليهم ذلك هم ـ كما زعموا ـ أبو عامر، وأبو هريرة، والزهري، وعوف بن مالك، وأنس، وابن عائذ، وعروة، وأبو سعيد الخدري، وعطاف بن خالد، وابن عقبة..

وسيتضح فيما يلي مطالب عدم صحة ذلك، إلا بالنسبة لبضعة أفراد لا يصل عددهم إلى عدد أصابع اليد الواحدة. بل إن بعضهم قد روى العكس، كما سنوضحه فيما يلي:

حديث جابر وخزيمة:

ورد في حديث جابر كلام عن اغتنام بعض أمتعة المشركين، وأن أحدهم غنم خاتماً، فجاء به إلى النبي «صلى الله عليه وآله» فنفله إياه[٢].

بالإضافة إلى حديث الياقوتة التي غنمها خزيمة بن ثابت، فنفله إياها

---

(١) المغازي للواقدي ج٢ ص٧٦٤ وتاريخ مدينة دمشق ج٢ ص١٥ وعن البداية والنهاية ج٤ ص٢٨٢ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٤٦٧ وسبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٥١.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٥٢ والمغازي للواقدي ج٢ ص٧٦٨.

رسول الله «صلى الله عليه وآله»[1] أيضاً..

وكلا الحديثين غير مفيد، وذلك لما يلي:

١ ـ إنه لو كان هناك نصر وفتح، وغنائم في مؤتة، فلابد أن يقسَّم في ساحة المعركة، بعد انتهاء الحرب، فما معنى أن يبقى ذلك الخاتم مع ذلك الرجل إلى المدينة، حتى يعرضه على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فينفله إياه؟!

ولماذا لم يعترض رسول الله «صلى الله عليه وآله» على ذلك الرجل، لأنه احتفظ بذلك الخاتم إلى هذا الوقت؟

ولماذا لم يسأله عن السبب في أنه لم يعلم به أمير الجيش حين اقتسام الغنائم؟!

٢ ـ إن رواية خزيمة تصرح بأن خزيمة قد قتل صاحب الياقوتة، وسلبه إياها، فهو من السلب الذي حكم رسول الله «صلى الله عليه وآله» بأنه للقاتل، وقد كان هذا الأمر معروفاً لدى الناس، كما ظهر من قصة عوف بن مالك مع خالد. فما معنى مراجعة رسول الله «صلى الله عليه وآله» في الياقوتة، لينفله إياها.

٣ ـ إن الحرب في مؤتة لم تكن عابرة، وبلا جهد وجهاد، من قبل جيش المسلمين، حتى لو كان هذا الجيش قد انهزم في نهاية الأمر متابعة منه لخالد بن الوليد حامل لوائه.

____

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٥٢ والمغازي للواقدي ج٢ ص٧٦٩ وكنز العمال ج١٠ ص٥٥٥ وتاريخ مدينة دمشق ج١٦ ص٣٥٩ وسير أعلام النبلاء ج٢ ص٤٨٦.

وقد ذكروا: أن ذلك الجيش بقي سبعة أيام يقاتل أعداءه إلى أن استشهد قادته الثلاثة. ومن الطبيعي أن يحصل بعضهم على بعض السلب ممن كانوا يقتلونهم من أفراد جيش العدو.. ثم كانت الهزيمة بعد ذلك على يد خالد، ولم يكن هناك اقتسام لغنائم، فجاء أولئك الأفراد ببعض ما حصلوا عليه إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ولعل قصة جابر، وخزيمة قد جاءت على هذا السياق.

٤ ـ إن رواية خزيمة نفسها تصرح بالهزيمة، فقد جاء فيها ـ حسب رواية البيهقي ـ قوله: «فأخذتها، فلما انكشفنا رجعنا إلى المدينة الخ..»[1].

فما معنى الاستدلال بهذه الرواية على صمودهم، وعلى حصول النصر والفتح لهم؟!

حديث عوف بن مالك:

وجاء في حديث عوف بن مالك الأشجعي: أن أحدهم قد غنم فرس وسلاح أحد المشركين.

ونقول:

١ ـ إن هذا أيضاً لا يدل على أنه قد غنم ذلك بعد استشهاد القادة، بل ظاهر الرواية: أن ذلك قد حصل بمجرد نشوب الحرب، وبمجرد التقاء المسلمين بجموع الروم.

---

(١) راجع: سبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٥٦ وراجع: شرح النهج ج١٤ ص٢٧٥ وكنز العمال ج١٠ ص٥٥٥ وتاريخ مدينة دمشق ج١٦ ص٣٥٩ وج٢٤ ص٣٩٧ وسير أعلام النبلاء ج٢ ص٤٨٦.

٢ ـ إن هذا الحديث مرفوض جملة وتفصيلاً، فإنه يكاد يكون صريحاً في ادِّعاء: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد تناقض في تصرفاته، إذ إنه إذا كان ـ كما يزعمون ـ قد خطَّأ خالداً في رأيه الأول، فكيف صح أن يعود إلى تصويبه أخيراً. فهل يصح تصويب الخطأ؟!

قال الصالحي الشامي: إنما رد «صلى الله عليه وآله» السلب إلى خالد بعد الأمر الأول بإعطائه للقا تل نوعاً من النكير، ودعا له، لئلا يتجرأ الناس على الأئمة.

وكان خالد مجتهداً في صنيعه ذلك، فأمضى رسول الله «صلى الله عليه وآله» اجتهاده لما رأى في ذلك من المصلحة العامة، بعد أن خطَّأه في رأيه الأول.

ويشبه أن يكون النبي «صلى الله عليه وآله» عوّض المددي من الخمس الذي هو له، وأرضى خالداً بالصفح عنه، وتسليم الحكم له في السلب[1].

ونقول:

ويلاحظ عليه: أنه يعترف بخطأ خالد في أخذه السلب من صاحبه، فردَّه النبي «صلى الله عليه وآله» عليه، ثم رأى أن من المصلحة أن يتراجع عن حكمه هذا. ويسترجع السلب من صاحبه مرة أخرى..

ثم لما رأى شناعة هذا الفعل ادَّعى من عند نفسه: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد عوَّض ذلك المددي من الخمس!!

ولا ندري من أين جاء بهذا الادعاء التاريخي الخيالي والموهوم، الذي

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٥٩.

يلزم منه نسبة السفه إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟! فإنه إذا كان «صلى الله عليه وآله» قد عوضه من الخمس، فلماذا يأخذ منه مالاً هو له، وحتى يجب عليه أن يعوض صاحبه عنه؟!

فإن قيل: إن السبب هو التأديب.

أجيب: بأن التأديب لا يحصل بهذا النحو من التصرف العبثي.

٣ ـ إنه إذا كان خالد بن الوليد هو الذي أمَّر نفسه، كما هو مجمع عليه عند المؤرخين؛ وكما صرحت به بعض الروايات.

فما معنى أن يغضب رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ويقول لعوف: «هل أنتم تاركون أمرائي لكم صفوة الخ..» فإن خالداً لم يكن أميراً من قبله «صلى الله عليه وآله»، وإذا كان الناس قد رضوا به أميراً، فعليه (أي على خالد) أن يلتزم بالحدود التي فوضوه التصرف فيها..

٤ ـ ما معنى أن ينسب إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» أنه قال عن أمرائه «لكم صفوة أمرهم، وعليهم كدره»؟! فهل ذلك يعني أنه لا يحق لأحد أن يعترض على الأمير إذ حكم بغير ما أنزل الله؟! وتصرف على خلاف ما يريده الله؟ وما جاء في سنة رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟!

كما هو الحال في هذا المورد بالذات؟!

٥ ـ وأي صفوٍ ظهر من خالد هنا، وهو يظلم شخصاً حقه الذي قرره له الشرع الشريف وسنه رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟!.. بل هو يصر على سلبه حقه هذا حتى بعد أن أخبره بأن رسول الله «صلى الله عليه وآله» هو الذي سن وقرر، وقضى بأن السلب للقاتل.. فهل هذا من صفو الأمر الذي يعود نفعه للناس؟!

وهل يصح توجيه اللوم والتأنيب إليهم، إذا لم يرضوا بهذا التعدي؟!

٦ ـ هل يمكن أن يتخيل أحد أن السلب إذا كان كثيراً فليس للقاتل أن يأخذه، وأن السلب القليل فقط هو الذي يكون له؟!

٧ ـ هل وعد عوف لخالد: بأنه سيعرِّفه الحكم الصحيح عند رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ثم تذكيره إياه بهذا الوعد، يستدعي هذا الغضب من النبي «صلى الله عليه وآله»؟! ويوجب إنزال هذه العقوبة به؟!

٨ ـ حتى لو كان عوف قد تجاوز الحد مع خالد، فهل هذا يبطل حقه بالسلب؟! وهل عقوبة من يتجاوز الحد بهذا النحو هي دفع هذه الغرامة المالية؟! أم أن العقوبة هي الحبس أو التعزير، أو ما إلى ذلك؟!

خالد يتحدث عن نفسه!!

وحديث خالد عن بطولاته أيضاً، حتى إن سبعة أسياف قد اندقت بيده، ولم تثبت بيده إلا صفيحة يمانية ـ إن ذلك ـ كله لا مجال لقبوله، وذلك لما يلي:

١ ـ جاءت الأخبار الكثيرة لتؤكد أن خالداً قد فر، بل كان أول الفارِّين.

٢ ـ إنه إنما يجرُّ بذلك النار إلى قرصه، ويسعى إلى تبرئة نفسه. ولا تقبل شهادة الإنسان لنفسه في القضاء، إلا إذا كان نبياً أو وصي نبي، أو ممن جاء الوحي الإلهي بقبول أقوالهم، وأخبر الله عن صدقهم..

وأما في غير القضاء، فلا بد أن تثبت وثاقة من يتحدث عن نفسه، وتقوم الشواهد على صدقه، وليس خالد من هؤلاء، فإنه قاتل مالك بن نويرة،

والزاني بامرأته، والمتحامل على أهل البيت «عليهم السلام»، والمشارك في مهاجمة بيت الزهراء «عليها السلام» إلى غير ذلك من موبقات..

٣ ـ إنه لم يصرح بالوقت الذي ظهرت فيه بطولاته هذه، فهل كانت بعد استشهاد القادة الثلاثة؟! أو كانت قبل ذلك؟!

فإن كانت في الأيام السبعة التي سبقت استشهادهم، فلا تفيد في دفع التهمة الواردة في النصوص، والدالة على أنه حين استشهد القادة آثر الفرار على الثبات..

٤ ـ لعل البطولات التي تحدث عنها خالد قد كانت في تلك القرية التي هاجموها حين عودتهم من مؤتة، وكان بها حصن أيضاً، فافتتحوه، وقتل خالد من كان فيه من المقاتلين، كما سنرى..

حديث قتل ابن رافلة:

والحديث القائل: إن قطبة بن قتادة العذري قد قتل مالك بن رافلة، لا يدل أيضاً على مطلوبهم، وذلك لما يلي:

١ ـ من الذي قال: إن قتل ابن رافلة قد كان بعد استشهاد القادة الثلاثة، فإن القتال قد دام سبعة ايام قبل استشهادهم حسبما استظهرناه. فلعله قتله في تلك الأيام السابقة.

٢ ـ إنهم قد ذكروا: أن الجيش قد هاجم ـ وهو عائد ـ قرية لها: حصن، فحاصروهم حتى فتحوا ذلك الحصن. وقتل خالد مقاتلتهم[1].

---

(١) تاريخ الخميس ج٢ ص٧٢ وسبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٥١ و ١٥٥ وعن فتح الباري ج٧ ص٣٩٥ وتاريخ مدينة دمشق ج٢ ص١٦.

فلعل ابن رافلة قد قتل في هذه المعركة.

٣ ـ أما حديث السبي الوارد في هذه الرواية، فأمره أكثر إشكالاً، وحديثه أكثر اعتلالاً، واختلالاً، فإنهم إذا كانوا قد سبوا أحداً فلماذا اختص ذلك ببنات عم أمير أعراب النصارى؟! ولماذا لم تُسْبَ آلاف النسوة اللواتي كن مع ذلك الجيش العظيم، الذي يدَّعون أنه قد هُزم على يد خالد وجيشه؟! حيث لابد أن تغص المدينة بهذا السبي الهائل!!

على أن الأهم من ذلك هو كيف يترك ذلك الجيش بنات عم أعظم أمراء نصارى الأعراب تسبين، ثم لا يلحق بالمسلمين لتخليصهن؟

٤ ـ إن الشعر المذكور في الرواية يدَّعي: أن سبي بنات عم ابن رافلة إنما حصل في الغارة على موضع سماه بـ «رقوقين» وقد بحثت عن هذا الاسم، فلم أجد فيما توفر لدي من مصادر شيئاً يفيد في تحديد معناه سوى أنه اسم موضع.

وقال الصالحي الشامي: «لم أجد له ذكراً فيما وقفت عليه من أسماء الأماكن»[1].

ومن الذي قال: إن هذا الموضع كان في مؤتة؟!

٥ ـ إن ما ذكره من أن ابن رافلة كان أمير أعراب النصارى، لا يتناسب مع ما يذكرونه من أن الحارث ابن أبي شمر الغساني كان هو الأمير الأكبر في تلك المنطقة، وكان عاملاً لقيصر ملك الروم..

إلا أن يقال: إنه كان أميرهم في القتال في تلك المعركة..

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٦٥.

إخبار النبي ﷺ عن الشهداء:

أما ما ذكروه: من أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد وصف المعركة للمسلمين، ونعى «صلى الله عليه وآله» زيداً، ثم جعفراً، ثم ابن رواحة، ثم أخبر عن أخذ خالد للراية، ووصفه بأنه: سيف من سيوف الله، ففتح الله عليهم.

نقول فيه:

١ـ قد تقدم: أن جعفراً كان هو الأمير الأول في مؤتة، وهذه الروايات تذكر تقدم زيد عليه، وهذا يشير إلى وجود تلاعب وتصرف في هذا الأمر، فلا يؤمن أن يكون التلاعب قد نال مواضع أخرى في الرواية أيضاً.

٢ ـ إذا كان خالد سيفاً من سيوف الله، وله هذه الشجاعة الفريدة، والهمة العتيدة، وهذا الأثر العظيم، فلماذا لم يوله القيادة معهم «صلى الله عليه وآله» قيادة الجيش من أول الأمر؟! بل هو لم يوله أصلاً؟!..

فهل يعقل أن يكون «صلى الله عليه وآله» قد فرط في أمر المسلمين، فولى من ليس أهلاً، وترك هذا الرجل العظيم؟!! مع علمه بموقعه، وبأثره، كما ظهر من وصفه له بأنه سيف من سيوف الله؟!!

أم أنه ـ والعياذ بالله ـ قد أراد التخلص من القادة الثلاثة بصورة غادرة وماكرة، لأسباب عجز التاريخ عن الإفصاح عنها؟! وهل يصح هذا المكر والغدر من أفضل الأنبياء وأشرف الخلق؟! وهل يكون مسلماً أو مؤمناً من يعتقد بالنبي أنه ـ والعياذ بالله ـ يغدر ويمكر؟!

ومن الذي قال: إن هذا الموضع قد كان في مؤتة؟!

٣ ـ وإذا كان «صلى الله عليه وآله» لا يميز بين من هو أهل للقيادة، وبين من ليس أهلاً لها، فالأمر يصبح أعظم وأدهى، لما يتضمنه من الطعن

في عقل وإدراك النبي الكريم «صلى الله عليه وآله»، نعوذ بالله من الخطأ والزلل، في الفكر والقول، والعمل.

٤ ـ وأما الحديث عن أن خالداً هو سيف الله، فستأتي الإشارة إلى أنه غير صحيح إن شاء الله تعالى.

٥ ـ وأي فتح كان على يد خالد سوى الفرار القبيح والمزري، الذي استحق به هو ومن معه أن يحثو أهل المدينة التراب في وجوههم، وأن يقاطعوهم، ولا يكلمهم منهم أحد؟!

حديث عطاف بن خالد:

وقد ذكر في حديث عطاف بن خالد: أن ابن رواحة قتل مساءً، ثم لما أصبحوا غير خالد الميمنة إلى الميسرة والعكس، وجعل الساقة مقدمة، فأوهم ذلك جيش الأعداء بأن مدداً قد أتى للمسلمين، فهربوا رعباً من ذلك..

ونقول:

١ ـ هل طبعت صورة الأشخاص في الجيش الإسلامي في ذاكرة جيش العدو حتى أصبح يتحرك ويتعامل مع خصوص تلك الصور؟!

وحتى لو كان الأمر كذلك، فهل كان من الواجب أن لا تتبدل مواقع الأفراد في كل يوم عما كانت عليه في اليوم السابق؟!

ولماذا لا يفسرون هذا التبدل: بأن القائد الميداني قد وزع الأشخاص بطريقة مخالفة للتوزيع الذي كان في اليوم السابق؟!

ولماذا يظنون بوصول مدد للجيش المقابل. ألا يرون حجمه، وعدده؟ وأنه لم يزد عما كان عليه في اليوم السابق؟!

٢ ـ هل صحيح: أن الناس تمكنوا من المبيت في ساحة المعركة، حتى بعد استشهاد ابن رواحة؟! أم أن الهزيمة قد حلت بهم، وغادروا إلى جهة المدينة يتقدمهم خالد فور استشهاد ابن رواحة؟!

إن النصوص التي أوردناها تؤكد هذا الأمر الثاني!!

٣ ـ إذا كان المسلمون قد قتلوا المشركين كيف شاؤا، أو قتلوهم مقتلة لم يقتلها قوم، فلماذا اختص نقل ذلك بعطاف بن خالد، وبابن عائذ؟!

ولماذا لم ينقله حتى ابن إسحاق، وهو المعتمد في المغازي، بل الناس عيال عليه فيها؟! بل لماذا جاءت الروايات الأخرى من الذين حضروا المعركة لتؤكد على حصول الهزيمة النكراء؟!

٤ ـ ولماذا لم يحتف أهل المدينة بهؤلاء الفاتحين حين عودتهم، ولم يكرموهم، ولم يقيموا لهم الإحتفالات، ولم يتغن أحد من الشعراء بهذا النصر العظيم؟!

بل هم قد واجهوهم بما يسؤهم، حتى اضطروهم بالاختباء في بيوتهم؟!

بل لماذا لم يعتذروا هم للناس ولم يقولوا لهم: إن القضية كانت على عكس ما يظنون، فقد انتصروا على أعدائهم، وقتلوهم قتلة لم يقتلها قوم، وهزموهم أسوأ هزيمة؟!

ولماذا لم تشفع لهم الغنائم والسبايا التي جاؤا بها إلى المدينة؟ والتي لابد أن تعد بعشرات الألوف، ولماذا لم يخمد غضب الناس الغاضبين ولم ينظر إليها أحد من أهلهم ومحبيهم الذين طردوهم وأهانوهم؟!

ولماذا لم يدافع عنهم الرسول الكريم «عليه السلام» إذا كانوا مظلومين فيما يجري لهم؟ ولماذا ؟! ولماذا؟!

حديث بر ذع:

وقد لوحظ: أن ما روي عن برذع بن زيد، من أن المسلمين اقتتلوا مع المشركين سبعة أيام[1] قد أورد في سياق الإستدلال على عدم هزيمة خالد، مع أنه لا يدل على ذلك، لأن الظاهر: هو أنه يتحدث عن الفترة التي استمرت فيها المبارزات والمناوشات قبل استشهاد القادة.

بل الأولى جعله من أدلة هزيمته، والشاهد على ما نقول: أن الظاهر: هو أن ابن رواحة قد حارب المشركين أياماً قبل استشهاده، حتى إن ابن عم له قد جاءه بعرق من لحم ليقيم به صلبه، بعد أن لقي ما لقيه في أيامه التي سبقت استشهاده[2].

حديث أبي عامر:

١ ـ وقد ظهر من رواية أبي عامر المتقدمة: أنهم يريدون أن يدَّعوا: أن الهزيمة التي حلت بالمسلمين قد حلت بهم قبل أن يأخذ خالد اللواء..

وقد فصلنا الكلام حول هذه المقولة، وأظهرنا أنها لا يمكن قبولها، لأن النصوص المختلفة تكذبها.. ويكفي دليلاً على ذلك ما جرى في المدينة من أن الناس قد حثوا التراب في وجه الجيش العائد بقيادة خالد، وعيروهم بهذا الأمر، حتى انزووا في بيوتهم.

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٥١ عن القراب في تاريخه، والسيرة الحلبية ج٣ ص٦٧.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص١٥٠ وراجع: والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٤٦٢ وعن البداية والنهاية ج٤ ص٢٧٩ وعن السيرة النبوية لابن هشام ج٣ ص٨٣٤ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٤٦٢.

٢ ـ إن رواية أبي عامر تذكر: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد علم بما جرى في مؤتة من أبي عامر نفسه، مع أن النصوص الأخرى تؤكد على أنه «صلى الله عليه وآله» قد أخبر الناس وهو على المنبر بما جرى لحظة فلحظة، حيث خفض الله له كل رفيع، ورفع له كل خفيض، حتى رأى ما يجري هناك.

٣ ـ إن الحديث المتقدم عن الرجل المرّي يصرح: بأن خالداً كان في طليعة المنهزمين، وتبعه الناس في الهزيمة، وحديث أبي عامر أيضاً ذكر أن الناس انهزموا أسوأ هزيمة رآها قط. حتى لم ير اثنين جميعاً.

ولكن أبا عامر يدَّعي: أن الناس قد تجمعوا بعد تلك الهزيمة، وهاجموا جيش العدو، وهزموه.

وهو كلام غير مقبول، فإنه إذا وقعت الهزيمة، فسيبقى الجيش المتفوق يلاحق المنهزمين، ويمعن فيهم قتلاً، وأسراً، ويطلب الحصول على ما يتركونه من غنائم..

ولم نر جيشاً منتصراً يترك عدوه يفلت من يده، ويقف ليتفرج عليه وهو ينسحب من الساحة بأمان، ويمهله حتى تتجمع فلوله، ثم يعود لمهاجمته من جديد، خصوصاً مع علمه بأن ملاحقة فلول الجيش المنهزم لا تضره، ما دام أن مصدر الإمداد لهم بعيد عنهم مسيرة أيام كثيرة، بل لعل عبارات أبي عامر الذي لم ير اثنين جميعاً، تشير إلى حدوث هذا الإمعان في ملاحقتهم لتفريق جمعهم، وتشتيت شملهم..

٤ ـ على أن حديث أبي عامر هذا لا يتلاءم مع ما زعموه من أن ابن رواحة قد قتل عند المساء، فباتوا. وفي اليوم التالي خالف خالد في ترتيب أجنحة الجيش فخاف جيش العدو، فانهزم.

٥ ـ إن الهزيمة معناها سعي المنهزمين للخروج من المعركة بأقصى سرعة يقدرون عليها. ولذلك يسعى الفرسان إلى اقتناء السابق من الخيل، ليتمكن صاحبها من الحركة السريعة في ميدان الحرب، ومن اللحاق بالمطلوب إذا كان طالباً ومن النجاة عليه إن حز به أمر، يخاف فيه الهلاك، فأصبح هارباً..

فما معنى أن يتمكن أبو عامر من أخذ اللواء في لحظات الهزيمة، ثم أن يسعى حتى يسبق المقاتلين، ويصير أمامهم؟! إلا أن يكون أسرع من الطير في الهواء، ومن السهم في حنايا البيداء؟!

٦ ـ إن حديث أبي عامر يصرح: بأن ثابت بن أقرم الأنصاري أعطى اللواء إلى خالد، فرفض خالد قبوله: فقال الأنصاري: والله ما أخذته إلا لك..

مع أن ابن اسحاق يقول: إن ثابتاً أخذ اللواء وقال: يا معشر المسلمين، اصطلحوا على رجل منكم، فقالوا: أنت.

فقال: ما أنا بفاعل.

فاصطلح الناس على خالد..

وفي نص ثالث عن أبي اليسر: أنه هو الذي دفع الراية إلى ثابت بن أقرم، فدفعت (بالبناء للمجهول) إلى خالد، فهل ذلك يدل على أن الذي دفع الراية إلى خالد هو غير ثابت هذا؟!

وفي جميع الأحوال نقول: أي ذلك هو الصحيح؟!

٧ ـ ما معنى أن يقول ثابت بن أقرم لخالد: ما أخذته إلا لك؟!

فلماذا أخذه لخصوص خالد؟! ألم يكن في ذلك الجيش من يليق بمقام القيادة غير خالد؟! أم أن لخالد خصوصية لدى ثابت بن أقرم.. أو أنه هو وحده المقبول من قبل المقاتلين؟!

والإحتمال الأخير بعيد، فإن رواية ابن اسحاق قد صرحت: بأنه حين قال ثابت بن أقرم للناس: إصطلحوا على رجل منكم.

قالوا: أنت. ولم يذكروا خالداً ولا غيره.

وهذا معناه: أنه لم تكن لخالد عندهم خصوصية تميزه عن غيره وترجحه على من عداه لقيادة الجيش.

٨ ـ على أن رواية ثابت بن أقرم تصرح: بأن خالداً هو الذي بادر إلى أخذ اللواء بنفسه، ولم يأخذه له ابن أقرم، وتصرح أيضاً: بأنه أخذه وانهزم به، فتبعه الناس..

٩ ـ ثم إن رواية أبي عامر تدَّعي: أن ثابتاً هو الذي دعا الناس إليه، فاستجابوا له، واجتمعوا عنده، فأعطى اللواء لخالد..

مع أن أبا هريرة يقول: إن الناس إنما تراجعوا عن الهزيمة استجابة لكلام قطبة بن عامر. وإن كانت رواية ابن كعب بن مالك تذكر: أنهم لم يستجيبوا لقطبة أيضاً بل اتبعوا صاحب الراية في هزيمته. وصاحب الراية هو خالد نفسه.. وقديماً قيل: لا حافظة لكذوب.

وأغرب من ذلك، ما زعمه أبو هريرة أيضاً: من أن خالداً جعل يصيح بالناس حين انهزموا، ويدعوهم في أخراهم، فلم يستجيبوا له، فلما دعاهم قطبة استجابوا، مع أن رواية الرجل المرّي تقول: إن خالداً كان أول من انهزم، ثم تبعه الناس. ومع أن السؤال المحير يبقى ماثلاً أمامنا عن السبب في استجابة الناس لقطبة بن عامر، وعدم استجابتهم لخالد!!

ألا يجعلنا هذا التهافت نظن: أن المهم عند أبي هريرة هو حفظ ماء وجه خالد، والتصريح بأنه لم ينهزم، بل المنهزم هم الآخرون؟!.

إيهام أم إبهام؟!

وذكرت بعض الروايات المتقدمة: أن ثابت بن أقرم الأنصاري أخذ اللواء، وجعل يصيح بالأنصار، ثم سعى به إلى خالد.

ونقول:

لماذا خص صياح ثابت بن أقرم بالأنصار؟ هل يريد الإيحاء بأن الهزيمة إنما وقعت على الأنصار دون المهاجرين؟!

وربما لأجل ذلك أعطى اللواء لخالد، الذي يعد في جملة المهاجرين دون الأنصار؟!

أم أنه يريد أن يفهمنا: أن المهاجرين لم يحضروا غزوة مؤتة لتقع الهزيمة عليهم. (رغم أن الروايات قد صرحت بأسماء عدد منهم كان قد حضر مؤتة) أم أن ثابت بن أقرم لم يكن يرى أن من حقه أن ينادي المهاجرين، لأنه كان أنصارياً، ولم يكن مهاجرياً؟!

مع أن هذا باطل أيضاً، ولوصح، فقد كان بامكانه أن يقول كما ذكرته رواية أبي عامر وغيرها: إليَّ أيها الناس.. ولكنها قد غيرت، لأن هؤلاء الناس يريدون حياكة الأمور بطريقة ذكية، تجعلها تصب في الاتجاه الذي رسموه، وتخدم الأهداف التي حددوها.. حتى إذا ما رأوا: أن في تلك الصياغة ما يضر أيضاً بمصالحهم، عادوا إلى التقليم والتطعيم، والتغيير والتبديل، وفق ما يحبون، وعلى حسب ما يشتهون، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

هل اصطلح المسلمون على خالد؟!

وقد تقدم: أن الروايات قد اختلفت في كيفية وصول اللواء إلى خالد،

فهل خصه به ثابت بن أقرم، وهو إنما اخذ اللواء له؟! أم أن المسلمين اصطلحوا على خالد؟!

ونضيف هنا التساؤلات التالية:

هل كانت هناك فرصة للحوار حول موضوع اللواء، بعد قتل القادة، مع أن المسلمين قد اختلطوا بالمشركين؟!

أم ان المقصود هو تشريف خالد، وإظهار عظمته، وبخوع الناس لشجاعته، وتنزهه عن السعي لأخذ اللواء، وإظهار أنه أعلم بالقتال من غيره، وأن المسلمين هم الذين حمّلوه هذه المسؤولية؟! وأنه.. وأنه؟!

أم أن المطلوب هو التعتيم على الحقيقة والتشكيك بالنصوص التي صرحت: بأن خالداً بمجرد أن أخذ اللواء، الذي كان قد سقط على الأرض انهزم به، فلما رآه المسلمون منهزماً تبعوه ووقع المحذور ـ كما صرحت به روايات عديدة، ومنها رواية ذلك الرجل المرّي، وغيرها؟!

ثبت خالد مقداراً مّا:

ويريدون إيهام الناس أيضاً برواية مصطنعة تقول: إن خالداً نفسه لم ينهزم، بل انهزم الناس، فلما أخذ اللواء حمله ساعة.. فثبت للحملات عليه حتى تكركر المشركون، ثم حمل بأصحابه ففض جمعاً من جمعهم. «ثم دهمه منهم بشر كثير، فانحاش المسلمون، فانكشفوا راجعين»[1].

---

(١) راجع: المغازي للواقدي ج٢ ص٧٦٣ وسبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٥٠ وتاريخ الخميس ج٢ ص٧٢ والبحار ج٢١ ص٦٢ والطبقات الكبرى لابن سعد ج٤ ص٢٥٣ وتاريخ مدينة دمشق ج١١ ص١٠٧ و ١٠٨ وج٢ ص١٥.

ونقول:

إن هذه الرواية تريد ان تقول: إن خالداً لم ينهزم، لا في البداية ولا في النهاية، بل ثبت، والذين انهزموا قبل أخذه للواء هم المسلمون، فلما أخذه ثبت بهم أولاً، ثم ألحق هزيمة بجمع من جمع العدو.. ثم إن المسلمين انحاشوا، ثم انكشفوا راجعين، فهم أيضاً لم ينهزموا، بل ما حصل هو مجرد الانحياش، ثم الانكشاف.. وترك الحرب والرجوع، مع أننا قد ذكرنا:

١ ـ أن الرواية المتقدمة عن الرجل المرّي الذي كان حاضراً تقول: إن أول منهزم كان في المرة الأولى هو خالد بن الوليد، ثم تبعه في الهزيمة سائر الناس.. وصرحت روايات عديدة أخرى بهزيمة خالد أيضاً.

وفي رواية ابن كعب بن مالك عن رجال من قومه: أن قطبة بن عامر جعل يصيح: يا قوم.. فما يثوب إليه أحد، هي الهزيمة. ويتبعون صاحب الراية منهزماً.

وقد ذكر المرّي: أن صاحب الراية هو خالد..

٢ ـ وسيأتي: أن أهل المدينة قد واجهوا ذلك الجيش العائد بالطرد، والإدانة، والإهانة حتى حثوا في وجوههم التراب، وعيروهم بالفرار.. وعاشوا حالة من الإحساس بالذلة والذنب، بلغت بهم حد الاختفاء عن أعين الناس في بيوتهم، وانقطعوا عن المسجد، وعن الصلاة مع رسول الله «صلى الله عليه وآله»..

٣ ـ إنه إذا انحاش المسلمون وانحازوا إلى جهة بعينها، وتجمعوا فيها حين دهمهم الكفار، فلماذا انكشفوا راجعين في هذه اللحظة بالذات.. مع أنهم كانوا ـ حسب زعم هؤلاء ـ قادرين على مواصلة الحرب والقتال..

خصوصاً إذا أخذنا بقول الحلبي: «ثم أخذه خالد، ومانع القوم وثبت، ثم انحاز كل من الفريقين عن الآخر، من غير هزيمة على أحدهما»[1]. فإن ذلك يتطلب منهم معاودة الهجوم، لا ترك ساحة الحرب والانكشاف والعودة!!

٤ ـ والغريب في الأمر: أن رواية كعب بن مالك عن نفر من قومه تقول: «فكانت الهزيمة، وقتل المسلمون، واتبعهم المشركون».

وهذا معناه: أن الهزيمة كانت هي السبب في استشهاد هذا العدد من المسلمين.. ثمانية أو اثنا عشر أو نحو ذلك..

وهو يعني أيضاً: أن المشركين لم يتركوا المسلمين حين انهزم بهم خالد، بل لاحقوهم، وقتلوا عدداً منهم.

وهو يدل أيضاً: أن أحداً لم يستشهد قبل استشهاد القادة، رغم استمرار الحرب سبعة ايام، كما تقدم.

النصر الموهوم:

وعن زعمهم: أن خالداً قد سجل نصراً مؤزراً وعظيماً على جيوش الروم.. بل في بعضها: أن الروم قتلوا قتلة لم يقتلها قوم، وأن المسلمين قد وضعوا اسيافهم حيث شاؤوا، نقول:

قد نسي الأفاكون: أن أهل المدينة قد طرد ذلك الجيش العائد، بقيادة خالد. وحثوا التراب في وجوههم، وهجروهم، وعاقبوهم أسوأ عقوبة كما سيأتي.. فلو صح انهم قد انتصروا لكان ينبغي أن يلاقوهم بالورود

---

(١) السيرة الحلبية ج٣ ص٦٧.

والأناشيد، وبالأفراح والزغاريد، وأن يرفعوهم على الراحات، ويدوروا بهم في النوادي والساحات.

ولكان يجب على خالد وجيشه أن يعترضوا على استقبال أهل المدينة بالتعنيف والطرد، وأن يشتكوهم إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ويجهروا بمظلوميتهم وبأنهم معتدى عليهم. فلماذا اختبأوا في بيوتهم، حتى إن منهم من ترك الحضور للصلاة من شدة الخجل مما حدث وحصل؟!

بل إن المتوقع في مثل هذه الحالة هو أن يبادر رسول الله «صلى الله عليه وآله» لمنع هذا التجني، ولجم الظلم الذي حاق بهؤلاء الأبرياء المجاهدين!! ولو بأن يخطب الناس في المدينة، ويؤنبهم على ظلمهم هذا، إن لم يتمكن من أن يعاقبهم عليه.

على أن هذا الذي ذكرناه لا يعني أننا نريد أن ننفي أن يكون المسلمون قد أظهروا درجة من الجدية في قتال أعدائهم، وأنهم قد سجلوا عليهم انتصارات قوية..

ولكننا نقول: إن ذلك إن كان قد حصل، فإنما حصل في الأيام أو في الساعات التي سبقت استشهاد القادة، ولعل جذوته قد اتقدت بعد استشهادهم بصورة أكبر. ولكن خالداً ضيع ذلك..

على أن من الواضح: أن صياغة الأحداث بهذه الطريقة التي نشاهدها في كتب التاريخ تعطي: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد ألقى بالمسلمين إلى تهلكة عظيمة، وأن خالد بن الوليد هو الذي نجاهم منها.

وهذه جرأة على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وخروج عن حدود الاعتقاد الصحيح، ولا نريد أن نقول أكثر من ذلك.

المضحك المبكي:

ومن المضحك المبكي حديث الرجل من بني مرة، الذي أنكر فيه أن يكون خالد قد انهزم.. ثم شرح ذلك، بأن اللواء سقط بعد قتل ابن رواحة.. واستمرت الحرب قال: «فنظرت إلى اللواء في يد خالد منهزماً، واتبعناه، فكانت الهزيمة»[1].

فما معنى نفيه هزيمة خالد أولاً، ثم إثباته لها أخيراً. حتى لقد جعل خالداً أول منهزم باللواء فيهم، ثم تبعه الناس.

وهذه القضية التي جاءت بعفوية تامة، تظهر إلى أي حد كان هذا الرجل سليم الذات، فهو ينقاد لمشاعره تجاه خالد أولاً، فلا يرضى بنسبة الهزيمة إليه، ثم لما أراد بيان ما جرى ساقته عفويته، وسلامة ذاته، وصدق لهجته إلى بيان حقيقة ما جرى بدقة، فظهر التناقض بين ما تدعوه إليه مشاعره من جهة، وبين ما أظهرته عفويته، وسلامة نفسه، وصدق لهجته من جهة أخرى..

دلالات في تشويش النصوص وتناقضها:

إن من يقرأ تلك النصوص، وسواها مما سيأتي يخرج مندهشاً من شدة اضطرابها، واختلافها، حيث إن بعضها حريص على الإيحاء بأن قيادة خالد قد جلبت النصر للمسلمين. مع ظهور أو صراحة قسم وافر منها، ومؤيد بالشواهد والأدلة على أن هذه القيادة قد جلبت على ذلك الجيش الهزيمة

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ج٢ ص١٢٩ وتاريخ مدينة دمشق ج٤٩ ص٣٧ وج٦٨ ص٨٧.

والعار، حتى من أهلهم وذويهم..

ولا شك في أن هذا السعي الحثيث، وهذا الإصرار العجيب على تصوير الهزيمة بأنها فتح ونصر، بل هي أعظم من النصر في خيبر، والخندق، وبدر ـ يدل على أن ثمة استهتاراً بالحق والحقيقة، وقلة حياء، وانعدام ضمير لدى من يتصدى لهذا الأمر، ويحرص عليه..

ولئن ظهر هذا الأمر في هذا المورد بصورة جلية، فمن السذاجة أن نعتبره المورد الوحيد الذي تعرض لمثل هذا التزوير الفاضح، بل إن هذه الخيانة قد مورست في سائر مفاصل السيرة وغيرها، بل هي قد نالت سائر الموارد التي تشبه في دلالاتها وفي إيحاءاتها ما يحرصون على التخلص منه وطمسه في سرية مؤتة..

وهذه خيانة عظيمة، بل جناية كبرى على أمة الإسلام، وعلى البشرية كلها، حين تصور الأكاذيب والأباطيل على أنها هي الحقائق. وتصبح الحقائق في عداد الأباطيل والترهات، فإنا لله وإنا إليه راجعون ولا حول ولا قوة إلا بالله.

خالد سيف الله:

وقد زعموا: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد وصف خالداً في سرية مؤتة بأنه سيف من سيوف الله[1]..

---

(١) السيرة الحلبية ج٣ ص٦٨ و ٦٧ وسبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٥١ و ١٥٣ ونقله في هوامشه عن المصادر التالية: صحيح البخاري (٤٢٦٢) وعن ج٧ ص٦٢ ودلائل النبوة للبيهقي ج٤ ص٣٦٨ وعن المصنف لابن أبي شيبة ج١٤=

فسمي بسيف الله منذئذٍ[1].

فهو غير صحيح، وذلك لأن خالداً كان حديث عهد بالإسلام، فإنه أسلم في شهر صفر سنة ثمان، وذكره بعضهم[2]، كما تقدم بيانه في موضعه من هذا الكتاب. وسرية مؤتة كانت بعد ذلك بحوالي ثلاثة أشهر. أي في جمادى الأولى في سنة ثمان[3].

وقيل: أنه أسلم قبل غزوة مؤتة بشهرين[4].

وقيل: أنه أسلم سنة سبع[5].

وقد أفنى عمره في محاربة هذا الدين وأهله، كما أنه لم يكن مهتماً بالالتزام بأحكامه، والتقيد بشرائعه.. كما ظهر من سيرته في حياة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وبعده.

وقد شكى خالد عماراً إلى النبي «صلى الله عليه وآله» لكلام جرى

= ص٥١٣ وعن مسند أحمد ج٣ ص١١٣ والسنن الكبرى ج٨ ص١٥٤ ومستدرك الحاكم ج٣ ص٤٢ والطبقات الكبرى لابن سعد (ط ليدن) ج٤ ق١ ص٢٥ وعن الكامل في التاريخ ج٢ ص وتاريخ الأمم والملوك ج٣ ص٤١.

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٥١ وتاريخ تاريخ الخميس ج٢ ص٧٢ والجامع لأحكام القرآن ج١٦ ص٢٨٢.

(٢) راجع: البداية والنهاية ج٤ ص٢٤٠ وراجع مكاتيب الرسول ج٢ص٦٢٧ وفيض القدير ج١ ص١٩١.

(٣) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٤٤ ومسند أبي داود ص١٥٨.

(٤) فيض القدير ج١ ص١٩١.

(٥) الإصابة ج٦ ص٤١٩.

بينهما، فقال «صلى الله عليه وآله»: إنه من يعادي عماراً يعاديه الله، ومن يبغض عماراً يبغضه الله، ومن سبه سبه الله»[1].

ثم إن من يكون سيفاً لله، فلا يبطش بالناس بغير حق كما صنع خالد ببني جذيمة، حيث قتلهم صبراً، بعد أن أمنهم، مع أن النبي «صلى الله عليه وآله» أرسله إليهم داعياً لا مقاتلاً.

ولما بلغ النبي «صلى الله عليه وآله» ما فعل بهم، رفع يديه وقال: «اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد»..

ثم أرسل «صلى الله عليه وآله» الإمام علياً «عليه السلام»، فودى لهم الدماء، وما أصيب من الأموال، حتى إنه ليدي ميلغة الكلب، وبقيت بقية من المال، أعطاهم إياها احتياطاً لرسول الله «صلى الله عليه وآله»[2].

---

(١) رجال الكشي ص٣٥ والوسائل (ط دار الإسلامية) ج٢٠ ص٢٧٧ وعوالي اللآلي ج١ ص١١٣ وأجوبة مسائل جار الله ص٢٦ والغدير ج١ ص ٣٣١ و ٣٣٢ وج٩ ص٢٧ وفضائل الصحابة ص٥٠ والمستدرك للحاكم ج٣ ص٣٩٠ والسنن الكبرى للنسائي ج٥ ص٧٤ والمعجم الكبير ج٤ ص١١٢ وكنز العمال ج١١ ص٧٢٦ وج١٣ ص٥٣٤ وعلوم القرآن للسيد محمد باقر الحكيم ص٣٠٥ وأسباب نزول الآيات ص١٠٦ وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ج١ ص٥٣٠ وتاريخ مدينة دمشق ج٤٣ ص ٣٩٩ و ٤٠٠ وتهذيب الكمال ج٢٥ ص٣٦٦ وسير أعلام النبلاء ج١ ص٤١٥ وج٩ ص٣٦٧ وخلاصة عبقات الأنوار ج٣ ص٢٣ وإختيار معرفة الرجال ج١ ص١٥٠وجامع الرواة ج١ ص٢٩٣ ومعجم رجال الحديث ج٨ ص٤١ وج١٣ ص٢٨٨.

(٢) تاريخ الأمم والملوك ج٣ ص٦٦ـ ٦٨ والكامل في التاريخ ج٢ ص١٧٣ وعن السيرة النبوية لابن هشام ج٤ ص٥٣ والطبقات الكبرى لابن سعد ج٢ =

وقال النبي «صلى الله عليه وآله» في فتح مكة لخالد وللزبير: لا تقاتلا إلا من قاتلكما[1]، ولكن خالداً بسط يده، وقتل نيفاً وعشرين رجلاً من قريش، وأربعة نفر من هذيل، فأرسل إليه من يردعه عن ذلك[2].

وقد تابع خالد مسيرته الدموية هذه إلى ما بعد وفاة النبي «صلى الله عليه وآله».

فأغار على قوم الصحابي المعروف مالك بن نويرة، فأمنهم أيضاً، وصلوا وإياهم، ثم أخذهم فقتلهم، وقتل مالك بن نويرة، ونزا على امرأته في نفس تلك الليلة، وجعل رأسه أثفية تحت القدر التي كان يطبخ فيها الطعام.

وتكلم عمر بن الخطاب في ذلك عند أبي بكر، فلم يسمع منه، وعذر أبو بكر خالداً[3].

= ص١٤٧ وتاريخ أبي الفداء ج١ ص١٤٥ وأسد الغابة ج٣ ص١٠٢ وعن صحيح البخاري ج٣ ص٤٨ والإستيعاب (بهامش الإصابة) ج١ ص٤٠٧ وضوء النبي «صلى الله عليه وآله» ج٢ ص١٧ والمحلى ج٨ ص ١٦٦ والخصال ص٥٦٣ والمسترشد ص٤٩٢ والغدير ج٧ ص١٦٩ والإمام علي «عليه السلام» للرحماني ص٦٨٨ وكتاب المنمق ص٢١٧ و(ط مؤسسة الأعلمي) ج٢ ص٣٤٢ والبداية والنهاية ج٤ ص٣٥٨ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٥٩٢ وسبل الهدى والرشاد ج٦ ص٢٠١.

(١) تاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٣٣٣ والنص والإجتهاد للسيد عبد الحسين شرف الدين ص٤٩٥ عن السيرة النبوية لابن هشام ج١٤ ص١٠٠.

(٢) راجع عبقرية عمر للعقاد ص٢٦٦.

(٣) تاريخ الأمم والملوك ج٣ ص٢٧٨ ـ ٢٧٩ وفي (ط ليدن) ج٤ ص١٤١، وراجع: وفيات الأعيان ج٦ ص١٥ والمختصر في أخبار البشر ج١ ص١٥٨ وروضة =

وقال: تأول فأخطأ.. أو اجتهد فأخطأ..

وأما بالنسبة لسبب تسمية خالد بسيف الله:

فالظاهر: أن منشأها أبو بكر بن أبي قحافة. فإنه حين ألح عليه عمر بن الخطاب بعزل خالد بن الوليد، بسبب قتله مالك بن نويرة، محتجاً بأن في سيفه رهقاً..

قال أبو بكر: لا يا عمر، ما كنت لأشيم سيفاً سله الله على الكافرين[1].

وعن سبب هذه التسمية ذكر صاحب البحار: أنه بعد أن قلد أبو بكر الصدقات بقرى المدينة وضياع فدك رجلاً من ثقيف يقال له: الأشجع بن مزاحم الثقفي، وكان له أخ قتله علي بن أبي طالب في وقعة هوازن وثقيف..

= المناظر (بهامش الكامل في التاريخ) ج٧ ص١٦٧ والكامل في التاريخ (ط دار صادر) ج٣ ص٤٩ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١ ص١٧٩ والخصال ص٥٦٣ الإمام علي «عليه السلام» لأحمد الرحماني الهمداني ص٦٨٨ وعن البداية والنهاية ج٤ ص٣٥٨ وكشف الغمة ج١ ص٢٢٠.

وراجع: المبسوط للسرخسي ص٩٢ وج٢٠ ص٢١٤٥ والمحلى لابن حزم ج٨ ص١٦٦والخصال ص٥٦٣ والمسترشد ص٤٩٢ و ٤٩٣ وشرح الأخبار ج١ ص٣١٠ والإحتجاج ج١ ص١٢٤ والبحار ج٢١ ص١٤٢ وج٣١ ص٣٣٠ والنص والإجتهاد ص٤٦١ والفايق في غريب الحديث ج٣ ص٣٧٩ وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ج١ ص٥٤٨ وأسد الغابة ج٢ ص٩٤ وكتاب المحبر ص١٢٤ والسيرة النبوية لابن هشام الحميري ج٤ ص٨٨٤ وسبل الهدى والرشاد ج٦ ص ٢٠١ وغريب الحديث لابن قتيبة ج١ ص٣٧٢ و ٣٧٣ والنهاية في غريب الحديث لابن الأثير ج٢ ص٢٧٧ وج٥ ص٢٢٦.

(١) راجع نفس المصادر السابقة.

فباغت ضيعة من ضياع أهل البيت «عليهم السلام» يقال لها «بانقيا»، واحتواها، واحتوى صدقات لعلي «عليه السلام»، وتغطرس على أهلها، يريد الثأر لأخيه يوم هوازن، فشكوه لعلي «عليه السلام»..

ثم ذكر: أن الفضل بن العباس قتله بعد أن قال لعلي «عليه السلام»: قبحك الله وبتر عمرك..

ولما أراد أصحابه قتل الفضل سل علي «عليه السلام» سيفه، فرمى القوم أسلحتهم.

ثم أتوا أبا بكر برأس صاحبهم، فجمع المهاجرين والأنصار وحرضهم للخروج على علي «عليه السلام»، فدارت أعينهم في وجوههم وأخذتهم سكرة الموت حسب تعبيره..

قال: فالتفت إليه عمر بن الخطاب، فقال: ليس له إلا خالد بن الوليد.

فالتفت إليه أبو بكر، فقال: يا أبا سليمان ، أنت اليوم سيف من سيوف الله ، وركن من أركانه، وحتف الله على أعدائه، وقد شق علي بن أبي طالب عصا هذه الأمة، وخرج في نفر من أصحابه إلى ضياع الحجاز، وقد قتل من شيعتنا ليثا صؤولاً وكهفاً منيعاً، فصر إليه في كثيف من قومك وسله أن يخدل الحضرة، فقد عفونا عنه، فإن نابذك الحرب فجئنا به أسيراً[1].

وأما الرواية التي تقول: إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» هو الذي أطلق هذه التسمية عليه، وفي مناسبة حرب مؤتة فهي غير صحيحة، لأن

---

(١) راجع: البحار ج٢٩ ص٤٦ ـ ٥٢ عن إرشاد القلوب للديلمي، والأنوار العلوية ٣١٤ـ٣١٦.

خالداً انهزم بالناس في مؤتة.. فكيف يعطي النبي «صلى الله عليه وآله» الأوسمة للمهزوم؟!

وحينما عاد الجيش إلى المدينة جعل الناس يحثون التراب في وجه ذلك الجيش، ويقولون: يا فرار في سبيل الله..

ودخل أفراد ذلك الجيش إلى بيوتهم، ولم يعد يمكنهم الخروج منها، لأنهم كلما خرجوا صاح بهم الناس: أفررتم في سبيل الله؟!.. كما تقدم.

علي عليه السلام سيف الله المسلول:

غير أن الحقيقة هي: أن هذا اللقب: «سيف الله المسلول» هو من مختصات علي عليه السلام، ولكنه سرق في جملة كثيرة من فضائله، ومناقبه عليه السلام، في غارات شعواء من الشانئين، والحاقدين، والمبطلين، والمزورين للحقائق..

وقد روي عن النبي «صلى الله عليه وآله»، أنه قال: «علي سيف الله يسله على الكفار والمنافقين»[1].

وفي الحديث القدسي، المروي عن رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «وأيّدتك بعلي، وهو سيف الله على أعدائي»[2].

وحول تسمية التمر بالصيحاني روي عن جابر: أن سببها هو أنه صاح:

---

(١) البحار ج٢٢ ص١٩٧ وج٤٠ ص٣٣ عن أمالي الشيخ الطوسي ص٣٢٢ و (ط دار الثقافة) ص٥٠٦ ومستدرك سفينة البحار ج٥ ص٣٣٤.

(٢) البحار ج٤٠ ص٤٣ والكافي ج٨ ص١١ وإحقاق الحق ج٦ ص١٥٣ عن در بحر المناقب (مخطوط) ص٤٣، وراجع ذخائر العقبى ص٩٢ والمناقب المرتضوية ص٩٣ والروضة في المعجزات والفضائل ص١٢٨.

«هذا محمد رسول الله، وهذا علي سيف الله»[1].

وقال خالد بن سعيد بن العاص لعمر، في أحداث غصب الخلافة: «وفينا ذو الفقار، وسيف الله وسيف رسوله»[2].

وفي زيارة أمير المؤمنين، المروية عن الصادق «عليه السلام»: «وسيف الله المسلول»[3].

وعن النبي «صلى الله عليه وآله»: «هذا علي بن أبي طالب، هذا سيف

---

(١) فتوحات الوهاب بتوضيح شرح منهج الطلاب، لسليمان العجيلي المعروف بالجمل (ط القاهرة) ص٦٢ وفرائد السمطين (ط دار النعمان، النجف) ص١٢٠ ونظم درر السمطين ص١٢٤ وعن المناوي في شرح الجامع الصغير، وإحقاق الحق (الملحقات) ج١٥ ص٤٢ و ٥٩ وج٢٠ ص٥١٨ و ٢٨٣ عن آل محمد للمردي الحنفي، وعن غيره ممن تقدم. وعن فيض القدير ج٥ ص٢٩٣ والأنوار العلوية ص١٥٣ والبحار ج٦٠ ص١٤٦ ومستدرك سفينة البحار ج٦ ص٣٤ وج١٠ ص١٤.

(٢) راجع المصادر التالية: الإحتجاج (ط سنة ١٣١٣ هـ. ق) ج١ ص١٩٠ و ١٩١ و ٣٠٠ والصراط المستقيم ج٢ ص٨٠ و ٨٢ وقاموس الرجال ج٣ ص٤٧٦ و ٤٧٨ و ٤٧٩ والخصال ج٢ ص٤٦٢ و ٤٦٣ واليقين في إمرة أمير المؤمنين ص١٠٨ ـ ١١٠ عن أحمد بن محمد الطبري، المعروف بالخليلي، وعن محمد بن جرير الطبري، صاحب التاريخ في كتابه: مناقب أهل البيت «عليهم السلام» والبحار ج٢٨ ص٢١٠ و ٢١١ و ٢١٤ و ٢١٩ ورجال البرقي ص٦٣ و ٦٤.

(٣) مستدرك سفينة البحار ج٥ ص٣٢١ وراجع: المناقب لابن شهرآشوب ج٣ ص٧٤ والفضائل لابن شاذان ص٧٧.

الله المسلول على أعدائه»[1].

وعن جابر: «علي سيف الله»[2].

وعن سلمان عن النبي «صلى الله عليه وآله»: «فأنا رسول الله، وعلي سيف الله»[3].

وعنه «صلى الله عليه وآله» في حديث له في حق علي: «وسيف الله وسيفي»[4].

وعن أنس عن النبي «صلى الله عليه وآله»: يا معاشر المسلمين، هذا أسد الله، وسيفه في أرضه على أعدائه[5].

ونجد في فصل: الحصار والقتال في غزوة بني قريظة المزيد من المصادر.

من الذي سمى خالداً بسيف الله؟!

فتبين مما تقدم: أن النبي «صلى الله عليه وآله» الذي لا ينطق عن الهوى

---

(١) أرجح المطالب (ط لاهور) ص٣٨ ومناقب علي «عليه السلام» للعيني الحيدر آبادي (ط أعلم بريش، جهار منار) ص٥٧ و ٣٧.

(٢) نظم درر السمطين للزرندي الحنفي ص١٢٤ وفيض القدير في شرح الجامع الصغير ج٥ ص٢٩٣ وينابيع المودة للقندوزي ج١ ص٤٠٩.

(٣) فرائد السمطين (مطبعة النعمان، النجف) ص٢٩.

(٤) إحقاق الحق ج٤ ص٢٩٧ عن مناقب علي بن أبي طالب لابن المغازلي.

(٥) ينابيع المودة (ط إسلامبول) ص٢١٣ وراجع: أرجح المطالب (ط لاهور) ص١٤ و ٢٩ وإحقاق الحق (الملحقات) ج٢٠ ص٢٥٠ عن: آل محمد للمردي الحنفي وج٤ ص٢٢٥ عن عدد من المصادر.

لا يسمي خالداً بسيف الله، ما دام أن سيرته ستكون حافلة بمعاصي الله، والتعدي على عباده..

وإن أبا بكر ـ فيما يبدو لنا ـ هو الذي منح خالداً هذا اللقب، وذلك حين طلب منه عمر أن يجازي خالداً على ما فعله بمالك بن نويرة، فقال له أبو بكر: ما كنت لأشيم سيفاً سله الله على أعدائه[1].

ثم جاء عمر بعد ذلك، وأكد على هذا اللقب لخالد، مدَّعياً: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» هو الذي منحه إياه، حيث يقول:

«ولو أدركت خالداً ثم وليته، ثم قدمت على ربي، فقال لي: من استخلفت على أمة محمد لقلت: سمعت عبدك وخليلك يقول لخالد: سيف من سيوف الله، سله الله على المشركين»[2].

ثم عملوا على نسبة هذا الكلام إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» كما قلنا[3]، مع أن الصحيح هو: أن علياً «عليه السلام» هو صاحب هذا اللقب.

---

(١) راجع: الغدير ج٧ ص١٥٨ ـ ١٦٣ وتاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٥٠٣ والكامل في التاريخ ج٢ ص٣٥٩ وأسد الغابة ج٤ ص٢٩٥ وتهذيب تاريخ دمشق ج٥ ص١٠٥ والإصابة ج٣ ص٣٥٧ وتاريخ الخميس ج٢ ص٢٠٩ و ٢٣٣ وتاريخ أبي الفداء ج١ ص١٥٨.

(٢) الغدير ج١٠ ص١٠ وج٥ ص٣٦٢ و ٣٦٣ وعن تاريخ ابن عساكر ج٥ ص١٠٢ والإمامة والسياسة ج١ ص٢٢ وأعلام النساء ج٢ ص٨٧٦.

(٣) تهذيب تاريخ دمشق ج٥ ص١٠٢ والإمامة والسياسة ج١ ص٢٤ والإصابة ج١ ص٤١٤ والإستيعاب (مطبوع مع الإصابة) ج١ ص٤٠٨ و ٤٠٩.

حديث الهزيمة:

وقد صرحت الروايات: بهزيمة جيش مؤتة، وصرح عدد منها بأن خالداً كان هو المنهزم الأول، فلاحظ ما يلي:

١ ـ قال ابن إسحاق عن خالد: إنه لما أخذ الراية: «دافع القوم، وحاشى بهم، ثم انحاز، وانحيز عنه، وانصرف الناس»[1].

وهو تعبير خجول عن هزيمة الجيش بقيادة خالد، كما لا يخفى.

٢ ـ وقال الزهري: «فناوش القوم، وراوغهم، حتى انحاز بالمسلمين منهزماً، ونجا بهم من الروم»[2].

٣ ـ ويقول الواقدي في بعض كلامه: «ثم دهمه بشر كثير، فانحاش المسلمون، فانكشفوا راجعين»[3].

٤ ـ وروى ابن كعب بن مالك، عن نفر من قومه: أنه «لما أخذ خالد اللواء انكشف بالناس، فكانت الهزيمة، وقتل المسلمون، واتبعهم

---

(١) السيرة النبوية ج٤ ص٢٧ وسبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٥١ وراجع ص١٥٠ والسيرة الحلبية ج٣ ص٦٩ وراجع ص٦٧ وراجع: ما عن تاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٣٢٢ وعن البداية والنهاية ج٤ ص٢٧٩ وعن السيرة النبوية لابن هشام ج٣ ص٨٣٤ وج٢ ص١٦٧ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٤٦٢.

(٢) البحار ج٢١ ص٥٠ و ٥١ عن الأمالي للطوسي ص٨٧ و ٨٨ وبشارة المصطفى ص٤٣٢.

(٣) المغازي للواقدي ج٢ ص٧٦٣ وتاريخ الخميس ج٢ ص٧٢ والبحار ج٢١ ص٦٢ وسبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٥٠ وشرح النهج للمعتزلي ج١٥ ص٦٨ والطبقات الكبرى لابن سعد ج٤ ص٢٥٣ وتاريخ مدينة دمشق ج٢ ص١٥.

المشركون»[1].

ثم تذكر الرواية صياح قطبة بن عامر: «فما يثوب إليه أحد، هي الهزيمة، ويتبعون صاحب الراية»[2].

٥ ـ وقال الحلبي: «ثم أخذه خالد، ومانع القوم، وثبت، ثم انحاز كل من الفريقين عن الآخر، من غير هزيمة على أحدهما»[3].

٦ ـ وفي حديث رجل من بني مرة قال: إنه لما قتل ابن رواحة.. «فنظرت إلى اللواء في يد خالد منهزماً، واتبعناه، فكانت الهزيمة»[4].

٧ ـ وعن عروة بن الزبير: «لما أقبل أهل مؤتة إلى المدينة تلقاهم رسول الله «صلى الله عليه وآله» والمسلمون، وجعل الناس يحثون على الجيش التراب، ويقولون: يا فرار فررتم في سبيل الله الخ..»[5].

٨ ـ وروي نحوه عن أبي سعيد الخدري[6].

---

(١) تاريخ مدينة دمشق ج٤٩ ص٣٣٧ وراجع: الطبقات الكبرى لابن سعد ج٢ ص١٢٩.

(٢) المغازي للواقدي ج٢ ص٧٦٣ وتاريخ مدينة دمشق ج٤٩ ص٣٣٧.

(٣) السيرة الحلبية ج٣ ص٦٧.

(٤) المغازي للواقدي ج٢ ص٧٦٢ و ٧٦٣.

(٥) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٥٥ و ١٥٦ وراجع: الطبقات لابن سعد ج٢ ق١ ص٩٣ والسيرة الحلبية ج٣ ص٦٩ وتاريخ الخميس ج٢ ص٧٢ والمغازي للواقدي ج٢ ص٧٦٤ و ٧٦٥ والبحار ج٢١ ص٥٧ عن إعلام الورى ص١١١ و ١١٢ وعن تاريخ الأمم والملوك ج٣ ص٤٢.

(٦) المغازي للواقدي ج٢ ص٧٦٤ و ٧٦٥ وشرح النهج للمعتزلي ج١٥ ص٧٠.

٩ ـ وهذا هو الذي أشار إليه ابن عمر في حديثه عن فرار الناس في سرية لم يصرح باسمها، قال: «فحاص الناس فكنت في من حاص». ثم ذكر عودتهم إلى المدينة، وقولهم لرسول الله «صلى الله عليه وآله»: نحن الفرارون[1].

وقد ذكر الصالحي الشامي والحلبي والشافعي هذا الحديث في سياق سرية مؤتة، فراجع.

١٠ ـ وقال الواقدي: قال أبو عبد الله: «والأول أثبت عندنا: أن خالداً انهزم بالناس»[2].

١١ ـ وعن داود بن سنان قال: «سمعت ثعلبة بن أبي مالك يقول:

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٧ ص١٥١ وج٦ ص١٥٦ وفي هامشه: عن أبي داود ج٢ ص٥٢ وعن الترمذي ج٤ ص١٨٦ وعن مسند أحمد ج٢ ص١١١ وحلية الأولياء ج٩ ص٥٧ والسنن الكبرى للبيهقي ج٩ ص٧٨ والسيرة الحلبية ج٣ ص٦٩.

(٢) المغازي للواقدي ج٢ ص٧٦٢ و ٧٦٥ والبحار ج٢١ ص٦٢ وشرح النهج للمعتزلي ج١٥ ص٦٨ وراجع: الأحكام ليحيى بن الحسين ج٢ ص٥٠٢ وكتاب الأم ج٤ ص١٨٠ والمجموع للنووي ج١٩ ص٢٩١ ونيل الأوطار ج٨ ص٧٩ والمسند للشافعي ج١ ص٢٠٧ وعن مسند أحمد ج٢ ص٧٠ وسنن أبي داود ج١ ص٥٩٦ وسنن الترمذي ج٣ ص١٣٠ والسنن الكبرى للبيهقي ج٩ ص٧٧ و ٢٧٦ ومسند أبي يعلى ج٩ ص٤٤٧ والمنتقى في السنن المسندة ص٢٦٣ والفايق في غريب الحديث ج١ ص٢١٧ وتفسير مجمع البيان ج٤ ص٤٤٥ وتفسير الميزان ج٩ ص٥٥٨ والجامع لأحكام القرآن ج٧ ص٣٨٣ وتفسير القرآن العظيم ج٢ ص٣٠٦ وعن الدر المنثور ج٣ ص١٧٤ وتاريخ مدينة دمشق ج٥١ ص٢٦٦.

انكشف خالد بن الوليد يومئذٍ حتى عيروا بالفرار، وتشاءم الناس به»[١].

١٢ ـ وعن خالد بن إلياس، عن أبي بكر بن عبد الله بن عتبة، قال: «ما لقي جيش بعثوا معنا ما لقي أصحاب مؤتة من أهل المدينة، لقيهم اهل المدينة بالشر، حتى إن الرجل لينصرف إلى بيته وأهله، فيدق عليهم الباب فيأبون أن يفتحوا له، يقولون: ألا تقدمت مع أصحابك؟!

فأما من كان كبيراً من أصحاب رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فجلس في بيته استحياءً، حتى جعل النبي «صلى الله عليه وآله» يرسل إليهم رجلاً رجلاً، يقول: أنتم الكُرَّارُ في سبيل الله، فخرجوا»[٢].

١٣ ـ وعن إسماعيل بن مصعب، عن إبراهيم بن يحيى بن يزيد، قال: لما أخذ اللواء ثابت بن أرقم، فاصطلح الناس على خالد بن الوليد.

قال ثابت: اصطلحتم على خالد؟!

قالوا: نعم.

فأخذ خالد فانكشف بالناس[٣].

١٤ ـ زاد في نص آخر قوله: وكانت الهزيمة[٤].

---

(١) المغازي للواقدي ج٢ ص٧٦٤ والبحار ج٢١ ص٦٢ وشرح النهج للمعتزلي ج١٥ ص٧٠.

(٢) المغازي للواقدي ج٢ ص٧٦٤ و ٧٦٥ وتاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٣٢٣ وراجع: البحار ج٢١ ص٦٢ وشرح النهج للمعتزلي ج١٥ ص٧٠.

(٣) المغازي للواقدي ج٢ ص٧٦٤ والسيرة الحلبية ج٣ ص٦٧ وتاريخ الخميس ج٢ ص٧٢ وراجع: تاريخ مدينة دمشق ج١١ ص١٠٧ والطبقات الكبرى ج٤ ص٢٥٣.

(٤) تاريخ الخميس ج٢ ص٧٢.

١٥ ـ يضاف إلى ذلك: ما روي عن أبي هريرة عما لقوه من أهل المدينة، قال: كنا نخرج ونسمع ما نكره من الناس. لقد كان بيني وبين ابن عم لي كلام، فقال: إلا فرارك يوم مؤتة!! فما دريت أي شيء أقوله له[1].

١٦ ـ وعن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، قال: كان في ذلك البعث سلمة بن هشام بن المغيرة، فدخلت امرأته على أم سلمة، فسألتها عن سلمة، فأخبرتها: أنه لا يستطيع الخروج، إذا خرج صاحوا به وبأصحابه: يا فرار، أفررتم في سبيل الله؟ حتى قعد في البيت.

فذكرت أم سلمة ذلك لرسوله الله «صلى الله عليه وآله»، فقال: بل هم الكرار، فليخرج، فخرج[2].

١٧ ـ عن خزيمة بن ثابت: حضرت مؤتة، وبرز لي رجل منهم.. (ثم ذكر أنه قتله وسلب منه ياقوتة) إلى أن قال: «فلما انكشفنا رجعنا إلى المدينة، فأتيت رسول الله «صلى الله عليه وآله» الخ..»[3].

١٨ ـ ورويت هذه الرواية عن عمارة بن غزية، عن أبيه، فراجع[4].

---

(١) المغازي للواقدي ج٢ ص٧٦٤ وراجع: تاريخ الخميس ج٢ ص٧٢ والسيرة الحلبية ج٣ ص٦٧ والمستدرك للحاكم (ط دار المعرفة) ج٣ ص٤٢ وراجع: شيخ المضيرة لأبي رية ص٧٤ عن المستدرك على الصحيحين للحاكم ج٢ ص١٢ .

(٢) المغازي للواقدي ج٢ ص٧٦٤ وتاريخ الخميس ج٢ ص٧٢ وتاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٣٢٣ وعن السيرة النبوية ج٤ ص٣٠ وسبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٥٦.

(٣) راجع: كنز العمال ج١٠ ص٥٥٥ وسبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٥٢ و ١٥٦.

(٤) راجع: مغازي الواقدي، وتاريخ مدينة دمشق ج١٦ ص٣٥٩ وقال في هامشه: كذا =

رواة حديث الهزيمة:

وقد أظهرت الروايات المتقدمة ـ رغم أننا لم نستقص النصوص ـ: أن رواة هزيمة الجيش في مؤتة كثيرون. وأن طائفة منها قد صرحت: بأن خالداً كان هو المبادر للهزيمة، فتبعه الآخرون..

والروايات المتقدمة كلها ـ باستثناء روايتين أو ثلاث ـ تدل على هذه الهزيمة الشاملة..

والذين ذكرنا رواياتهم آنفاً هم: أبو سعيد الخدري، وأبو هريرة، وابن إسحاق، وابن كعب بن مالك عن نفر من قومه، والواقدي، والزهري، وثعلبة بن أبي مالك، ورجل من بني مرة، وأبو عامر، وأبو بكر بن عبد الله بن عتبة، وإبراهيم بن يحيى بن زيد، وخزيمة بن ثابت، وغزية بن الحارث الأنصاري، وعروة..

ولا مجال لتأويل هذه النصوص، أو النقاش فيها إلا على سبيل التعسف، والتحكم غير المقبول، ولا المعقول..

شرذمة لماذا؟!

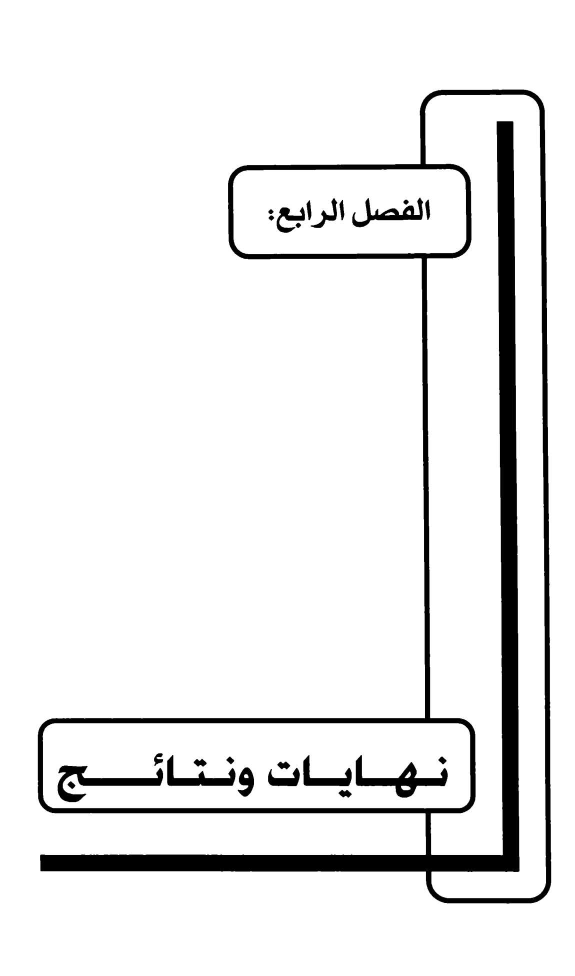
وقد اتضح مما ذكرناه: أن وصف من روى حديث فرار الجيش بقيادة خالد: بأنهم «شرذمة»، وبأن ذلك مجرد احتمال[1] ما هو إلا تجن على الحقيقة،

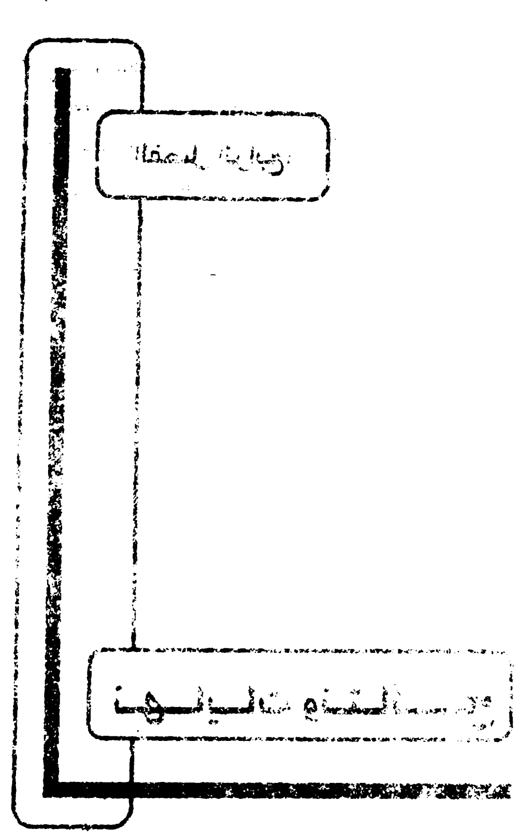
= بالأصل وابن العديم ومختصر ابن منظور ٨/ ٤٥ وقد صححها محقق مغازي الواقدي «عمارة بن غزية» وسير أعلام النبلاء ج٢ ص٤٨٦ وقال: هو في مغازي الواقدي ٢/ ٧٦٩، وقد أخطأ محقق الكتاب مارسدن جونس، فأبدل لفظ «خزيمة» بـ«غزية» مع أنه في الأصل الذي اعتمده «خزيمة على الصواب» على الصواب.

(١) راجع: سبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٥٠ وعن السيرة النبوية ج٣ ص٦٨.

ومجانبة للإنصاف..

كما أن ما ذكروه من روايات زعموا أنها تدل على النصر والفتح، لا تصمد أمام النقد الموضوعي والنزيه، فإن معظمها لا يدل على مطلوبهم، كما اتضح مما سجلناه على رواية جابر وخزيمة، وبرذع، وعوف بن مالك، وابن إسحاق.. وحديث خالد عن نفسه، وحديث قتل ابن رافلة، وحديث أن خالداً سيف الله ـ الذي جاء في ذيل أخبار النبي «صلى الله عليه وآله» عن أمر الشهداء، وحديث عطاف بن خالد، وأبي عامر، وغير ذلك..


الفصل الرابع:
نهايات ونتائج



عدد الشهداء دليل هزيمة خالد:

قد تقدم: أن البعض قد زعم: أن قلة عدد الشهداء دليل على انتصار خالد، غير أننا نقول:

إن عكس ذلك هو الصحيح، فإن عدد الشهداء الذين سقطوا في غزوة مؤتة يدل على أن خالداً لم يحارب، بل أخذ الراية وانهزم بها..

فإن المفروض: أن القادة الثلاثة، قد سقطوا قبل أخذ خالد للراية، وهم من الفرسان المشهود لهم بالشجاعة، والفروسية، ولا شك في أن الأمر لم يقتصر عليهم، بل قتل معهم اناس آخرون.

وبعد أن أخذ الراية خالد، فإذا صح أنه قد حارب، حتى اندقت في يده تسعة أسياف، وأن عدوهم كان مئتي ألف، بل مئات الألوف، وكان المسلمون ثلاثة آلاف فقط، فلابد أن نتوقع أن يقتل من المسلمين المئات، والألوف أيضاً، فإن المشركين قَتلوا في أُحد عشرات المسلمين، واستشهد في بدر مع رسول الله «صلى الله عليه وآله» عدد من المسلمين، يضاهي عدد شهداء مؤتة مع أن المشركين كانوا لا يصلون إلى ألف رجل، وكان جيش المسلمين يقارب ثلث عدد المشركين، فكيف حقق خالد ما لم يحققه أبطال الإسلام في ظل قيادة رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟!

وإذا كان خالد قد حقق هذا الإنجاز، فلماذا يطردهم المسلمون، ويعادونهم، ويظلمونهم هذا الظلم الفاحش العجيب؟! ثم يسكت رسول الله «صلى الله عليه وآله» عن ذلك..

هذا كله، بالإضافة إلى ما قدمناه من أدلة وشواهد تؤيد هزيمة خالد، بل هي تؤيد أن الذين قتلوا من المسلمين إنما قتلوا في المبارزات التي جرت قبل استشهاد القادة.

أليس بعد كل هذا الذي ذكرناه هنا وفيما سبق يصبح قول ابن كثير في البداية والنهاية: من أن قلة عدد الشهداء تشهد لانتصار خالد بمن معه وحصول الفتح على أيديهم مما يضحك الثكلى؟!.

المبارزات قللت عدد الشهداء:

وقد جرت مبارزات بين فرسان الجيشين، كما رواه عمارة بن غزية عن أبيه..

ومبارزة الفرسان أمر يتشوق له الناس في ساحات القتال، ويعطي للحرب رونقاً، ويثير حماس الشجعان، ويدعوهم إلى إظهار فنونهم، وشدتهم، وبطولاتهم.

ولعل هذا يفسر امتداد الحرب في مؤتة إلى سبعة أيام كما ذكروه[١]، وربما يساعد هذا على تفسير قلة الشهداء في صفوف المسلمين.

فقد ذكروا: أن عددهم هو ثمانية شهداء[٢].

---

(١) السيرة الحلبية ج٣ ص٦٧ وسبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٥١.

(٢) المغازي للواقدي ج٢ ص٧٦٩ وسبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٥٤ وعن السيرة النبوية لابن هشام (ط محمد علي صبيح) ج٣ ص٨٤٠ البداية والنهاية ج٤ =

أو اثنا عشر شهيداً[1].

أو خمسة عشر شهيداً[2] على أبعد تقدير.

وهذا يدل: على أن جيش الروم كان يعاني من هزيمة حقيقية في معنوياته، وأن زمام المبادرة لم يكن في يد ذلك الجيش في ساحة المعركة طيلة عدة أيام وإلى آخر ساعاتها أي لحظة قتل القادة الثلاثة، فليس صحيحاً: أن القادة قد استشهدوا في الساعات الأولى من المعركة.

ومما يدل على أن زمام المبادرة في ساحة القتال كان بيد المسلمين.. ما روي عن ابن عمر: أنه قال أتيته (يعني جعفراً) بعرق من لحم وهو مستلق آخر النهار، فعرضت عليه فقال: إني صائم، فضعه عند رأسي، فإن عشت حتى تغرب الشمس أفطرت.

قال: فمات صائماً قبل غروب الشمس[3].

لو كان النصر للروم؟!:

ومن الأمور الجديرة بالتأمل: أن هذا الجيش الهائل الذي جمعه الروم، لم

= ص٢٩٥ عن ابن إسحاق، وعن عيون الأثر ج٢ ص١٦٩ عن ابن إسحاق، والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٤٨٩.

(١) راجع: السيرة النبوية لابن هشام (ط محمد علي صبيح) ج٣ ص٨٤٠ والبداية والنهاية ج٤ ص٢٩٥ عن ابن هشام، وعن عيون الأثر ج٢ ص١٦٩ عن ابن هشام أيضاً.

(٢) راجع: سبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٥٥ والسيرة النبوية لابن هشام ج٤ ص٣٦ و ٣٧.

(٣) السيرة الحلبية ج٣ ص٦٩ و (ط دار المعرفة) ج٢ ص٧٦٨.

يجرؤ على ملاحقة جيش المسلمين حتى حين انسحب من المعركة، مهزوماً بفعل خالد بن الوليد..

ولو كان ذلك الجيش الهائل يرى نفسه منتصراً لحظة استشهاد القادة، أو يحتمل أن بإمكانه أن يكسب لنفسه نصراً لم يتوان عن ملاحقتهم حتى المدينة، لكي يتخلص من هؤلاء الناس الذين تجرؤوا على غزو أمبرطوريتهم في عقر دارهم وبلادهم، وشاهدوا منهم ما أذهلهم، وطاشت له ألبابهم، طيلة أيام عديدة، وكان ما جرى للقادة الثلاثة هو التتويج لتلك البطولات، الذي وضعهم على عتبة الإنهيار والاستسلام لو لم يبادر خالد إلى الفرار، وتبعه المسلمون في ذلك.

نعم، إن الله تعالى ألبسهم لباس الذل والخزي، وملأ الرعب قلوبهم وهذا هو الذي يصنع النصر كما قال «صلى الله عليه وآله»: «نصرت بالرعب». ولم يكن أمامهم أي خيار سوى لملمة جراحهم، والإنكفاء الذليل، الذي جعلهم يعيشون الحيرة، وربما الدهشة، والرضا بالنكسة التي نالتهم.

لقد استبدل خالد النصر الذي كان في متناول أيدي المسلمين بهزيمة شنعاء، نكراء نشأت عنها متاعب جمة، وتسببت بأن يعود لكيان الأمبرطورية الرومية لاستجماع قواه، وليلحق الأذى بأهل الإسلام بعد ذلك مرة بعد أخرى.

أثر مؤتة في فتح مكة:

ولا نستطيع أن نستبعد تأثير ما جرى في مؤتة التي تمثل هزيمة حقيقية لجيش ملك يهيمن على إحدى الدولتين الأعظم في العالم.. رغم أن ذلك

الملك وتلك الدولة تعيش عنفواناً قوياً بلغ أقصى مداه بانتصاره على مملكة فارس، ولابد أن تكون آثار هذا النصر بالغة العمق على الدولة الرومية وعلى ملكها، الذي نذر المشي على لزيارة بيت المقدس، وقد قطع مئات الأميال من أجل الوفاء بنذره هذا.

فما معنى أن تنتصر على هذا الملك وعلى جيشه العظيم الخارج من نصر غالٍ جداً مجموعة صغيرة من الناس كانت تعيش في جاهليتها حالة الإنكفاء، والإنطواء والإنزواء في صحراء الجزيرة العربية؟!

ولابد أن يزيد هذا من ثورة الألم لدى قيصر وجيشه، وهو يرى أن هذه المجموعة الصغيرة تجتاح البلاد التي سيطر عليها عن عمد وقصد، وتصميم، ومبادرة متعمدة، رغم قلة عددها، ثلاث آلاف لتواجه مئات الألوف.. علماً بأن مئة ألف من ذلك الجيش الهائل كان من سنخ اولئك المهاجمين، ولا يختلف عنهم كثيراً في اللغة، وفي الذهنية، وفي التركيبة الإجتماعية، وفي المفاهيم، وفي العادات، والتقاليد، وما إلى ذلك.

فماذا يمكن لمشركي مكة ان يفعلوا بعد هذا كله.. وبعد أن سحق بغي اليهود، وسقطت جيوش الشرك طعمة لسيوف أهل الإيمان في المعارك المختلفة، طيلة تلك السنوات التي خلت.

الإخلاص في العمل أشد من العمل:

وروى عبد الرزاق عن ابن المسيب مرسلاً قال: قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «مثل جعفر، وزيد، وابن رواحة في خيمة من در، فرأيت زيداً، وابن رواحة في أعناقهما صدوداً، ورأيت جعفراً مستقيماً ليس فيه

صدود، فسألت، أو قيل لي: إنهما حين غشيهما الموت اعترضا، أو كأنهما صدا بوجهيهما، وأما جعفر فإنه لم يفعل، وإن الله تعالى أبدله جناحين يطير بهما في الجنة حيث شاء»[1].

وروى البخاري والنسائي، عن عامر الشعبي، قال: «كان ابن عمر إذا حيًّا عبد الله بن جعفر قال: السلام عليك يا ابن ذي الجناحين»[2].

قال ابن إسحاق: «ولما أصيب القوم قال رسول الله «صلى الله عليه وآله» ـ فيما بلغني ـ: «أخذ الراية زيد بن حارثة، فقاتل بها حتى قتل شهيداً».

قال: ثم صمت رسول الله «صلى الله عليه وآله» حتى تغيرت وجوه الأنصار، وظنوا أنه قد كان في عبد الله بن رواحة بعض ما يكرهون، ثم قال: «ثم أخذها عبد الله بن رواحة، فقاتل بها حتى قتل شهيداً».

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٥٣ والسيرة الحلبية ج٣ ص٦٨ و ٦٩ ورسائل المرتضى ج١ ص٤٠٦ والمصنف للصنعاني ج٥ ص٢٦٦ وشرح النهج للمعتزلي ج١٥ ص٧٣.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٥٤ عن البخاري ج٧ ص٩٤ وذخائر العقبى ص٢١٦ وفضائل الصحابة ص١٨ وعن صحيح البخارى (ط دار الفكر) ج٤ ص٢٠٩ وج٥ ص٨٧ والمستدرك للحاكم ج٣ ص٤١ وتحفة الأحوذي ج١٠ ص١٨٣ والسنن الكبرى للنسائي ج٥ ص٤٨ والمعجم الكبير ج٢ ص١٠٩ وج١٢ ص٢٠٤ وكنز العمال ج١٣ ص٤٤٨ وتاريخ مدينة دمشق ج٢٧ ص٢٦٢ وأسد الغابة ج١ ص٢٨٩ وتهذيب الكمال ج٥ ص٥٥ وسير أعلام النبلاء ج١ ص٢١٢ و ٢١٥ وج٣ ص٤٥٩ وتهذيب التهذيب ج٢ ص٨٤ والإصابة ج١ ص٥٩٤ وعن البداية والنهاية ج٤ ص٢٨٠ و ٢٩٢.

ثم قال: «لقد رفعوا إليَّ في الجنة فيما يرى النائم على سرر من ذهب». فذكر مثل ما سبق[1].

وفي نص آخر: لما أصابت الجراحة ابن رواحة نكل، فعاتب نفسه، فشجع، فاستشهد[2].

التأكيد على عظمة جعفر:

١ ـ لقد صرحت النصوص المتقدمة بما دل على أن جعفراً كان هو الأفضل والأكمل، والأصفى، والأتم والأعظم إخلاصاً لله تبارك وتعالى.. وقد جاهد في الله حق جهاده بخصائصه هذه، التي ميزته حتى عن رفيقيه في الجهاد، وفي الاستشهاد..

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٥٤ عن ابن إسحاق، وتاريخ الخميس ج٢ ص٧٣ وراجع: البحار ج٢١ ص٥٣ و ٥٤ ومجمع الزوائد ج٦ ص١٦٠ وشرح النهج للمعتزلي ج١٥ ص٦٩ وكنز العمال ج١٠ ص٣٨٦ وعن أسد الغابة ج١ ص٢٨٨ وتاريخ مدينة دمشق ج٢٨ ص١٢٠ وعن البداية والنهاية ج٤ ص٢٨٠ وعن السيرة النبوية لابن هشام ج٣ ص٨٣٤ وعن عيون الأثر ج٢ ص١٦٧ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٤٦٣.

(٢) المغازي للواقدي ج٢ ص٧٦٢ وشرح النهج للمعتزلي ج١٥ ص٦٨ والدرجات الرفيعة ص٧٦ والطبقات الكبرى ج٣ ص٥٣٠ وتاريخ مدينة دمشق ج٢ ص١٤ وج١٩ ص٣٦٩ وج٢٨ ص١٢٧ والبداية والنهاية ج٤ ص٢٨٢ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٤٦٧ الدرجات الرفيعة ص٧٦ والطبقات الكبرى لابن سعد ج٣ ص٥٣٠ وتاريخ مدينة دمشق ج٢ ص١٤ وج١٩ ص٣٦٩ وج٢٨ ص١٢٧.

٢ ـ إن الجهاد باب من أبواب الجنة، فتحه الله لخاصة أوليائه، والشهادة هي ما بعد ذلك الباب، ولا ينال درجتها إلا من أقدم عليها طائعاً مختاراً، قاصداً القربة إلى الله تعالى.. فمن أجبر عليها حتى قتل كارهاً لموقفه فهو قتيل، وليس شهيداً.

٣ ـ إن الإنسان حين يشارك في أي حرب حقيقية، فإنه يعرض نفسه لخطر محتمل، مع تفاوت درجات قوة هذا الاحتمال لديه، كما أن احتمال السلامة في أكثر مواقف الجهاد قائم أيضاً.. ولكن احتمال الخطر حتى لو كان قوياً فهو لا يجوز التخلي عن ساحة القتال بحال من الأحوال.

وأما حين يكون القتل يقينياً، فقد يجب الإصرار على مواجهة الموت، وقد يحرم ذلك فيما لو أوجب ذلك انكسار جيش الإسلام، وظهور جيش الكفر.

وقد يجب الخروج من ساحة المعركة، إذا كان في قتل هؤلاء هدر للطاقة، وتجرئة للعدو، وإضعاف لقوة الدين وأهله.

وقد يكون التعرض للقتل راجحاً، من دون أن يصل إلى حد الإلزام، كما جرى لرسولَي النبي «صلى الله عليه وآله» إلى مسيلمة، حيث خيَّرهما مسيلمة لعنه الله بين القتل، وبين الإقرار بنبوته، فرفض أحدهما فقتل، وقال له الآخر: أنت ومحمد رسول الله، فقال «صلى الله عليه وآله»: أما أحدهما فمضى على يقينه، وأما الآخر فأخذ بالرخصة[1].

---

(١) راجع: البحار ج٢٩ ص٤٠٥ والتبيان ج٢ ص٤٥٣ ومجمع البيان ج٢ ص٢٧٤ والنصائح الكافية لابن عقيل ص٢٢٦ وتفسير القرآن للصنعاني ج٢ ص٣٦٢ و ٣٦٣ والنصائح الكافية ص٢٢٦.

والظاهر من موقف النبي «صلى الله عليه وآله» من الفارين في مؤتة هو وجوب التصدي حتى لو تيقن بعض المقاتلين بالشهادة، لأن هذا هو الذي كان يستحق النصر على جيش الروم، وسيكون نصراً هائلاً وعظيماً في آثاره وفي بركاته..

وربما يكون من تلك البركات هو انتشار الإسلام في جميع أنحاء الدولة الرومية، وفي مناطق نفوذها.

٤ ـ إن هذه النصوص وما يجري مجراها قد بينت أن على أهل الإيمان أن يحتفظوا بصفاء إيمانهم، وأن يبلغوا في إيمانهم حداً لا يشعرون معه بأن ثمة بوناً أو فجوة فيما بين الأمر الاعتقادي، وبين ما يجري في هذه الحياة الدنيا من أحداث.. فلا يظنون أن الاستشهاد في ساحات الجهاد، معناه: أن الشهيد قد أودع حفرة، تأكله فيها هوام الأرض، وبقي غيره من بعده يتمتع بالنعم، ويحصل على الأموال والإمتيازات، ويتقلب في أحضان الملذات والشهوات.

وقد أراد رسول الله «صلى الله عليه وآله» أن يبين هذه الحقيقة للناس من خلال تقديم صورة حية وواقعية لما جرى للشهداء القادة في مؤتة.. فإن تقديم المفهوم الإيماني، وغيره، متجسداً في واقع ينبض بالحياة، يجعله قادراً على اقتحام القلوب والعقول، واحتلال موقعه اللائق به فيها.

وكان المثال الأكثر تأثيراً هو ذلك الذي يأتي في اللحظة التي يعيش الناس فيها أجواء إثارة وانفعال، توهج عاطفي مرتبط بشهيد اختار طريق الشهادة بوعي، وصلابة، وباندفاع، وإخلاص، وإباء في أجواء زاخرة بالتحدي الذي يتجاوز التصورات، ليلامس الخيال المغرق في البعد، حين يواجه ذلك الشهيد مئات الألوف، ويبذل كل ما يملكه غير آسف على

شيء في هذه الدنيا، ولا يجد في نفسه عن الموت صدوداً، مع أنه يراه بأم عينيه، ولا يرى عنه محيداً.

٥ ـ وأظهرت الملاحظة التي بينها الرسول «صلى الله عليه وآله» حول التردد الخفي الذي راود ابن رواحة، وحتى زيداً لتؤكد للناس: أن النية جزء من العمل، وان تأثير العمل في تحقيق غايته مرهون بدرجة الخلوص والإخلاص فيه، كما هو ظاهر.

إمتياز جعفر لقرابته!!

وقد ذكرت الروايات: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قال: رأيت جعفراً ملكاً يطير في الجنة، تدمى قادمتاه، ورأيت زيداً دون ذلك.

فقلت: ما كنت أظن أن زيداً دون جعفر.

فأتى جبرئيل «عليه السلام» **وقال:** إن زيداً ليس بدون جعفر، ولكنا فضلنا جعفراً لقرابته منك[1].

ونقول:

أولاً: إن ما حصل عليه جعفر «عليه السلام» من امتيازات لم يكن لأجل قرابته من رسول الله «صلى الله عليه وآله» ـ وإن كان للقرابة قيمة من بعض الجهات ولأجل بعض الآثار ـ وإنما لأنه لم يجد صدوداً، ولا إعراضاً، ولا تردداً. حين واجه الموت في سبيل الله سبحانه، كما صرحت به الروايات.

ثانياً: قد تقدم في فصول سابقة من هذا الكتاب ولاسيما في غزوة خيبر:

---

(١) المغازي للواقدي ج٢ ص٧٦٢ وكنز العمال ج١١ ص٦٦٥ والطبقات الكبرى لابن سعد ج٤ ص٣٨ وتاريخ مدينة دمشق ج١٩ ص٣٦٩.

أن لجعفر «عليه السلام» من الفضل ما لا يدانيه فيه زيد ولا ابن رواحة..

ومن ذلك قوله «صلى الله عليه وآله»: خير الناس حمزة، وجعفر وعلي[١].

فلماذا نجعل القرابة هي السبب؟!

حرب أخرى في مؤتة:

قال ابن عائذ: «وقفل المسلمون، فمروا في طريقهم بقرية لها حصن، كان أهلها قتلوا في ذهاب المسلمين رجلاً من المسلمين، فحاصروهم حتى فتحه الله عليهم عنوة، وقتل خالد مقاتلتهم»[٢].

ونقول:

إننا نحب أن نسأل:

١ ـ هل استأذن خالد ومن معه رسول الله «صلى الله عليه وآله» في قتال هذه القرية، وحصارها؟! ثم في قتل مقاتليها؟!

٢ ـ إن كان أهل تلك القرية قد اعتدوا عليهم، وقتلوا منهم رجلاً، فلماذا لم يقاتلوهم في ذلك الوقت وبمجرد اعتداءهم عليهم، وقتلهم لذلك الرجل المسلم؟! ولماذا انصرف جعفر وزيد وابن رواحة عن مطالبتهم بأسباب عدوانهم ولماذا لم يطلب منهم تسليم قاتلي ذلك الرجل؟!

---

(١) قاموس الرجال ج٢ ص٦٠٢ عن مقاتل الطالبيين ص٣ ـ ١٠ والبحار ج٢١ ص٦٠ وشجرة طوبى ج٢ ص٢٩٧ وشرح النهج للمعتزلي ج١٥ ص٧٢ والدرجات الرفيعة ص٧ وشرح إحقاق الحق ج١٥ ص٢٦١.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص ١٥٥ وعن فتح الباري ج٧ ص٣٩٥ وراجع: تاريخ مدينة دمشق ج٢ ص١٦.

أم يعقل أن تكون مهمتهم حين الذهاب كانت مستعجلة، ولا يجوز فيها التواني والتأخير، ولو للمطالبة بدم شهيد منهم؟!

٣ ـ كيف تجرأ أهل تلك القرية على النيل من جيش المسلمين الذي سار ذكر انجازاته وبطولاته في الآفاق، وبعد أن فتح حصون خيبر، وبعد حرب أحد، وبدر، والخندق، وسواهما؟!

٤ ـ لماذا قتل خالد مقاتلتهم ولم يبقهم أسرى، ليعرض أمرهم على رسول الله «صلى الله عليه وآله» ليبت هو في شأنهم ؟!.

النبي ﷺ يرى ما جرى في مؤتة:

وقد صرحت الروايات بأنه «صلى الله عليه وآله» قد وصف لأصحابه في المدينة ما كان يجري في مؤتة لحظة وقوعه.. ثم وصف ذلك ليعلى بن أمية، ثم لعبد الرحمن بن سمرة، حتى إنه «صلى الله عليه وآله» ما ترك من أمرهم حرفاً واحداً لم يذكره.

فقد ذكر الزهري: أنهم لما عادوا أنفذ خالد رجلاً يقال له عبد الرحمن بن سمرة إلى النبي «صلى الله عليه وآله» بالخبر، قال عبد الرحمن: فسرت إلى النبي «صلى الله عليه وآله»، فلما وصلت إلى المسجد قال لي رسول الله «صلى الله عليه وآله»: على رسلك يا عبد الرحمن، ثم قال: أخذ اللواء زيد فقاتل به فقتل الخ..»[1].

---

(١) البحار ج ٢١ ص٥٠ و ٥١ عن أمالي الطوسي ص ٨٧ و ٨٨ وراجع: سبل الهدى والرشاد ج ٦ ص٥٤ عن الحكيم الترمذي في الثالث والعشرين بعد المئة من فوائده، ومقاتل الطالبيين ص٧ والأمالي للطوسي ص١٤١ وكنز العمال ج١٠ ص٣٨٧ وعن الدر المنثور ج٢ ص٢٤٥ وبشارة المصطفى ص٤٣٢ .

وروى البيهقي عن ابن عقبة، قال: «قدم يعلى بن أمية على رسول الله «صلى الله عليه وآله» بخبر أهل مؤتة، فقال رسول الله«صلى الله عليه وآله»: إن شئت أخبرني، وإن شئت أخبرك بخبرهم.

قال: بل أخبرني يا رسول الله، فأخبره رسول الله «صلى الله عليه وآله» خبرهم كله.

فقال: والذي بعثك بالحق، ما تركت من حديثهم حرفاً واحداً لم تذكره، وإن أمرهم لكما ذكرت.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «إن الله عز وجل رفع لي الأرض حتى رأيت معتركهم، ورأيتهم في المنام على سرر من ذهب، فرأيت في سرير عبد الله بن رواحة ازوراراً عن سريريْ صاحبيه، فقلت: عم هذا؟.

فقيل لي: مضيا، وتردد بعض التردد، ثم مضى»[1].

ونقول:

١ ـ قد يكون النبي «صلى الله عليه وآله» قد أخبر كلا الرجلين يعلى بن أمية، وعبد الرحمن بن سمرة، بما جرى في مؤتة..

٢ ـ إن ما ورد في رواية الزهري من أن زيداً كان أول من أخذ اللواء لا

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٥٣ والبداية والنهاية ج٤ ص٢٤٧ و (ط دار إحياء التراث العربي) ص٢٨٠ ومجمع الزوائد ج٦ ص١٦٠ والسيرة الحلبية ج٣ ص٦٨ و ٦٩ وراجع: تاريخ الخميس ج٢ ص٧٣ وشرح النهج للمعتزلي ج١٥ ص٦٩ وتاريخ مدينة دمشق ج٢٨ ص١٢١ وأسد الغابة ج٣ ص١٥٩ وعن السيرة النبوية لابن هشام ج٣ ص٨٣٤ وعن عيون الأثر ج٢ ص١٦٨ والسيرة النبوية ج٣ ص٤٦٣.

يصح.. بل كان جعفر بن أبي طالب هو الأول كما تقدم.

٣ ـ قد تضافرت الروايات: في أنه «صلى الله عليه وآله» قد نعى لأهل المدينة القادة الثلاثة ووصف لهم ما جرى قبل وصول الخبر إليهم[1]، لأن الله تعالى قد رفع له الأرض حتى رأى معتركهم كما في حديث يعلى بن أمية..

وعن الإمام الصادق «عليه السلام» قال: بينا رسول الله «صلى الله عليه وآله» في المسجد إذ خفض له كل رفيع، ورفع له كل خفيض حتى نظر إلى جعفر «عليه السلام» وهو يقاتل الكفار، فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: قتل جعفر. وأخذه المغص[2].

---

(١) إعلام الورى ص١١١ و (ط مؤسسة آل البيت) ج١ ص٢١٣ عن صحيح البخاري، والبحار ج٢١ ص٥٦ والسنن الكبرى للبيهقي ج٤ ص٧٠ وج٨ ص١٥٤ وعن مناقب آل أبي طالب ج١ ص١٧٧ وعن ذخائر العقبى ص٢١٨ وعن صحيح البخاري (ط دار الفكر) ج٤ ص١٨٤ والسنن الكبرى للنسائي ج١ ص٦١٦ وج٤ ص٢٦ والمعجم الكبير ج٢ ص٢٠٥ ودلائل النبوة للأصبهاني ص٩٠ وراجع: شرح الأخبار ج٣ ص٢٠٦ والغدير ج٦ ص١٦٢ ومسند أبي يعلى ج٧ ص٢٠٥ وكنز العمال ج١٠ ص٥٦٢ والطبقات الكبرى لابن سعد ج٤ ص٣٩ والكامل لابن عدي ج٢ ص٢٧٦ وتاريخ مدينة دمشق ج٢ ص١٨ وج١٦ ص٢٣٧ وج٢٨ ص١٢٧ وتهذيب الكمال ج١٤ ص٥٠٨ وعن البداية والنهاية (وط دار إحياء التراث) ج٤ ص٢٨١ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٤٦٣ وسبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٥٣.

(٢) الكافي ج ٨ ص ٣٠٨ الحديث رقم ٥٦٥ و (ط دار الكتب الإسلامية) ص٣٧٦ والبحار ج ٢١ ص ٥٨ وشرح أصول الكافي ج١٢ ص٥٣٨ والأنوار العلوية ص١٩.

والذي نريد أن نقرره هنا: هو أن رؤية النبي «صلى الله عليه وآله» لأهل مؤتة، ورفع كل خفيض، وخفض كل رفيع من الأرض له ليس بالأمر الخارج عن سياق الحركة الطبيعية بالنسبة إليه «صلى الله عليه وآله».. بل هو جارٍ وفق ما رسمه الله تعالى لنبيه «صلى الله عليه وآله» من وظائف، وقرره من مهمات، وهيأ له كافة القدرات والوسائل التي تمنحه القدره على إنجازها.. فإن مقام الشاهدية على الأمة وعلى الأنبياء السابقين «عليهم السلام» الذي نطق به القرآن وهو من شؤون النبوة الخاتمة يقضي بتحقق هذا الشهود النبوي المباشر لما جرى في مؤتة..

فأما شاهديته على هذه الأمة فقد أشير إليه في قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً، وَدَاعِياً إِلَى اللهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُّنِيراً**﴾(١).

وقال سبحانه: ﴿**إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً**﴾(٢).

وعن شاهديته «صلى الله عليه وآله» على الأنبياء «عليهم السلام» قال تعالى: ﴿**فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاء شَهِيداً**﴾(٣).

وقال سبحانه: ﴿**وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيداً عَلَى هَؤُلاء**﴾(٤).

وهذه الشاهدية تعني رؤية «صلى الله عليه وآله» بأعمال العباد، وبكل ما يقع في دائرة مسؤولياته، على مستوى الحضور والشهود وقد يسرها الله

---

(١) الآية ٤٥ و ٤٦ من سورة الأحزاب.

(٢) الآية ٨ من سورة الفتح.

(٣) الآية ٤١ من سورة النساء.

(٤) الآية ٨٩ من سورة النحل.

له حين جعله يرى من خلفه، وتنام عيناه ولا ينام قلبه، إذ لولا ذلك لم يتمكن من الشهادة على الناس في حال نومه، أو حين يكونون خلف ظهره.

ولابد أن يكون من وسائل ذلك أيضاً: أن يرفع له الخفيض من الأرض، ويخفض الرفيع، بمعنى أن لا تمنعه الحواجز من مشاهدة أعمالهم، وأن يتمكن من رؤية نواياهم، ويطَّلع على حالاتهم النفسية، فيرى الحب والبغض، والغبطة والحسد، والفرح والحزن، وما إلى ذلك، وأن يكون مجهزاً بما يمكنه من الإحاطة بذلك كله بالنسبة إلى الأمة بأسرها، حتى بعد استشهاده «صلى الله عليه وآله».

بل لابد أن يكون له درجة أو نوع من الحضور والشهود بالنسبة للأنبياء السابقين «عليهم السلام»، ليتمكن من أن يشهد على أعمالهم في يوم القيامة، وفق ما دلت عليه الآيات المشار إليها..

وهذا معناه: أن له حياة من نوع ما، حتى في تلك الأحقاب والأزمان، يمكن أن يصدق معها قوله «صلى الله عليه وآله»: أو «كنت نبياً (أو نبئت) وآدم بين الروح والجسد»[1].

---

(١) الإحتجاج ج٢ ص٢٤٨ والفضائل لابن شاذان ص٣٤ والبحار ج١٥ ص٣٥٣ وج٥٠ ص٨٢ والغدير ج٧ ص٣٨ وج٩ ص٢٨٧ ومسند أحمد ج٤ ص٦٦ وج٥ ص٥٩ و ٣٧٩ وسنن الترمذي ج٥ ص٢٤٥ ومستدرك الحاكم ج٢ ص٦٠٩ ومجمع الزوائد ج٨ ص٢٢٣ وتحفة الأحوذي ج٧ ص١١١ وج١٠ ص٥٦ والمصنف لابن أبي شيبة ج٨ ص٤٣٨ والآحاد والمثاني ج٥ ص٣٤٧ وكتاب السنة لابن أبي عاصم ص١٧٩ والمعجم الأوسط ج٤ ص٢٧٢ والمعجم الكبير ج١٢ ص٧٣ وج٢٠ ص٣٥٣ والجامع الصغير ج٢ ص٢٩٦ وكنز =

٤ ـ وآخر ما نحب الإشارة إليه هنا: هو أن النبي الأكرم «صلى الله عليه وآله» كان يريد أن يحفظ إيمان الناس، وأن يربط على قلوبهم، ويقوي من عزيمتهم من خلال ربطهم بالغيب، وإفهامهم أنهم في موضع رعاية الله، وفي محل عنايته.. وأن تضييع النصر الأكبر على يد خالد لا يعني أن يهيمن عليهم الشعور بالخيبة، وأن يستسلموا لمشاعر الفشل. فإن الله الذي يرفع كل وضيع، ويخفض كل رفيع من الأرض لنبيه «صلى الله عليه وآله»

= العمال ج١١ ص٤٠٩ و ٤٥٠ وتذكرة الموضوعات للفتني ص٨٦ وكشف الخفاء ج٢ ص١٢٩ وخلاصة عبقات الأنوار ج٩ ص٢٦٤ عن ابن سعد، ومستدرك سفينة البحار ج٢ ص٣٩٢ و ٥٢٢ عن كتاب النكاح، وعن فيض القدير ج٥ ص٦٩ وعن الدر المنثور ج٥ ص١٨٤ وفتح القدير ج٤ ص٢٦٧ والطبقات الكبرى ج١ ص١٤٨ وج٧ ص٥٩ والتاريخ الكبير للبخاري ج٧ ص٢٧٤ وضعفاء العقيلي ج٤ ص٣٠٠ والكامل لابن عدي ج٤ ص١٦٩ وج٧ ص٣٧ وعن أسد الغابة ج٣ ص١٣٢ وج٤ ص٤٢٦ وج٥ ص٣٧٧ وتهذيب الكمال ج١٤ ص٣٦٠ وسير أعلام النبلاء ج٧ ص٣٨٤ وج١١ ص١١٠ وج١٣ ص٤٥١ ومن له رواية في مسند أحمد ص٤٢٨ وتهذيب التهذيب ج٥ ص١٤٨ وعن الإصابة ج٦ ص١٨١ والمنتخب من ذيل المذيل ص٦٦ وتاريخ جرجان ص٣٩٢ وذكر أخبار إصبهان ج٢ ص٢٢٦ وعن البداية والنهاية ج٢ ص٢٧٥ و ٢٧٦ و ٣٩٢ وعن الشفا بتعريف حقوق المصطفى ج١ ص١٦٦ وعن عيون الأثر ج١ ص١١٠ والسيرة النبوية لابن كثير ج١ ص٢٨٨ و ٢٨٩ و ٣١٧ و ٣١٨ ودفع الشبه عن الرسول ص١٢٠ وسبل الهدى والرشاد ج١ ص٧٩ و ٨١ و ٨٣ وج٢ ص٢٣٩ وعن ينابيع المودة ج١ ص٤٥ وج٢ ص٩٩ و ٢٦١.

قادر على إسقاط جبروت الملوك، وتحطيم كبريائهم الظالم..

يا فُرّار!!:

وعلى كل حال، فإن الهاربين بقيادة خالد حين اقتربوا من المدينة لقيهم الصبيان يشتدون، ورسول الله «صلى الله عليه وآله» مقبل مع القوم على دابة، فقال: خذوا الصبيان فاحملوهم، واعطوني ابن جعفر، فإتي بعبد الله بن جعفر، فأخذه فحمله بين يديه[1].

وروى إسحاق، عن عروة، قال: لما أقبل أصحاب مؤتة، تلقاهم رسول الله «صلى الله عليه وآله» والمسلمون معه[2].

قال: وجعل الناس يحثون على الجيش التراب، ويقولون: يا فرار، فررتم في سبيل الله!!

قال: فيقول رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «ليسوا بالفُرَّار ولكنهم

---

(١) السيرة الحلبية ج ٣ ص٦٩ وعن تاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٣٢٣ وعن البداية والنهاية ج٤ ص٢٨٣ و ٢٨٩ وعن السيرة النبوية لابن هشام ج٣ ص٨٣٦ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٤٦٩ و ٤٧٩.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٥٥ و ١٥٦ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٦٩ وتاريخ الخميس ج٢ ص٧٢ والبحار ج٢١ ص٥٤ وعن تاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٣٢٣ وعن البداية والنهاية ج٤ ص٢٨٣ و ٢٨٩ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٤٦٩ و ٤٧٨ وإعلام الورى ص١١١ و ١١٢ و (ط مؤسسة آل البيت لإحياء التراث) ج١ ص٢١٥ وعن السيرة النبوية لابن هشام ج٣ ص٨٣٦.

الكُرَّار إن شاء الله تعالى»[1].

وروي نحو ذلك: عن أبي سعيد الخدري[2].

وروى أحمد، وأبو داود، وابن ماجة عن عبد الله بن عمر قال: «كنت في سرية من سرايا رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فحاص الناس وكنت فيمن حاص[3].

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٥٥ و ١٥٦ والطبقات لابن سعد ج٢ ق١ ص٩٣ والسيرة الحلبية ج٣ ص٦٩ وتاريخ الخميس ج٢ ص٧٢ والبحار ج٢١ ص٥٧ عن إعلام الورى ص١١١ و ١١٢ و (ط مؤسسة آل البيت) ج١ ص٢١٥ والمغازي للواقدي ج٢ ص٧٦٤ و ٧٦٥ وعن تاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٣٢٣ وعن البداية والنهاية ج٤ ص٢٨٣ و ٢٨٩ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٤٦٩ و ٤٧٩ وعن مناقب آل أبي طالب ج١ ص١٧٧ والبحار ج٢١ ص٥٧ وعن السيرة النبوية لابن هشام ج٣ ص٨٣٦.

(٢) المغازي للواقدي ج٢ ص٧٦٤ و ٧٦٥.

(٣) كتاب الأم للشافعي ج٤ ص١٨٠ والمجموع للنووي ج١٩ ص٢٩١ ونيل الأوطار ج٨ ص٧٩ والمسند للشافعي ص٢٠٧ وعن مسند احمد ج٢ ص٧٠ وسنن أبي داود ج١ ص٥٩٦ وسنن الترمذي ج٣ ص١٣٠ والسنن الكبرى للبيهقي ج٩ ص٧٦ وتحفة الأحوذي ج٥ ص٣٠٩ والمصنف لابن أبي شيبة ج٧ ص٧٣٣ والأدب المفرد ص٢٠٩ ومسند أبي يعلى ج١٠ ص١٢٨ والمنتقى من السنن المسندة ص٢٦٣ وتفسير الميزان ج٩ ص٥٨ وعن تفسير القرآن العظيم ج٢ ص٣٠٦ وعن الدر المنثور ج٣ ص١٧٤ وفتح القدير ج٢ ص٢٩٥ وتاريخ مدينة دمشق ج٥١ ص٢٦٦ وعن البداية والنهاية ج٤ ص٢٨٣ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٤٧٠ وسبل الهدى والرشاد ج١ ص٤٩٦ وج٦ ص١٥٦ وج٧ ص١٥١.

وفي رواية: فلما لقينا العدو في أول غادية، فأردنا أن نركب البحر، فقلنا: كيف نصنع وقد فررنا من الزحف؟

ثم قلنا: لو دخلنا المدينة (قُتلنا)، فقدمنا المدينة في نفر ليلاً، فاختفينا.

ثم قلنا: لو عرضنا أنفسنا على رسول الله «صلى الله عليه وآله» فاعتذرنا إليه، فإن كانت لنا توبة وإلا ذهبنا.

فأتيناه قبل صلاة الغداة، فخرج فقال: «من القوم»؟

قلنا: نحن الفَرارون.

قال: «بل أنتم الكرارون، وأنا فئتكم..».

أو قال: «وأنا فئة كل مسلم».

قال: فقبلنا يده[1].

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٧ ص١٥١ وج٦ ص ١٥٦ وقال في هامشه: أخرجه أبو داود ج٢ ص٥٢ ح٢٦٤٧ والترمذي ج٤ ص١٨٦ ح١٧١٦ وأحمد في المسند ج٢ ص١١١ والبيهقي في السنن ج٩ ص٧٨ وأبو نعيم في الحلية ج٩ ص٥٧ وراجع: السيرة الحلبية ج٣ ص٦٩ وراجع: الأحكام ليحيى بن الحسين ج٢ ص٥٠٢ والمجموع للنووي ج١٩ ص٢٩١ ونيل الأوطار ج٨ ص٧٩ و ٨٠ وفقه السنة ج٢ ص٦٥٣ وعن مسند أحمد ج٢ ص٧٠ و ١١١ وسنن أبي داود ج١ ص٥٩٦ وسنن الترمذي ج٣ ص١٣٠ والسنن الكبرى للبيهقي ج٩ ص٧٦ و ٧٧ وتفة الأحوذي ج٧ ص٤٣٧ والمصنف لابن أبي شيبة ج٧ ص٧٣٣ والأدب المفرد للبخاري ص٢٠٩ وتفسير مجمع البيان ج٩ ص٥٨ والجامع لأحكام القرآن ج٧ ص٣٨٣ وعن تفسير القرآن العظيم ج٢ ص٣٠٦ وعن الدر المنثور ج٣ ص١٧٤ وفتح القدير ج٢ ص٢٩٦ وتاريخ مدينة مشق ج٥١ ص٢٦٦ وعن البداية والنهاية ج٤ ص٢٨٤ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٤٧٠.

حدثني داود بن سنان قال: سمعت ثعلبة بن أبي مالك يقول: انكشف خالد بن الوليد يومئذٍ، حتى عيروا بالفرار، وتشاءم الناس به[١].

قال الواقدي أيضاً: حدثني خالد بن إلياس، عن أبي بكر بن عبد الله بن عتبة، يقول: ما لقي جيش بعثوا معنا ما لقي أصحاب مؤتة من أهل المدينة، لقيهم أهل المدينة بالشر، حتى إن الرجل لينصرف إلى بيته وأهله، فيدق عليهم الباب، فيأبون أن يفتحوا له، يقولون: ألا تقدمت مع أصحابك؟

فأما من كان كبيراً من أصحاب رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فجلس في بيته استحياء، حتى جعل النبي «صلى الله عليه وآله» يرسل إليهم رجلاً رجلاً، يقول: أنتم الكُرار في سبيل الله! فخرجوا[٢].

حدثني مصعب بن ثابت، عن عامر بن عبد الله بن الزبير، عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، قال:

كان في ذلك البعث سلمة بن هشام بن المغيرة، فدخلت امرأته على أم سلمة زوج النبي «صلى الله عليه وآله» فقالت أم سلمة: ما لي لا أرى سلمة بن هشام؟ أشتكى شيئاً؟

قالت امرأته: لا والله، ولكنه لا يستطيع الخروج. إذا خرج صاحوا به وبأصحابه: «يا فُرار، أفررتم في سبيل الله»؟ حتى قعد في البيت.

فذكرت ذلك أم سلمة لرسول الله «صلى الله عليه وآله»، فقال رسول

---

(١) المغازي للواقدي ج٢ ص٧٦٤ والبحار ج٢١ ص٦٢ وشرح النهج للمعتزلي ج١٥ ص٧٠.

(٢) المغازي للواقدي ج٢ ص٧٦٤ و٧٦٥ وتاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٣٢٣ والبحار ج٢١ ص٥٩ وشرح النهج ج١٥ ص٧٠.

الله «صلى الله عليه وآله»، بل هم الكرار في سبيل الله، فليخرج! فخرج[1].

حدثني خالد بن إلياس، عن الأعرج، عن أبي هريرة، قال: كنا نخرج ونسمع ما نكره من الناس، لقد كان بيني وبين ابن عم لي كلام، فقال: إلا فرارك يوم مؤتة! فما دريت أي شيء أقوله له.

الرسول ﷺ: رؤوف رحيم:

ونقول تعليقاً على ما تقدم:

لقد عرف الناس كلهم هذا النبي الكريم «صلى الله عليه وآله» بالرحمة والرأفة بالمؤمنين، وبمناهضة التعدي والظلم، من أي إنسان على أي كان من الناس..

وقد نوه القرآن الكريم بهذه الخصال فيه، ومدحه عليها، بل أظهر بما لا يقبل الشك أنها متجذرة في أعماق أعماقه، حتى ليكاد يظن بعض الناس من ذوي الأفهام القاصرة: أنها قد تجاوزت حدود ما هو مطلوب..

قال تعالى: **﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾**[2].

---

(١) عن السيرة النبوية ج٤ ص٣٠ وتاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٣٢٣ والمغازي للواقدي ج٢ ص٧٦٤ وراجع: سبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٥٦ وتاريخ الخميس ج٢ ص٧٢ وعن أسد الغابة ج٥ ص٦٢٥ وعن الإصابة ج٣ ص١٣١ وعن تاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٣٢٣ وعن البداية والنهاية ج٤ ص٢٨٤ وعن السيرة النبوية لابن هشام ص٨٣٦ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٤٧١.

(٢) الآية ٥٩ من سورة آل عمران.

وقال سبحانه: ﴿لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[1].

غير أننا نلاحظ: أن أهل المدينة يخرجون لاستقبال الجيش العائد، بقيادة خالد، ثم يحثون التراب في وجه العائدين، ويصيحون في وجوههم: يا فرار، فررتم في سبيل الله.. ورسول الله «صلى الله عليه وآله» حاضر وناظر، لا يلوم أحداً على فعله، ولا يظهر تغيظاً، ولا يعاقب، ولا يطالب.. مع أنه نصير كل مظلوم، وإنما يكتفي بالتفوه بكلمات يسيرة على سبيل تطييب الخاطر، والسعي لإعادة المعنويات المنهارة..

بل إن هؤلاء العائدين بالفشل لا يجرؤون على شكوى أحد من الناس الذين يواجهونهم بالتأنيب واللوم إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، بل يكتفون بالاختباء في بيوتهم، رغم أنهم لم يقترفوا ذنباً، ولا ارتكبوا خطيئة، لا عند الشرع، ولا بنظر العرف.

كما أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» نفسه لا يسأل عن أحد منهم، ولا يتساءل عن سبب غيبتهم عن جماعته، وعن مجلسه، وعن جميع المنتديات والمجالس.

ويتأكد مضمون هذا السؤال إذا لاحظنا أن المختبئين في البيوت هم أصحاب الشأن، والأعيان منهم، حسبما صرحت به الروايات..

هل ظلم الفارون؟!

وإنما قلنا: أنهم لم يرتكبوا ذنباً بنظر الشرع، لأن الفقهاء قد ذكروا: أنه

---

(١) الآية ١٢٨ من سورة التوبة.

يجوز الهرب في الجهاد في أحوال ثلاثة:

الأولى: أن يزيد عدد الكفار على ضِعْفِ عدد المسلمين، والدليل على الجواز:

١ ـ قوله تعالى: **﴿الآنَ خَفَّفَ اللهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفاً فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُواْ مِئَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُواْ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللهِ وَاللهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾**[١].

٢ ـ ما رواه العامة عن ابن عباس، قال: «من فر من اثنين فقد فر، ومن فر من ثلاثة فما فر»[٢].

٣ ـ ما روي من طريق الخاصة: عن الصادق «عليه السلام»: «من فر من رجلين في القتال من الزحف فقد فر، ومن فر من ثلاثة في القتال من الزحف فلم يفر»[٣].

---

(١) الآية ٦٦ من سورة الأنفال.

(٢) سنن البيهقي ج٩ ص٧٦ والحاوي الكبير ج١٤ ص١٨٢ والمغني ج١٠ ص٥٤٣ والعزيز شرح الوجيز ج١١ ص٤٠٥ ومنهى المطلب (ط ق) ج٢ ص٩٠٧ وتذكرة الفقهاء (ط ق) ج٢ ص٤١١ و (ط ج) ج٩ ص٥٨ والمجموع للنووي ج١٩ ص٢٩١ والمغني لابن قدامة ج١٠ ص٥٥١ والشرح الكبير ج١٠ ص٣٨٦ وكشف القناع ج٣ ص٥٠ ونيل الأوطار ج٨ ص٨٠ والمعجم الكبير ج١١ ص٧٧ وكنز العمال ج٤ ص٤٣٣ وعن أحكام القرآن للجصاص ج٢ ص٦١٢ وعن الدر المنثور ج٣ ص١٧٤.

(٣) الكافي ج٥ ص٣٤ ح١ والتهذيب ج٦ ص١٧٤ ومنتهى المطلب (ط ق) ج٢ ص٩٠٧ وتذكرة الفقهاء (ط ق) ج١ ص٤١١ و (ط ج) ج٩ ص٥٨ ودعائم =

الحالة الثانية: أن يترك القتال، ولكن لا بنية الهرب، بل لأجل أن ينصرف ليكمن في موضع، ثم يهجم.

الحالة الثالثة: أن يتحيز إلى فئة، وهو: أن ينصرف على قصد أن يذهب إلى طائفة ليستنجد بها في القتال[1].

وعلى هذا فإنه إذا كان عدد الفارين ثلاثة آلاف، والجيش الذي يواجههم يعد بمئات الألوف، فلماذا يلامون على الفرار؟ ولماذا يطردون؟ ولماذا يعيرون؟! ولماذا؟! ولماذا؟!

التخفيف والتلطيف:

وأما قوله «صلى الله عليه وآله» للذين اعترفوا أمامه بالفرار من الزحف: «بل أنتم الكرارون، وأنا فئتكم، أو قال: وأنا فئة كل مسلم» فأراد «صلى الله عليه وآله» به أن يؤيد اعترافهم بالفرار، ثم يخفف من وطأة ذلك على نفوسهم حين يقرر أن فرارهم يدخل في سياق التحيز إلى فئة، وبذلك

= الإسلام ج١ ص٣٧٠ ومستدرك الوسائل ج١١ ص٦٩ ومختلف الشيعة ج٤ ص٣٨٩ وإيضاح الفوائد ج١ ص٣٥٦ ومسالك الأفهام ج٣ ص٢٥ وجواهر الكلام ج٢١ ص٥٨ والوسائل (ط مؤسسة آل البيت) ج١٥ ص٨٤ و (ط دار الإسلامية) ج١١ ص٦٣ والبحار ج٩٤ ص٣٤ وتفسير العياشي ج٢ ص٣١٣ والتفسير الأصفى ج١ ص٤٤٧ ونور الثقلين ج٢ ص١٣٩ و ١٦٦.

(١) راجع ما تقدم في تذكرة الفقهاء للعلامة الحلي (ط ق) ج١ ص٤١١ و (ط ج) ج٩ ص٦١ وجواهر الكلام ج٢١ ص٥٨ والمهذب لابن البراج ج١ ص٣٠٤ وجامع المقاصد ج٣ ص٣٨٢ والتحفة السنية (مخطوط) للجزائري ص١٩٩.

يكون قد خفف عنهم بعض الألم الذي كان يعتصر قلوبهم..

وبتعبير آخر أوضح وأصرح:

إنه «صلى الله عليه وآله» إنما قال ذلك لهم على سبيل التشبيه والتنزيل والمجاز، لا على سبيل الحقيقة، إذ ليس في ظاهر حالهم حين فرارهم ما يدل على أنهم كانوا يقصدون بهذا الفرار التحيز إلى فئة. بل كان همهم النجاة بأنفسهم وحسب.

ولكن النبي «صلى الله عليه وآله» ـ كما قلنا ـ قد أراد معالجة سلبيات الهزيمة بهذا النحو من التخفيف والتلطيف، واعتبارهم كأنهم قد تحيزوا إلى فئة، حتى قال لهم: وأنا فئتكم.

ولو كان كلامه «صلى الله عليه وآله» جار على سبيل الحقيقة، لم يحتج إلى بيان من هو الفئة لهم..

لو دخلنا المدينة قتلنا!!

والأمر الأكثر إثارة، والأشد غرابة والأوضح دلالة، أن يبلغ الخوف بالفارين من الزحف حداً يجعلهم يصرحون بأنهم لو دخلوا المدينة قتلوا..

فإن هذا الخوف لا يكون لمجرد تحيزهم إلى فئة، بل هو فرارهم من الزحف..

إن لم نقل: إن ذلك قد يثير احتمال ظهور تواطؤ أو خيانة منهم اكتشفها المسلمون، فأثارت لدى مرتكبيها احتمالات القتل..

ويتأكد هذا الذي ذكرناه مع علم الجميع: بأن الفرار من وجه جيش يزيدهم عشرات الأضعاف، لا يوجب للفارين أية مجازاة أو عقوبة. أو لوم.

الحر تكفيه الإشارة:

عن الزهري: أن النبي «صلى الله عليه وآله» لما أخبر الناس بقتل القادة الثلاثة «بكى أصحاب رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وهم حوله، فقال لهم النبي «صلى الله عليه وآله»: «وما يبكيكم»؟

فقالوا: وما لنا لا نبكي، وقد ذهب خيارنا وأشرافنا، وأهل الفضل منا؟!

فقال لهم «صلى الله عليه وآله»: لا تبكوا، فإنما مثل أمتي مثل حديقة قام عليها صاحبها، فأصلح رواكبها، وبنى مساكنها، وحلق سعفها، فأطعمت عاماً فوجاً، ثم عاماً فوجاً، ثم عاماً فوجاً.

فلعل آخرها طعماً أن يكون أجودها قنواناً، وأقومها شمراخاً!!

والذي بعثني بالحق نبياً، ليجدن عيسى بن مريم في أمتي خلفاً من حواريه»[1].

ونقول:

إن كلام رسول الله «صلى الله عليه وآله» هنا يكاد يكون صريحاً في أنه يدين ما صدر من الفارين في مؤتة، فإنه أشار إلى أن قتل الخيار لابد أن يعقبه أن تنجب الأمة فوجاً آخر من هؤلاء الخيار.

ولعل الفوج الأخير ـ الذي هو من أنصار المهدي «عليه السلام» ـ سوف يكون خيراً من حواري عيسى «عليه السلام» نفسهم.. وسيلمس عيسى «عليه السلام» ذلك حينما يظهر مع الإمام «عليه السلام»، ليقيم

---

(١) البحار ج٢١ ص٥١ والأمالي للطوسي ص٨٨ ومقاتل الطالبيين ص٧ و ٨ وبشارة المصطفى ص٤٣٢ وكنز العمال ج١٢ ص١٨١.

الحجة على النصارى في أمر بشريته، وتابعيته لوصي محمد «صلى الله عليه آله»، حيث يصلي خلفه، ويكون من أعوانه..

فيلاحظ: أنه «صلى الله عليه وآله» لم يشر بشيء إلى أي نصر أنجزه خالد ومن معه، فضلاً عن تحقيق ما يستحق أن يسمى فتحاً.. بل هو «صلى الله عليه آله» قد قبل بأن المقتولين هم خيار أصحابه، وأشرافهم، وأهل الفضل فيهم.. ولا يرى في الذين سلموا في مؤتة خلفاً من الذين قتلوا، بل لابد من انتظار ظهور فوج جديد من الأخيار، والأشراف، وأهل الفضل.

النصر الضائع:

ونستطيع بعد كل هذا الذي ذكرناه وقررناه، أن نؤكد على أن كل الدلائل تشير إلى أن الفارين كانوا عارفين بعظيم جرمهم، وقبح جنايتهم، كما أن أهل المدينة كانوا عارفين بذلك، وكذلك رسول الله «صلى الله عليه وآله»..

وقد كان واضحاً للجميع: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد أرسلهم لإنجاز مهمة كبرى كان يعرف حجمها، ولابد ان يكون قد رسم لهم معالم حركتهم فيها، وحدد كل تفاصيلها، ولابد أن يكون عارفاً بجموع قيصر ونواياه وخططه، وكيف لا يكون كذلك، وهو قد اثبت أن لديه قدرة فائقة على رصد حركة أعدائه في مختلف البقاع والأصقاع مهما اختلفت الفئات والأنواع.

وكانت هذه المهمة من الخطورة بحيث تستحق أن يضحي من أجلها بمثل جعفر، وزيد، وابن رواحة، ولعلها كانت ستنتهي بالانتصار على

جيوش قيصر، وربما بأسره، وإسلام البلاد التي يحكمها أو كان له نفوذ فيها.. ولعل هذا النصر كان سيتحقق بعد استشهاد القادة بيسر، ولكن الفرار قلب الأمور، فوقع المحذور.

ولذلك لم يتمكن الفارون من تقديم أي عذر أو تأويل، بل ربما كانوا خائفين من وصول الأمور إلى حد اتخاذ القرار بقتلهم.

ولذلك لم يتساهل أهل المدينة معهم، بل حثوا التراب في وجوههم وطردوهم، ولم يفتحوا لهم أبواب بيوتهم، كما أن النبي الكريم، والرؤوف الرحيم بالمؤمنين لم يعترض على أحد من أهل المدينة فيما يفعل، ولم يردعهم عن شيء من تصرفاتهم التي تدخل في سياق الإهانة والتحقير لهذا الجيش..

وقد قلنا آنفاً: أن الفرار من جيش يفوق عدده عدد جيش المسلمين بعشرات الأضعاف ليس جرماً ولا حراماً..

وهذا يدلنا: على أن القضية لم تكن قضية فرار وحسب، وإنما هي أدهى وأكبر، وأعظم، وأمر وأخطر، لأنها قضية تضييع أعظم نصر عرفه تاريخ البشرية.

واقتصر الأمر على مجرد تراجع جيش الروم عن تصميمه بمهاجمة المسلمين في عمق بلادهم، وفي عقر دارهم، في المدينة نفسها..

إذ إننا نرى: أن هرقل بعد أن انتصر على كسرى، طمع بالإستيلاء على الحجاز ليؤكد شوكته، وليعزز سلطانه..

فجاء بالجيوش بحجة المشي إلى بيت المقدس وفاءً بنذره، فبادر رسول الله «صلى الله عليه وآله» لمباغتته بخطة تبطل كيده، وتمزق جنده، فضيع ذلك خالد بهزيمته النكراء تلك. وإلا فكيف نفسر وجود هذه الجيوش

الهائلة التي تعد بمئات الألوف في منطقة الأردن القريبة من الحجاز، بل هي على مشارفه، وقد ظهر مصداق هذا النصر في الحرب التي لم تسفر رغم امتدادها أياماً سوى عن ثمانية، وقيل: اثني عشر قتيلاً على أبعد التقادير.

مع أن العادة تقضي بأن جيشاً، قد يصل عدده إلى نصف مليون مقاتل لا يحتاج إلى استئصال ثلاثة آلاف مقاتل إلى أكثر من نهار.

النبي ﷺ.. وعائلة جعفر:

عن أسماء بنت عميس رحمها الله قالت: دخل علي رسول الله «صلى الله عليه وآله» يوم أصيب جعفر وأصحابه، فقال: «إيتيني ببني جعفر».

فأتيته بهم فضمهم، وشمهم، وذرفت عيناه، فقلت: يا رسول الله بأبي أنت وأمي، ما يبكيك؟ أبلغك عن جعفر وأصحابه شيء؟

قال: «نعم أصيبوا هذا اليوم».

قالت: فقمت أصيح. واجتمع إليَّ النساء[1].

زاد الواقدي وابن سعد: فجعل رسول الله «صلى الله عليه وآله» يقول: يا أسماء، لا تقولي هجراً، ولا تضربي صدراً.

قالت: فخرج رسول الله «صلى الله عليه وآله» حتى دخل على ابنته فاطمة «عليها السلام» وهي تقول: وا عماه.

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٥٣ والبحار ج٧٩ ص٩٢ وتهذيب الكمال ج٥ ص٦٠ و ٦١ وعن البداية والنهاية ج٤ ص٢٨٦ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٤٧٤ ومسند ابن راهويه ج٥ ص٤١ والمعجم الكبير ج٢٤ ص٤٤ وعن أسد الغابة ج١ ص٢٨٩ وعن السيرة النبوية لابن هشام ج٣ ص٨٣٥.

فقال «صلى الله عليه وآله»: على مثل جعفر فلتبكي الباكية، ثم قال: اصنعوا لآل جعفر طعاماً، قد شغلوا عن أنفسهم اليوم[1].

وقال الواقدي: حدثني محمد بن مسلم، عن يحيى بن أبى يعلى، قال: سمعت عبد الله بن جعفر يقول: أنا أحفظ حين دخل رسول الله «صلى الله عليه وآله» على أمي، فنعى لها أبي، فأنظر إليه وهو يمسح على رأسي ورأس أخي، وعيناه تهراقان الدموع حتى تقطر لحيته. ثم قال: اللهم إن جعفراً قد قدم إلى أحسن الثواب، فاخلفه في ذريته بأحسن ما خلفت أحداً من عبادك في ذريته.

ثم قال: يا أسماء، أ لا أبشرك؟

قالت: بلى، بأبى وأمى.

قال: فإن الله عز وجل جعل لجعفر جناحين يطير بهما في الجنة.

قالت: بأبى وأمى يا رسول الله، فأعلِم الناس ذلك!

فقام رسول الله «صلى الله عليه وآله» وأخذ بيدى، يمسح بيده رأسي

---

(١) راجع: سبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٥٣ وعن أحمد، وابن ماجة، والمغازي للواقدي ج٢ ص٧٦٦ والسيرة الحلبية ج٣ ص٦٨ والبحار ج٢١ ص٦٣ عن المعتزلي والطبقات الكبرى ج٨ ص٢٨٢ وشرح أصول الكافي ج٧ ص١٩٠ والإحتجاج ج١ ص١٧٣ وعن ذخائر العقبى ص٢١٨ والنص والإجتهاد ص٢٩٦ والمصنف للصنعاني ج٣ ص٥٥٠ وشرح النهج للمعتزلي ج١٥ ص٧١ والدرجات الرفيعة ص٧٦ وعن أسد الغابة ج١ ص٢٨٩ وتهذيب الكمال ج٥ ص٦١ وج٣٥ ص٣٧٤ وسير أعلام النبلاء ج١ ص٢١١ وأنساب الاشراف ص٤٣.

حتى رَقِي على المنبر، وأجلسني أمامه على الدرجة السفلى، والحزن، يعرف عليه، فتكلم فقال: إن المرء كثير بأخيه وابن عمه. ألا إن جعفراً قد استشهد، وقد جعل الله له جناحين يطير بهما في الجنة.

ثم نزل «صلى الله عليه وآله»، فدخل بيته، وأدخلني، وأمر بطعام فصنع لأهلي، وأرسل إلى أخي فتغدينا عنده ـ والله ـ غداء طيباً مباركاً، عمدت سلمى خادمته إلى شعير فطحنته، ثم نسفته، ثم أنضجته، وأدمته بزيت، وجعلت عليه فلفلاً. فتغديت أنا وأخي معه،

فأقمنا عنده ثلاثة أيام في بيته، ندور معه كلما صار في إحدى بيوت نسائه، ثم رجعنا إلى بيتنا، فأتى رسول الله «صلى الله عليه وآله» بعد ذلك وأنا أساوم بشاة أخٍ لي، فقال: اللهم بارك في صفقته.

فقال عبد الله: فما بعت شيئاً ولا اشتريت إلا بورك فيه[1].

وعن الإمام الصادق «عليه السلام» قال: إن النبي «صلى الله عليه وآله» حين جاءته وفاة جعفر بن أبي طالب، وزيد بن حارثة كان إذا دخل بيته كثر بكاؤه عليهما جداً، ويقول: كانا يحدثاني ويؤنساني، فذهبا جميعاً[2].

---

(١) المغازي للواقدي ج٢ ص٧٦٦ و ٧٦٧ والسيرة الحلبية ج٣ ص٦٨ والبحار ج٧٩ ص٩٢ وج٢١ ص٥٦ و ٥٧ عن إعلام الورى ص١١١ و ١١٢ ومسكّن الفؤاد ص٦٩ وشرح النهج للمعتزلي ج١٥ ص٧١ والدرجات الرفيعة ص٧٦ وتاريخ مدينة دمشق ج٢٧ ص٢٥٧ وكنز العمال ج١٣ ص٤٧٧ وشجرة طوبى ج٢ ص٣٠٠.

(٢) البحار ج٢١ ص٥٥ وج٧٩ ص١٠٤ عن من لا يحضره الفقيه ج١ ص١٢٧ ومنهى المطلب (ط ق) ج١ ص٤٦٦ وتذكرة الفقهاء (ط ج) ص٢ ص١١٨ =

عن خالد بن الوليد قال: لما أصيب زيد بن حارثة أتاه النبي «صلى الله عليه وآله»، فجهشت بنت زيد في وجه رسول الله، فبكى «صلى الله عليه وآله» حتى انتحب (أي رفع صوته في البكاء).

فقال له سعد بن عبادة: يا رسول الله، ما هذا؟!

قال «صلى الله عليه وآله»: هذا شوق الحبيب إلى حبيبه[1].

وعن الإمام السجاد «عليه السلام»: ما من يوم أشد على رسول الله «صلى الله عليه وآله» من يوم أحد، قتل فيه عمه حمزة بن عبد المطلب، أسد الله، وأسد رسوله.

وبعده يوم مؤتة قتل فيه ابن عمه جعفر بن أبي طالب.

ثم قال «عليه السلام»: لا يوم كيوم الحسين، ازدلف إليه ثلاثون ألف رجل الخ..[2].

= و (ط ق) ج١ ص٥٦ والحدائق الناضرة ج٤ ص١٦٣ والوسائل (ط مؤسسة آل البيت) ج٣ ص٢٨٠ و (ط دار الإسلامية) ج٢ ص٩٢٢ ومسكن الفؤاد للشهيد الثاني ص٦٩ ونهاية الأحكام ج٢ ص٢٨٩ والذكرى للشهيد الأول ص٧٠.

(١) تاريخ الخميس ج٢ ص٧٤ مستدرك الوسائل ج٢ ص٤٦٥ ومكارم الأخلاق ص٢٢ ومسكن الفؤاد للشهيد الثاني ص٩٦ والبحار ج١٦ ص٢٣٥ و ٢٣٦ والإخوان لابن أبي الدنيا ص١٥٢ وفيض القدير ج٣ ص٦٩٥ والدرجات الرفيعة ص٤٣٩ والطبقات الكبرى ج٣ ص٤٧ وتاريخ مدينة دمشق ج١٩ ص٣٧١ وسير أعلام النبلاء ج١ ص٢٣٠.

(٢) أمالي الصدوق ص٣٧٤ المجلس السبعون و(ط مؤسسة البعثة) ص٥٤٧=

وعن العباس بن موسى بن جعفر قال: سألت أبي «عليه السلام» عن المأتم، فقال: إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» لما انتهى إليه قتل جعفر بن أبي طالب دخل على أسماء بنت عميس امرأة جعفر، فقال: أين بني؟!

فدعت بهم، وهم ثلاثة: عبد الله، وعون، ومحمد. فمسح رسول الله «صلى الله عليه وآله» رؤوسهم، فقالت: إنك تمسح رؤوسهم كأنهم أيتام!

فعجب رسول الله «صلى الله عليه وآله» من عقلها، فقال: يا أسماء، الم تعلمي أن جعفراً رضوان الله عليه استشهد؟!

فبكت، فقال لها رسول الله «صلى الله عليه وآله»: لا تبكي، فإن الله أخبرني أن له جناحين في الجنة من ياقوت أحمر.

فقالت: يا رسول الله، لو جمعت الناس وأخبرتهم بفضل جعفر، لا ينسى فضله.

فعجب رسول الله «صلى الله عليه وآله» من عقلها.

ثم قال: ابعثوا إلى أهل جعفر طعاماً فجرت السنة[1].

وقالوا أيضاً: لما قتل جعفر بمؤتة، أمهل النبي «صلى الله عليه وآله» آل جعفر أن يأتيهم ثلاثة أيام، فندبوا.

ثم قال: لا تبكوا على أخي بعد اليوم، وقال: إن له جناحين يطير بهما

= والبحار ج٢٢ ص٢٧٤ و ج٤٤ ص٢٩٨ والعوالم (الإمام الحسين «عليه السلام») للبحراني ص٣٤٨ و ٣٤٩ ومقتل الحسين «عليه السلام» لأبي مخنف ص١٧٦ والأنوار العلوية للنقدي ص٤٤٢.

(١) البحار ج٢١ ص٥٥ وج٧٦ ص٨٣ والمحاسن للبرقي ج٢ ص٤٢٠ الحديث رقم ١٩٤ وراجع: مستدرك الوسائل ج٢ ص٤٧٣.

حيث شاء من الجنة[1].

لا تقولي هجراً، ولا تضربي صدراً:

١ ـ إن المصائب التي تحل بالناس، ولاسيما فقد الأحبة، قد تخرجهم عن حالة التوازن، فتصدر منهم بعض التصرفات غير المقبولة ولا المعقولة.. فإذا تركوا، فقد يتفاقم الأمر، ليص إلى حد الخروج عن دائرة الشرع وأحكام الدين..

ولذلك، كان من المستحسن إذا ظهرت بوادر هذا الاختلال، المبادرة إلى وضع حد يمنع من الانسياق مع أجواء الانفعال هذه لتبقى الأمور تحت السيطرة، وفي دائرة الانضباط..

والظاهر: أن ما ظهر من أسماء بنت عميس في حضرة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، حين أخبرها باستشهاد زوجها جعفر بن أبي طالب يدخل في هذا السياق، فإن صياحها بحضرة الرسول «صلى الله عليه وآله»، واجتماع النساء إليها قد أظهر أنها قد تخرج تحت تأثير الفاجعة عن حدود

---

(١) تاريخ الخميس ج٢ ص٧٥ والمجموع للنووي ج١ ص٢٩٦ والشرح الكبير لابن قدامة ج١ ص١٠٦ ونيل الأوطار ج١ ص١٥٥ وذخائر العقبى ص٢١٩ وعن مسند أحمد ج١ ص٢٠٤ وسنن أبي داود ج٢ ص٢٨٨ وسنن النسائي ج٨ ص١٨٢ ومجمع الزوائد ج٦ ص١٥٧ وعن فتح الباري ج٧ ص٣٩٤ والسنن الكبرى للنسائي ج٥ ص١٨٠ و ٤٠٧ ورياض الصالحين للنووي ص٦٤٥ والطبقات الكبرى ج٤ ص٣٧ وتاريخ مدينة دمشق ج٢٧ ص٢٥٥ وعن البداية والنهاية ج٤ ص٢٨٨ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٤٧٦.

الاتزان المعقول والمقبول في كلامها، وفي حركتها الإنفعالية التصعيدية..

فبادر النبي «صلى الله عليه وآله» إلى وضع حدٍ لهذا التصعيد حين جعل يقول لها: لا تقولي هجراً، ولا تضربي صدراً.. مع ملاحظة: أن سياق هذا التعبير يعطي أنه «صلى الله عليه وآله» قد كرر قوله هذا لها.

٢ ـ يضاف إلى ما تقدم: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» يعلم: أن الناس يتعاملون مع أقواله، وأفعاله، وكل ما يفعل بحضرته مع سكوته عنه، وقدرته على القبول والرد.. على أنه مسنون ومشروع..

فإذا لطمت أسماء صدرها بحضرته، وسكت عنها رسول الله «صلى الله عليه وآله».. فسيفهم الناس أن ذلك مما يشرع أو يسنّ في الشريعة بالنسبة إلى كل بيت، وقد يدخل ذلك في صميم عادات الناس وممارستهم حين يفقدون أحداً من أعزائهم.

مع أن الشهيد الذي يحسن إظهار الجزع في مأتمه، ويكون لطم الصدور فيه راجحاً هو الإمام الحسين «عليه السلام»، لأن في ذلك قوة للدين، وترسيخاً للإيمان واليقين.. فلابد من حفظ الخصوصية له صلوات الله وسلامه عليه من أجل ذلك..

فالنهي عن لطم الصدر هنا لا يعني أنه حرام، بل هو هنا لأجل أن لا يستفاد من ذلك مطلوبية هذا الأمر، بالنسبة لكل من مات أو استشهد..

على مثل جعفر فلتبك البواكي:

١ ـ ثم إن هناك نوعاً من الناس يحمل مزايا فريدة، ويتميز بإنسانية عالية وكاملة ورائدة، وأمثولة للفضيلة حية، فإذا مات أو استشهد فلابد أن

يبكيه الناس كلهم، لأن فقده يعنيهم كلهم. وخسارة لهم جميعاً..

وقد بين النبي «صلى الله عليه وآله» مواصفات هؤلاء الناس من خلال النموذج الذي قدمه لهم على أنه يحمل هذه المزايا والمواصفات، وذلك حين قال: على مثل جعفر فلتبك البواكي[١].

فالبكاء على جعفر إنما هو لأجل ما ذكرناه، لا لأنه في نسبه قريب أو صاحب أو حبيب.

وقد أوضح نص آخر: أن هذه المزايا لا حد لها ولا حصر لها في شخصية جعفر «عليه السلام».

فقد روي أنه «صلى الله عليه وآله» قال لفاطمة «عليها السلام»، حين قتل جعفر بن أبي طالب: لا تدعي بذل، ولا ثكل، ولا حَرَبٍ. وما قلت فيه فقد صدقت[٢].

---

(١) قاموس الرجال ج٢ ص٦٠٣ وشرح أصول الكافي للمازندراني ج٧ ص١٩٠ وعن ذخائر العقبى ص٢١٨ والبحار ج٢٢ ص٢٧٦ وج٢٣ ص٥٥٦ والنص والإجتهاد ص٢٩٦ وعن أسد الغابة ج١ ص٢٨٩ وأنساب الأشراف ص٤٣ وتاريخ اليعقوبي ج٢ ص٦٥ و ٦٦ والمصنف للصنعاني ج٣ ص٥٥٠ وشرح النهج للمعتزلي ج١٥ ص٧١ والجامع الصغير ج٢ ص١٥٩ وكنز العمال ج١١ ص٦٦٠ وعن فيض القدير ج٤ ص٤٢٧ والطبقات الكبرى ج٨ ص٢٨٢ وتهذيب الكمال ج٥ ص٦١ وينابيع المودة ج٢ ص٩٦.

(٢) من لا يحضره الفقيه ج١ ص١٢٦ الحديث رقم ٥٢١ والبحار ج٢١ ص ٥٧ عن إعلام الورى ص١١١ و ١١٢ ومن لا يحضره الفقيه ج١ ص١٧٦ والوسائل (ط مؤسسة آل البيت) ج٣ ص٢٧٢ و (ط الإسلامية) ج٢ ص٩١٥ ومجمع =

فهذه العبارة الأخيرة قد أفسحت المجال لكل قول يبين سجايا جعفر ومزاياه الفاضلة، مهما كان نوع ومستوى ما يقال من تلك السجايا والمزايا. لأن كل ما يقال فيه من فضل، فهو صدق وحق وعدل..

وهذه المزايا إذا اجتمعت وتكاملت في أيٍ كان من الناس، فإنه يصبح مثلاً أعلى، وأسوة وقدوة، يحس الناس كلهم بالحاجة إليه، ويكون إلحاق الأذى به بمثابة التعدي عليهم، وإلحاق الأذى بهم كلهم.

فلماذا إذن لا يبكون إذا فقد، ولا يحنون إليه إذا غاب.

٢ ـ ومن جهة ثانية إن هذه الكلمة وكذا النصوص المصرحة ببكاء النبي «صلى الله عليه وآله» على جعفر «عليه السلام»، وزيد بن حارثة «رحمه الله»، قد جاءت لتؤكد على مشروعية البكاء على الميت، بل على مطلوبيته بالنسبة لبعض من يموت أو يستشهد، من الأتقياء الأبرار، والعلماء الأخيار.. فلا يصح ما يزعمونه من المنع عن ذلك، وقد أشرنا إلى هذه الحقيقة في أكثر من موضع من هذا الكتاب.

مدى حزن النبي ﷺ على جعفر:

وإذا أردنا أن نتصور مدى حزن النبي «صلى الله عليه وآله» على جعفر، فعلينا أن نتذكر عودة جعفر من الحبشة، فقد كان سرور النبي «صلى الله عليه وآله» بقدومه منها يوازي سروره بفتح الله خيبراً على يد أخيه علي «عليه السلام»، أو يزيد عليه..

= البحرين ج١ ص٣١٧ ومنتهى المطلب (ط ق) ج١ ص٤٦٧ وتذكرة الفقهاء (ط ق) ج١ ص٥٥ و (ط ج) ج٢ ص١١٧.

فإن ذلك يعطي انطباعاً عن مستوى، ومقدار حزنه على هذا الرجل الذي أشبه خَلْقَه وخُلُقَه «صلى الله عليه وآله»، فإن مقدار الحزن لابد أن يوازي مقدار السرور هناك..

وخصوصاً إذا كان شرار الخلق قد هتكوا حرمته، حتى قضى شهيداً، وبالأخص بعد قطع يديه، وما جرى عليه، حتى إن الطعنات التي وجدت في مقدم جسده باتت تعد بالعشرات حسبما تقدم..

النبي ﷺ بدون جعفر وعلي عليهما السلام:

قال المسعودي: «وكان رسول الله «صلى الله عليه وآله» بعد أن قتل جعفر بن أبي طالب الطيار، بمؤتة من أرض الشام، لا يبعث بعلي في وجه من الوجوه، إلا ويقول: ﴿**وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْداً وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ**﴾[1]»[2].

ونقول:

أما بالنسبة لجعفر فقد ذكرنا في حديثنا عن غزوة خيبر شبهه برسول الله «صلى الله عليه وآله»، وما كان له من قيمة عند الله، أما علي فقد صرح القرآن الكريم: بأنه «عليه السلام» هو نفس رسول الله «صلى الله عليه وآله»، حيث قال في آية المباهلة:

﴿**فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ وَنِسَاءنَا وَنِسَاءكُمْ وَأَنفُسَنَا وأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةُ الله**

---

(١) الآية ٨٩ من سورة الأنبياء.

(٢) مروج الذهب للمسعودي ج٢ ص٤٣٤.

عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾[١].

وقد أكد ذلك النبي «صلى الله عليه وآله» في عشرات النصوص، في العديد من المناسبات، وذلك كله يبين: أن فقد النبي «صلى الله عليه وآله» لجعفر ولعلي «عليهما السلام» معناه: أن لا يبقى له «صلى الله عليه وآله» نظير على وجه الأرض، ولذلك، كان يظهر شعوره بقيمة علي «عليه السلام»، ويعتبر أن فقده لعلي «عليه السلام» سيجعله فرداً وحيداً في هذه الحياة، ولا يعود له وارث في الأرض..

فكان لا يبعث علياً «عليه السلام» في وجه من الوجوه إلا ويقول: ﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْداً وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾[٢].

حديث عائشة في بكاء النساء:

وربما يقال: قد روي في هذه المناسبة ما يدل على عدم صحة البكاء على الأموات، كما ذكرته عائشة فيما رواه الواقدي عنها، فقد قالت: لما قدم نعي جعفر عرفنا في وجه رسول الله «صلى الله عليه وآله» الحزن.

قالت: قديماً ما ضرّ الناس التكلف؛ فأتاه رجل فقال: يا رسول الله، إن النساء عنَّيننا مما يبكين.

قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «ارجع إليهن فأسكتهن، فإن أبين فاحث في أفواههن التراب».

فقلت في نفسي: أبعدك الله! فوالله ما تركت نفسك، وما أنت بمطيع

---

(١) الآية ٦١ من سورة آل عمران.

(٢) الآية ٧٨ من سورة الأنبياء.

رسول الله «صلى الله عليه وآله».

وروى الواقدي أيضاً عن عائشة: «أنا أطَّلع من صير الباب فأسمع هذا»(١).

ونقول:

إنه يمكن قبول هذه الرواية، إذا كان ذلك الرجل يريد أن يشتكي من أن بكاء النساء قد تجاوز الحدود المعقولة وصار يوجب إلحاق العناء بالناس، كما صرحت به الرواية.

أو أنه صار كأنه يمثل نوعاً من الاعتراض على الله سبحانه..

أو أنه بلغ حداً من شأنه أن يضر بمعنويات المجتمع الإسلامي، ويوهن من عزيمته، ويحد من الإقبال على الجهاد في سبيل الله.. فلابد من التصدي لهذه المبالغات لتعود الأمور إلى مجراها الطبيعي.

وهذه الاحتمالات معقولة، ومقبولة، وتنسجم مع سائر ما دل على جواز البكاء على الأموات.

غير أن في النص أمراً آخر، لابد من الوقوف عنده، وهو أن عائشة تقول: إنها كانت تسمع هذا وهي تطَّلع من صير الباب. حيث إننا لا نظن أن يرضى النبي «صلى الله عليه وآله» بهذا العمل منها.. ولو أنه رآها تفعل ذلك، أو أن أحداً ذكر له ذلك عنها لزجرها وأنبها، وأعلن عن عدم رضاه

---

(١) المغازي للواقدي ج٢ ص٧٦٧ و ٧٦٨ وراجع: السيرة الحلبية ج٣ ص٦٨ والبداية والنهاية لابن كثير ج٤ ص٢٨٧ ومسند ابن راهويه ج٢ ص٤١٣ والسيرة النبوية لابن هشام ج٣ ص٨٣٥ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٤٧٥.

بهذه الجرأة، وبهذا التجسس عليه، الهادف إلى الإطلاع على ما يريد ستره عنها، وهو أمر قد نهى عنه القرآن، وأكدت على رفضه وأدانته كلمات رسول الله «صلى الله عليه وآله» في المناسبات المختلفة.

أسماء وتعريف الناس بفضل جعفر:

وقد صرحت الروايات المتقدمة: بأن أسماء قد طلبت من النبي «صلى الله عليه وآله»: أن يعلم الناس بما حبا الله تعالى به جعفراً «عليه السلام»، فأجاب طلبها رضوان الله تعالى عليها، وأخبر الناس من على منبره بذلك.

ونقول:

لقد أظهرت أسماء عقلاً راجحاً، واتزاناً واضحاً، حين طلبت من النبي «صلى الله عليه وآله» أن يذكر للناس فضل جعفر، كما صرحت به الرواية المتقدمة عن الإمام الكاظم «عليه السلام»، لأن هدف أسماء رحمها الله تعالى لم يكن هو الفخر، والتباهي أمام الناس بهذا العطاء الإلهي لجعفر «عليه السلام»، لتكون قد استغلت دمه الشريف لأهداف دنيوية، وإثارات فارغة..

بل كان هدفها:

أولاً: أن يستفيد الناس من هذه الأمثولة الرائدة المزيد من الاندفاع للتضحية، والبذل والعطاء في سبيل الله تعالى. وأن يتضاعف حرصهم على نيل المقامات السامية، والحصول على المزيد من التطهير والتزكية لنفوسهم وقلوبهم.

ثانياً: إنها أرادت أن تبين للناس: أن ما يثيره الحاقدون من أجواء

تشكيكية بفضل جعفر «عليه السلام»، وبهجرته وجهاده، ما هو إلا سموم تنضح من أنياب أفاعٍ يلذ لها أن تنهش بأجساد الأخيار والأبرار، وان ما تظهره تلك الأراقم من لين الجانب ونعومة الملمس إنما يخفي وراءه السم الناقع، والغدر الذميم والبغيض.

ولأجل ذلك استجاب لها رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ولم نلاحظ أن لديه أي تحفظ على ما طلبته، ولو أنه شعر بأنها تسعى لنيل شيء من حطام الدنيا، حتى لو كان ذرة من حب التفاخر والتباهي لأظهر لها ذلك، ولكان وعظها وحذَّرها، ولرفض طلبها، إذ لا يمكن أن يرضى لنفسه أن يكون له أي أثر في تمكينها من تحقيق أهداف من هذا القبيل.

ويعزز هذا الذي نقوله: أن أسماء كانت معروفة بالعقل والإتزان، وبالالتزام والتقوى. ولم يلاحظ أحد على سلوكها وتصرفاتها أنها ممن كان يسعى لاستجلاب المنافع الدنيوية لنفسها.

بل الظاهر من حالها وحياتها هو: مراعاة أحكام الشرع، والاهتمام بما يرضي الله سبحانه..

ويدل على ذلك: ما روي من شهادة النبي «صلى الله عليه وآله» لها بأنها من أهل الجنة، أو من المؤمنات[1]. وأن نجابة ولدها محمد بن أبي بكر أتت

---

(١) تنقيح المقال ج٣ ص٦٩ والخصال ص٣٦٣ وشرح الأخبار للقاضي النعمان ص٥٧ والبحار ج٢٢ ص١٩٥ و ٢٩١ وفضائل الصحابة ص٨٦ والسنن الكبرى ج٥ ص١٠٣ والمعجم الكبير ج١١ ص٣٢٨ وج٢٤ ص١٣٢ ومجمع الزوائد ج٩ ص٢٦٠ والمستدرك للحاكم ج٤ ص٣٢ والآحاد والمثاني ج٥ ص٤٥٦ والجامع لأحكام القرآن ج٥ ص٣٤٦ وكنز العمال ج١٢ ص١٣٨ =

من قبلها[1].

على أن الوقت الذي طلبت فيه أسماء رحمها الله من النبي «صلى الله عليه وآله» أن يعرف الناس بفضل جعفر، كان وقت وقوع الصدمة عليها، وهو الوقت الذي تلتهب فيه المشاعر إلى أقصى مدى، فلا يبقى مجال للتفكير في أمثال هذه القضايا، أو الانسياق وراء هذه الأوهام.

إتخاذ الطعام في أيام العزاء سُنة:

قال السهيلي معلقاً على حديث الطعام لأبناء جعفر «عليه السلام»: هو أصل في طعام التعزية، ويسميه العرب «الوضيمة».

كما تسمي طعام العرس: «الوليمة».

= وتاريخ مدينة دمشق ج٣ ص٢٣٤ وأنساب الأشراف ص٤٤ وعن الإصابة ج٨ ص٤٥٠ والطرائف ص٢٤٩ ومستدرك سفينة البحار ج١ ص٧٤ وج٥ ص١٧٧ ومعجم رجال الحديث ج٢٤ ص١٩٥ واللمعة البيضاء للأنصاري ص٨٣٩ ومواقف الشيعة ج٢ ص٤٠٦ وتهذيب الكمال ج٣٥ ص٢٩٨ وتهذيب التهذيب ج١٢ ص٣٩٩ والجامع لأحكام القرآن ج٥ ص٣٤٦ وجامع الأحاديث والمراسيل ج٣ ص٤٤٣ والفتح الكبير ج١ ص٥٠٥ وعن الإستيعاب ج٤ ص٢٠١.

(١) تنقيح المقال ج٣ ص٦٩ والإختصاص (ط مؤسسة النشر الإسلامي) ص٧٠ وإختيار معرفة الرجال (ط مؤسسة آل البيت) ج١ ص٢٨١ والبحار ج٣٣ ص٥٨٤ و ٥٨٥ ومجمع البحرين ج١ ص٥٧١ والوسائل (ط دار الإسلامية) ج٢٠ ص٢٠٩ والإختصاص ص٧٠ ومستدرك سفينة البحار ج٥ ص١٧٧ ومعجم رجال الحديث ج١٥ ص٢٤٢.

وطعام القادم من السفر: «النقيعة».

وطعام البناء: «الوكيرة»[1].

والدليل الصحيح والأدق في موضوع طعام التعزية هو ما روي عن الإمام جعفر الصادق «عليه السلام» قال: «لما مات جعفر بن أبي طالب أمر رسول الله «صلى الله عليه وآله» فاطمة «عليها السلام» أن تتخذ طعاماً لأسماء بنت عميس، وتأتيها ونساؤها ثلاثة أيام، فجرت بذلك السنة: أن يصنع لأهل الميت ثلاثة أيام طعام»[2].

زيارة عوائل الشهداء:

وقد أظهرت النصوص المتقدمة: أن سيد الرسل وأفضل الخلق «صلى

---

(١) السيرة الحلبية ج٣ ص٦٨.

(٢) البحار ج٢١ ص٥٤ و ٥٥ وج٧٦ ص٧٢ و ٨٢ و ٨٣ عن أمالي الطوسي ص٥٧ و ٥٨ وعن المحاسن ص٤١٩ وعن الكافي (الفروع) ج١ ص٥٩ والحدائق ج٤ ص١٥٨ و ١٦٠ وغنائم الأيام ج٣ ص٥٦٠ عن: (الكافي ج٣ ص٢١٧ ح٢١ ومن لا يحضره الفقيه ج١ ص١١٦ ح٥٤٩ والمحاسن ص٤١٩ ح١٩١ والوسائل ج٢ ص٨٨٨ أبواب الدفن ب٦٧).

وراجع: تذكرة الفقهاء (ط ق) ج١ ص٥٧ ونهاية الحكام ج٢ ص٢١٢ والذكرى ص٧٠ والحبل المتين ص٧٤ ومن لا يحضره الفقيه ج١ ص١١٢ و ١٨٢ والوسائل (ط مؤسسة آل البيت) ج٣ ص٢٣٦ وج٢٤ ص٣٦٤ و (ط دار الإسلامية) ج٢ ص٨٨٨ وج١٦ ص٤١٢ وأمالي الطوسي (ط دار الثقافة ـ قم) ص٦٥٩ وشجرة طوبى ج٢ ص٣٠٠ وسنن النبي «صلى الله عليه وآله» للطباطبائي ص٢٥٤ ومنتهى الجمان ج١ ص٣٠٤.

الله عليه وآله»، الذي كان لا يتعامل مع الأمور بمنطق العشائرية والقبلية، بل بروح رسالية، وتوجيه إلهي كان يزور بيوت الشهداء، ويواسي عوائلهم، ويجهش بالبكاء، ويشاركهم فيما يظهرونه من أسى وألم..

الأمر الذي يجسد رقته «صلى الله عليه وآله» وحنانه، ورأفته، كما أنه يؤكد رعايته، وأبوته لتلك العوائل بصورة عملية وواقعية.

ثم هو يدلل على درجة عالية من الإخاء والمصافاة والوفاء.. بين الناس وبين موقع القيادة، حتى على مستوى النبوة الخاتمة، حيث إن هذا النبي الكريم والعظيم يعامل من يقر بنبوته، ويتبع رسالته بهذه الروح، بعيدا عن أي حالة تشي بتمييز نفسه عنهم، أو حتى بأية خصوصية له دونهم، فهو فيهم كأحدهم، يفرح لفرحهم، ويحزن لحزنهم، وتندمج روحه بأرواحهم حباً، ويذيبها الحنين إليهم شوقاً.

شهداء في قبر واحد، وإخفاء القبر:

قال ابن عنبة: «دفن جعفر، وزيد بن حارثة، وعبد الله بن رواحة في قبر واحد، وعمي القبر»[1].

ولم تبذل محاولة حقيقية لتحديد موضع دفنهم رضوان الله تعالى عليهم إلا في العصور المتأخرة..

وقد كان من الطبيعي: أن يُعَمَّى موضع قبور الشهداء، فإن المنطقة قد بقيت في يد الأعداء، إلى أن ظهر الإسلام فيها، ولكن لم يكن هؤلاء

---

(١) عمدة الطالب ص٣٦.

المسلمون ممن يهتمون بإظهار أمر آل أبي طالب، بل كان اهتمامهم منصباً على ما يناقض ذلك..

وقد أخفي قبر علي بن أبي طالب «عليه السلام» حوالي مئة سنة إلى أن أظهره الإمام الصادق «عليه السلام» في عهد المنصور العباسي.

كيف وقد نبش الحجاج ثلاثة آلاف قبر من أجل أن يعثر على جسد علي «لكي يحرقه»، ولا يبقي له أثراً، فلم يمكنه الله من ذلك[1].

وقد أخفي قبر زيد بن علي، ثم لما عرف صلبوه سنوات، ثم أحرقوه[2].

وعلينا أن لا ننسى قبر الزهراء «عليها السلام» الذي لا يزال مجهولاً إلى يومنا هذا.

ولعلها حين ارادت إعلان الاحتجاج على الذين آذوها وضربوها، وأسقطوا جنينها، واغتصبوا منها فدكاً وسواها..

أرادت أيضاً: أن تحفظ جثمانها الطاهر من أن يتعرض للنبش والهتك من قبل من حاول نبش قبر ولدها الإمام الحسين «عليه السلام»، وزوجها علي، ونبش قبر حفيدها زيد، كما هو ظاهر.

---

(١) روضات الجنات ج٢ ص٥٤ وراجع: تفسير القرآن الكريم (تفسير أبي حمزة الثمالي) ص٧٥.

(٢) شجرة طوبى ج١ ص١٤٣ والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج٣ ص١٠٠ والإيضاح لابن شاذان هامش ص٣٩٩ وعن الكامل لابن الأثير ج٥ ص٩٠ والكافي ج٨ ص٢٥١.

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

(٢) [illegible]

الفصل الخامس:

صورة موهومة لسرية ذات السلاسل

[illegible]

[illegible]

غزوة ذات السلاسل:

قال ابن عقبة، وابن إسحاق، وابن سعد، ومحمد بن عمر، واللفظ له: «بلغ رسول الله «صلى الله عليه وآله» أن جمعاً من قضاعة يريدون أن يدنوا الى أطراف مدينة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فدعا رسول الله «صلى الله عليه وآله» عمرو بن العاص بعد إسلامه بسنة».

وعند ابن إسحاق: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» بعث عمرواً يستنفر العرب إلى الشام، فعقد له لواء أبيض، وجعل معه راية سوداء، وبعثه في ثلاثمائة من سراة المهاجرين، (منهم: عامر بن ربيعة، وصهيب، وسعيد بن زيد، وسعد بن أبي وقاص) والأنصار، (منهم: أسيد بن حضير، وعباد بن بشر، وسلمة بن سلامة، وسعد بن عبادة) وأمره أن يستعين بمن مرَّ به من العرب: من بُلي، وعذرة، وبلقين.

وذلك أن عمرواً كان ذا رحم فيهم، كانت أم العاص بن وائل بلوية، فأراد رسول الله «صلى الله عليه وآله» أن يتألفهم بعمرو[1].

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٦٧ والمغازي للواقدي ج٢ ص٧٧٠ وراجع: السيرة الحلبية ج٣ ص١٩٠ وعن زاد المعاد ج١ ص١١١٨ و ١١٣٩ وسبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٦٧ وعن فتح الباري ج٨ ص٥٩ والطبقات الكبرى =

وفي حديث بريدة عند إسحاق بن راهويه: أن أبا بكر قال: «إن عمرواً لم يستعمله رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلا لعلمه بالحرب». انتهى.

وكان معه ثلاثون فرساً، فكان يكمن النهار ويسير الليل، حتى إذا كان على ماء بأرض جذام، يقال له: السلاسل ـ ويقال: السلسل، وبذلك سميت الغزوة ذات السلاسل ـ (وقيل: سميت بذلك لأن المشركين ارتبط بعضهم إلى بعض، مخافة أن يفروا)[1]. بلغه أن لهم جمعاً كثيراً، فبعث عمرو رافع بن مكيث الجهني إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» يخبره أن لهم جمعاً كثيراً ويستمده.

فبعث رسول الله «صلى الله عليه وآله» أبا عبيدة بن الجراح، وعقد له لواء، وبعث معه سراة المهاجرين، كأبي بكر وعمر بن الخطاب، وعدة من الأنصار. وأمر رسول الله «صلى الله عليه وآله» أبا عبيدة أن يلحق بعمرو بن العاص، وأن يكونا جميعاً ولا يختلفا.

وكان أبو عبيدة في مائتي رجل حتى لحق بعمرو. فلما قدموا أراد أبو عبيدة أن يؤم الناس، فقال عمرو: «إنما قدمت عليَّ مدداً لي، وليس لك أن تؤمني وأنا الأمير».

فقال المهاجرون: «كلا بل أنت أمير أصحابك وهو أمير أصحابه».

= ج٢ ص١٣١ وتاريخ مدينة دمشق ج٢ ص٢٢ وتاريخ المدينة لابن أبي شبة ج١ ص٣٠١ وعن عيون الأثر ج٢ ص١٧١ وعمدة القاري ج١٨ ص١٢.

(١) تاريخ الخميس ج٢ ص٧٥ وعن فتح الباري ج٨ ص٥٨ وتاريخ المدينة لابن أبي شبة ج١ ص٣٠٢ وسبل الهدى ج٦ ص١٧٢ وعمدة القاري ج١٨ ص١٢ وج١٦ ص٧٠ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج٣ ص١٩٨.

فقال عمرو: «لا، أنتم مدد لنا».

فلما رأى أبو عبيدة الاختلاف، وكان رجلاً ليناً حسن الخلق سهلاً، هيناً عليه أمر الدنيا، يسعى لأمر رسول الله «صلى الله عليه وآله» وعهده، قال: «يا عمرو، تعلمن أن آخر شيء عهد إليَّ رسول الله «صلى الله عليه وآله» أن قال: «إذا قدمت على صاحبك فتطاوعا ولا تختلفا. وإنك والله إن عصيتني لأطيعنك».

وأطاع أبو عبيدة عمرواً. فكان عمرو يصلي بالناس.

وقال عمرو: «فإني الأمير عليك وأنت مددي».

قال: «فدونك»[1].

وعن الشعبي مرسلاً قال: «انطلق المغيرة بن شعبة إلى أبي عبيدة فقال: إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد استعملك علينا، وإن ابن فلان قد اتبع أمير القوم، فليس لك معه أمر».

فقال أبو عبيدة: «إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» أمرنا أن نتطاوع، فأنا أطيع رسول الله «صلى الله عليه وآله» وإن عصاه عمرو».

فأطاع أبو عبيدة عمرواً، فكان عمرو يصلي بالناس، وصار معه خمسمائة.

فسار حتى نزل قريباً منهم، وهم شاتون. فجمع أصحابه الحطب

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٦٧ والمغازي للواقدي ج٢ ص٧٧٠ و ٧٧١ وراجع: تاريخ الخميس ج٢ ص٧٥ والسيرة الحلبية ج٣ ص١٩٠ و ١٩١ وراجع: تاريخ مدينة دمشق ج٢ ص٢٢ و ٢٥ و ٢٦ وج٢٥ ص٤٤٩ وعن الإصابة ج٣ ص٤٧٧ وعن البداية والنهاية ج٤ ص٣١٢ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٥١٦ وعن السيرة النبوية لابن هشام ج٤ ص١٩٩.

يريدون أن يوقدوا ناراً ليصطلوا عليها من البرد، فمنعهم، فشق عليهم ذلك، حتى كلمه في ذلك بعض المهاجرين، فغالظه.

فقال له عمرو: «قد أمرت أن تسمع لي».

قال: نعم.

قال: فافعل[1].

وروى ابن حبان، والطبراني برجال الصحيح، عن عمرو بن العاص: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» بعثه في غزوة ذات السلاسل، فسأله أصحابه: أن يوقدوا ناراً، فمنعهم. فكلموا أبا بكر، فكلمه، فقال: «لا يوقد أحد منهم ناراً إلا قذفته فيها»[2].

وروى الحاكم[3] عن بريدة قال: «بعث رسول الله «صلى الله عليه وآله» عمرو بن العاص في سرية فيهم أبو بكر، وعمر بن الخطاب، فلما انتهوا إلى مكان الحرب أمرهم عمرو ألا يوقدوا ناراً، فغضب عمر بن الخطاب، وهمَّ أن يأتيه، فنهاه أبو بكر، وأخبره أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» لم

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٦٨ عن أحمد والمغازي للواقدي ج٢ ص٧٧٠ و ٧٧١ وراجع: تاريخ الخميس ج٢ ص٧٥ وتاريخ مدينة دمشق ج٢ ص٢٢.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٦٨ وفي هامشه: عن الهيثمي في المجمع ج٥ ص٣٢٣، وقال: رواه الطبراني بإسنادين، ورجال الأول رجال الصحيح. والسيرة الحلبية ج٣ ص١٩١ وصحيح ابن حبان ج١٠ ص٤٠٤ وموارد الظمآن ص٤٠٠ تاريخ اليعقوبي ج٢ ص٧٥.

(٣) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٦٨ وفي هامشه قال: أخرجه الحاكم ج٣ ص٤٢ في كتاب المغازي وقال: هذا الحديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وأقره الذهبي.

يستعمله إلا لعلمه بالحرب. فهدأ عنه[1].

وفي حديث بريدة: أن عمر أراد أن يكلم عمرواً لما منع الناس أن يوقدوا ناراً.

وفي حديث عمرو: أن أبا بكر كلم عمرواً في ذلك.

ويجمع بين الحديثين: بأن أبا بكر سلم لعمرو أمره، ومنع عمر بن الخطاب من كلامه، فلما ألح الناس على أبي بكر في سؤاله سأله حينئذ فلم يجبه. ويحتمل أن منع أبي بكر لعمر بن الخطاب كان بعد سؤال أبي بكر لعمرو[2].

وروى ابن حبان، والطبراني عن عمرو بن العاص: أن الجيش لما رجعوا ذكروا لرسول الله «صلى الله عليه وآله» منعي لهم من إيقاد النار، ومن اتباعهم العدو، فقلت: يا رسول الله، إني كرهت أن يوقدوا ناراً فيرى عدوهم قلتهم، وكرهت أن يتبعوهم، فيكون لهم مدد، فيعطفوا عليهم.

فحمد رسول الله «صلى الله عليه وآله» أمره[3].

فسار عمرو الليل، وكمن النهار، حتى وطئ بلاد العدو ودوخها

---

(١) وراجع: المغازي للواقدي ج٢ ص٧٧٠ و ٧٧١ والسيرة الحلبية ج٣ ص١٩١ وعن فتح الباري ج٨ ص٥٩ والنص والإجتهاد ص٣٣٧ والسنن الكبرى للبيهقي ج٩ ص٤١ وتاريخ مدينة دمشق ج٤٦ ص١٤٦.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٧٣ وعن فتح الباري ج٨ ص٥٩.

(٣) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٧١ والسيرة الحلبية ج٣ ص١٩١ وعن فتح الباري ج٨ ص٥٩ وصحيح ابن حبان ج١٠ ص٤٠٤ وموارد الظمآن ص٤٠٠ وكنز العمال ج١٢ ص٥٠١ وتاريخ مدينة دمشق ج٢ ص٢٧ وج٤٦ ص١٤٤.

كلها، حتى انتهى إلى موضع بلغه أنه قد كان به جمع، فلما سمعوا به تفرقوا.

فسار حتى إذا انتهى إلى أقصى بلادهم، ولقي في آخر ذلك جمعاً ليسوا بالكثير، فاقتتلوا ساعة، وحمل المسلمون عليهم فهزموهم، وتفرقوا (ورمي يومئذٍ عامر بن ربيعة بسهم، فأصيب ذراعه).

ودوخ عمرو ما هنالك، وأقام أياماً لا يسمع لهم بجمع ولا مكان صاروا فيه [إلا قاتلهم].

وكان يبعث أصحاب الخيل فيأتون بالشاء والنعم، فكانوا ينحرون ويأكلون، ولم يكن أكثر من ذلك، لم يكن في ذلك غنائم تقسم. كذا قال جماعة[1].

قال البلاذري: فلقي العدو من قضاعة، وعاملة، ولخم، وجذام ـ وكانوا مجتمعين ـ ففضهم، وقتل منهم مقتلة عظيمة، وغنم.

وروى ابن حبان، والطبراني، عن عمرو: أنهم لقوا العدو، فأراد المسلمون أن يتبعوهم فمنعهم.

وبعث عمرو عوف بن مالك الأشجعي بشيراً إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» بقفولهم وسلامتهم، وما كان في غزاتهم[2].

---

(١) راجع: سبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٦٨ وتاريخ مدينة دمشق ج٢ ص٢٣ وعن البداية والنهاية ج٤ ص٣١٢ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٥١٧ وعن عيون الأثر ج٢ ص١٧١ والطبقات الكبرى ج٢ ص١٣١.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٦٨ وراجع: المغازي للواقدي ج٢ ص٧٧٠ و ٧٧١ والطبقات الكبرى ج٢ ص١٣١ وعن عيون الأثر ج٢ ص١٧٢.

ونقول:

إن لنا مع ما تقدم وقفات، نجملها في ما يلي من مطالب:

تاريخ غزوة ذات السلاسل:

قالوا: إن غزوة ذات السلاسل كانت في جمادى الآخرة سنة ثمان[1].

وقيل: كانت سنة سبع، وبه جزم ابن أبي خالد في صحيح التاريخ[2].

ونقل ابن عساكر الاتفاق: على أنها كانت بعد غزوة مؤتة إلا أن ابن إسحاق قال قبلها[3].

والظاهر: أن ذلك في غير رواية زياد البكائي، التي نقلها ابن هشام في

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٦٧ و ١٧٢ عن ابن سعد، وتاريخ الخميس ج٢ ص٧٥ والمجموع ج٢ ص٢٨٤ ونيل الأوطار ج١ ص٣٢٤ ومستدرك سفينة البحار ج٧ ص٥٧٦ والديباج على مسلم ج٥ ص٣٧٣ وتاج العروس ج٧ ص٣٨٠ وعون المعبود ج١ ص٣٦٥ والطبقات الكبرى ج٢ ص١٣١ وعن عيون الأثر ج٢ ص١٧١ والقاموس المحيط ج٣ ص٣٩٧.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٧٢ وتاريخ الخميس ج٢ ص٧٥ والنص والإجتهاد ص٣٣٦ عن السيرة النبوية لابن هشام ج٤ ص٢٧٢ و ٢٧٤ وعن الكامل لابن الأثير ج٢ ص١٥٦ والسيرة الحلبية ج٣ ص١٩٠ وراجع: معجم قبائل العرب ج٣ ص٩٧٤ وعن فتح الباري ج٨ ص٥٨.

(٣) راجع: تاريخ الخميس ج٢ ص٧٥ وسبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٧٢ وقد نقل هذا الإتفاق عن ابن عسكر النووي في تهذيبه، وابن حجر في فتح الباري، وراجع: تاريخ مدينة دمشق ج٢ ص٢١ وشرح مسلم للنووي ج١٥ ص١٥٣ وعن فتح الباري ج٨ ص٥٨.

تهذيبه.. أما رواية زياد فذكرت ذات السلاسل بعد غزوة مؤتة[١]».

مقصد السرية:

هل المقصود بذات السلاسل، ماء وراء ذات القرى، وذلك من المدينة على عشرة أيام؟ أو هو موضع بناحية الشام في أرض بني عذرة.

وفي سيرة ابن هشام: ماء بأرض جذام؟[٢].

سراة المهاجرين والأنصار مع عمرو:

وقد زعموا: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد بعث عمرواً في سراة المهاجرين والأنصار، ثم ذكروا بعض أسماء هؤلاء. ثم لما استمد عمرو النبي «صلى الله عليه وآله» بعث أبا عبيدة مدداً له، ومعه سراة المهاجرين، وعدة من الأنصار[٣].

---

(١) راجع: سبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٧٢عن تهذيب ابن هشام.

(٢) راجع: تاريخ الخميس ج٢ ص٧٥ وسبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٧٢ و ١٦٨ والمغازي للواقدي ج٢ ص٧٧٠ والمجموع ج٢ ص٢٨٤ ومستدرك سفينة البحار ج٥ ص٩٦ وشرح مسلم للنووي ج١٥ ص١٥٣ وعن عون المعبود ج١ ص٣٦٤ ومعجم البلدان ج٣ ص٢٣٣ و ٢٣٦ وعن البداية والنهاية ج٥ ص٢٣٨ وعن عيون الأثر ج٢ ص١٧١ والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص٤٣٥ والنهاية في غريب الحديث ج٢ ص٣٨٩ وعن فتح الباري ج٨ ص٥٨ وعون المعبود ج١ ص٣٦٤ ولسان العرب ج١١ ص٣٤٥ وتارج العروس ج٧ ص٣٨٠.

(٣) تقدم مصادر ذلك.

ونقول:

١ ـ إن ظاهر عباراتهم أن الثلاث مئة كانوا جميعاً من سراة المهاجرين والأنصار..

ولا ندري إن كان في المهاجرين والأنصار هذا المقدار من السراة؟! وإن كان ذلك فيهم، فهل كانوا جميعاً يستطيعون المشاركة في الحرب؟!

٢ ـ لماذا تخيَّر النبي «صلى الله عليه وآله» خصوص السراة ليرسلهم مع عمرو ؟!..

مع أننا لم نجده قد فعل مثل ذلك مع غيره في أية غزوة أخرى، لا قبل ذلك ولا بعده.

٣ ـ إن الذين عدوَّهم من السراة، والذين كانوا مع عمرو أيضاً إنما كانوا باستثناء سعد بن عبادة من الذين يدورون في فلك غاصبي الخلافة بعد رسول الله «صلى الله عليه وآله»، أو من أقرب أعوانهم على هذا الأمر، أو من مؤيديهم فيه..

أما سعد بن عبادة، فإن سعيه للاستئثار بهذا الأمر لنفسه.. يجعله في الجهة المناوئة لعلي «عليه السلام»، فهم يقدرون له موقفه هذا، وإن كانوا يكرهونه لأجل أنه لم يسلم بالخلافة لأبي بكر، بل نافسه فيها، ونابذه، ولم يبايعه حتى اغتاله خالد بن الوليد بالشام.. ثم زعموا: أن الجن قتلته[1].

---

(١) راجع: الغدير ج٧ ص١٥٠ وج٩ ص٣٧٩ وطرائف المقال للبروجوردي ج٢ ص٨٦ عن البلاذري في تاريخه، وحياة الإمام الحسين «عليه السلام» للقرشي ج١ ص٢٣٨ ومكاتيب الرسول ج٣ ص٣٢١ وحاشية رد المحتار ج١ ص٣٧١ ومعجم رجال الحديث ج٩ ص٧٦ وإكمال الكمال ج٣ ص١٤١ وتاريخ مدينة=

٤ ـ إن اللافت: أنهم حين ذكروا الذين كانوا مع أبي عبيدة قالوا: «بعث معه سراة المهاجرين، كأبي بكر، وعمر بن الخطاب، وعدة من الأنصار» كما تقدم.. فالسراة حسب تعبيرهم هذا هم في المهاجرين فقط.. مثل أبي بكر وعمر.. أما الأنصار فلا سراة فيهم، ولذلك جاء التعبير ليقول: «وعدة من الأنصار»، فهل السبب في هذه المفارقة: أنه لم يكن في هؤلاء الأنصار من كان يظهر النصرة والتأييد والحماس لهم، ولمشروعهم الرامي إلى غصب الخلافة من صاحبها الشرعي؟!

لا ندري!! ولعل الفطن الذكي يدري!!

علم عمرو بن العاص بالحرب:

وقد ذكروا: أن أبا بكر قال: إن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يستعمل عمروا إلا لعلمه بالحرب.

ونقول:

١ ـ إننا لم نعرف عن عمرو علماً يذكر له بالحرب سوى أنه كان إذا دهمه أمر لا يقدر على دفعه، اتقاه بعورته، كما صنع في صفين، فإنه خلَّص نفسه من سيف علي «عليه السلام» بأن كشف عن عورته، فأعرض عنه

= دمشق ج٢٠ ص٢٤٣ وتهذيب التهذيب ج٣ ص٤١٢ والعبر وديوان لمبتدأ والخبر ج٢ ق٢ ص٦٤ ومجمع الزوائد ج١ ص٢٠٦ وبغية الباحث ص٣٨ والمعجم الكبير ج٦ ص١٦ وشرح النهج للمعتزلي ج١٠ ص١١١ وعن أسد الغابة ج٢ ص٢٨٤ والبحار ج٦ ص٢٩٨.

علي، فنجا عمرو بنفسه[1].

كما أنه لم يظهر منه في غزوة ذات السلاسل ما يدل على هذه المعرفة، ولا على الشجاعة التي تحتاجها الحروب، بل ظهر منه خلافها. وسنرى أنه لا صحة لما يدَّعونه له من إنجازات فيها. وليس له في عهد رسول الله «صلى الله عليه وآله» أثر آخر يستحق الذكر في حروبه في صفوف المسلمين. كما أنه لم يظهر له ما يشير إلى شيء من ذلك، حين كان يقاتل في صفوف المشركين..

٣ ـ إذا كان علم عمرو بن العاص بالحرب هو السبب في تأمير النبي «صلى الله عليه وآله» له على السرية، فلماذا لم يؤمر من هم أعرف منه بأمر الحرب، وأظهر شجاعة، وأكثر مراساً؟!

ولا نريد أن نذكر: المقداد، وأبا دجانة وأمثالهما، بل نريد أن نخص بالذكر من يحبونهم.. وينسبون لهم البطولات في المواقف المختلفة، مثل الزبير، وخالد، ومحمد بن مسلمة وسواهم، ممن يزعمون: أن لهم سوابق مشهورة ومشهودة، وآثار محمودة في هذا السبيل..

٤ ـ من أين علم أبو بكر: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد ولى عمرواً هذه السرية لعلمه بالحرب.. فلعله ولاه تألفاً له؟! بل لعله ولاه ليفضح أمره فيما يدَّعيه لنفسه من بطولات، أو من إخلاص يدَّعي أنه قد بلغ فيه حداً يجعله على استعداد للتضحية بكل غال ونفيس في سبيل هذا الدين؟!

---

(١) الغدير ج٢ ص١٦١ والبحار ج٣٢ ص٥١٢ و ٥٨٥ وصفين للمنقري ص٤٠٧ وكتاب سليم بن قيس (بتحقيق المحمودي) ص٣٣٩ وشرح النهج للمعتزلي ج٨ ص٦٠ والأخبار الطوال للدينوري ص١٧٧ والمناقب للخوارزمي ص٢٣٦ وعن مناقب آل أبي طالب ج٢ ص٣٦٠ والصراط المستقيم ج٣ ص٥٢.

فجاءت هذه القضية لتفضحه، ولتكون بمثابة تحذير للناس من أن يخدعوا بكلامه، ويصدقوه فيما يحاول أن يدلسه عليهم.

ورطة تأمير عمرو على الشيخين:

قال الصالحي الشامي:

«ليس في تأمير رسول الله «صلى الله عليه وآله» عمرواً على أبي بكر وعمر تفضيله عليهما، بل السبب في ذلك معرفته بالحرب، كما ذكر ذلك أبو بكر لعمر، كما في حديث بريدة، فإن عمرواً كان أحد دهاة العرب، وكون العرب الذين أمره رسول الله «صلى الله عليه وآله» أن يستعين بهم أخوال أبيه، كما ذكر في القصة، فهم أقرب إجابة إليه من غيره».

وروى البيهقي، عن أبي معشر، عن بعض شيوخه: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قال: «إني لأؤمر الرجل على القوم، وفيهم من هو خير منه؛ لأنه أيقظ عيناً، وأبصر بالحرب»[1].

وعن أبي عثمان النهدي قال: سمعت عمرو بن العاص يقول: بعثني رسول الله «صلى الله عليه وآله» على جيش ذي السلاسل، وفي القوم أبو بكر، وعمر، فحدثت نفسي أنه لم يبعثني على أبي بكر وعمر إلا لمنزلة عنده.

قال: فأتيته حتى قعدت بين يديه، وقلت: يا رسول الله من أحب الناس؟

قال: «عائشة».

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٧٢ وفي هامشه عن دلائل النبوة للبيهقي ج٤ ص٤٠٠ وراجع: كنز العمال ج٦ ص٧٨ وتاريخ مدينة دمشق ج٢ ص٢٤ وج٤٦ ص١٤٦.

قلت: إني لست أ سألك عن أهلك.

قال: «فأبوها».

قلت: ثم من؟

قال: «عمر».

قلت: ثم من؟ حتى عد رهطاً.

قلت في نفسي: لا أعود أسأل عن هذا،

وفي رواية الشيخين: فسكتُّ مخافة أن يجعلني في آخرهم[1].

ونقول:

١ ـ قد اتضح: أن المشكلة عند هؤلاء هو أن يتأمر عمرو بن العاص على أبي بكر وعمر، فلابد من إيجاد مخرج من هذه الورطة، التي ربما تلقي بظلال غير مرغوب فيها على الهالة التي ينسجونها حول الشيخين، وما لهما من مقام عند الله ورسوله، وما لهما من ميزات وفضل في أنفسهما.

٢ ـ لقد أكد الحاجة إلى هذا المخرج ما يعرفونه في عمرو بن العاص ـ وهو من دهاة العرب ـ من قدرة على الاستفادة من هذا الأمر في خدمة طموحاته ورغباته.. وربما يكون غضب عمر السريع، وبلا مبرر ظاهر، في قضية المنع من إيقاد النار حتى احتاج إلى تهدئة إبي بكر، ـ إن غضبه هذا ـ

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٧١ وقال في هامشه: أخرجه البخاري ج٥ ص٦ومسلم، كتاب الفضائل، وأحمد في المسند ج٤ ص٢٠٤ والسنن الكبرى ج٦ ص١٧٠ وراجع: تاريخ مدينة دمشق ج٤٤ ص٢٢٠ وج٤٦ ص٢٤٧ وعن فتح الباري ج٧ ص١٩ وتحفة الأحوذي ج١٠ ص٢٦٠ وعن البداية والنهاية ج٤ ص٣١٤.

قد جاء قبل أن يظهر له المخرج المناسب من هذه الورطة، فلما أظهره أبو بكر له هدأ!!

ولو صحت قصة أبي عثمان النهدي (المحرفة) فإنها تكون شاهداً على هذا أيضاً.

وقد جاء هذا المخرج على لسان أبي بكر تارة، ثم جاء منسوباً إلى النبي «صلى الله عليه وآله» تارة أخرى..

وملخصه: أن الأمارة في السرايا لا تخضع لعنوان الفضل والمقام والكرامة عند الله تعالى.

بل ليس ميزانها هو الشجاعة والإقدام أيضاً، وإنما ميزانها العلم والبصر بالحرب، ويقظة العين.

ولا مانع من التنازل عن هذه الأمور، مع الاحتفاظ بعناوين الأفضلية في سائر الجهات، التي يريدون تسويقها، لكي تُرشِّح أبا بكر وعمر لمقام الخلافة بعد رسول الله «صلى الله عليه وآله».

ولذلك هدأ عمر عندما وجد لدى أبي بكر الرد الكافي، والدواء الشافي. وهو قوله: إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» لم يول عمرواً إلا لعلمه بالحرب..

ثم نسب أبو معشر إلى بعض شيوخه أنه زعم: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قال: «إني لأؤمر الرجل على القوم، وفيهم من هو خير منه، لأنه أيقظُ عيناً، وأبصر بالحرب».

ثم سعوا إلى تضعيف مقولة علم عمرو بالحرب، بمقولة أخرى، لا تعطيه أية مزية، سوى أن له أخوالاً يحتاج الرسول «صلى الله عليه وآله» إلى

الاستعانة بهم.

ولذلك زعموا: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» إنما ولى عمرواً في تلك الغزوة لأنه أراد منه وأمره أن يستعين بالعرب الذين هم أخوال أبيه، وهم بنو بُلي[1].

ونظن: أن موضوع الاستعانة بالأخوال قد اختلق في وقت متأخر، ولعله لأجل تعمية الأمور على الأجيال الآتية.. وذلك لأن الناس الذين حضروا الواقعة لا يفيدهم هذا التوجيه؛ إذ لا أساس له من الصحة، فلا مجال للإعتذار به لهم..

وأما حديث علم عمرو بالحرب، فيمكن معالجته بادعاءات أو بأساليب أخرى، بحسب ما يناسب كل فريق.

٣ ـ أما حديث أبي عثمان النهدي فهو يرويه عن ابن العاص نفسه، وقد صاغه ابن العاص وفق هواه السياسي، وقد ظهرت على هذا النص معالم التجني والافتراء.

ولكننا لا نستطيع أن نقطع: بأن عمرواً هو الذي كذب هذا الحديث، حيث إننا لا نملك الدليل القاطع على ذلك..

بل نريد أن نقول: إننا نرجح أن يكون عمرو نفسه قد اصطنع هذا الحديث، وذلك حين احتاج إلى التزلف للشيخين، من أجل أن يحصل منهما

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٧٢ وتاريخ مدينة دمشق ج٢ ص٢٧ وج٤٦ ص١٣٠ وعن أسد الغابة ج٤ ص١١٦ والنزاع والتخاصم للمقريزي ص٧٦ وعن البداية والنهاية ج٥ ص٣٢٨ والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص٤٣٥ وج٣ ص٥١٦ وعن السيرة النبوية لابن هشام ج٤ ص١٠٤٠.

على بعض ما يطمح إليه من مناصب وولايات.. وغنائم وإقطاعات.

٤ ـ إن حديث عمرو قد تضمن: أن أحب الناس إلى النبي «صلى الله عليه وآله» عائشة، فلما قال له: إني لست أسألك عن أهلك.. أخبره: أن أحب الناس إليه أبو بكر، ثم عمر.

وروي عن عائشة وابن العاص: أنهما سألا رسول الله أي الناس أحب إليك؟

فقال: أبو بكر.

قالا: ثم من؟

قال: عمر.

فقال فتى من الأنصار: يا رسول الله، فما بال علي؟

فقال له النبي «صلى الله عليه وآله»: ما ظننت أن أحداً يسأل عن نفسه[1].

مع أن عائشة تروي عن رسول الله «صلى الله عليه وآله»: أن أحب الناس إلى النبي «صلى الله عليه وآله» فاطمة «عليها السلام» من النساء، وعلي «عليه السلام» من الرجال[2]. فأيهما نصدق؟ عائشة؟ أم عمرو بن العاص؟!

---

(١) شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني ج٢ ص٢٧٢ عن: السيوطي في كتاب اللآلي (ط١) ج ١ ص١٩٨ بطرق ثلاثة أو أربعة وروى بعضها أيضاً تحت الرقم: (٣٦١) من باب فضائل علي «عليه السلام» من كنز العمال (ط٢) ج١٥ ص١٢٥.

(٢) راجع المصادر التالية: المسترشد للطبري ص٤٤٩ و ٤٥٠ وشرح الأخبار ج١ ص١٤٠ و ٤٢٩ وج٣ ص٥٥ ومناقب آل أبي طالب ج٣ ص١١١ والفضائل ص١٦٩ والطرائف ص١٥٧ وذخائر العقبى ص٣٥ ص٦٢ والبحار ج٣٢ ص٢٧٢ وج٣٧ ص٧٨ وج٣٨ ص٣١٣ وج٤٣ ص٣٨ و ٥٣ ومناقب أهل =

وعن شريح بن هاني عن أبيه، عن عائشة قالت: ما خلق الله خلقاً كان أحب إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» من علي بن أبي طالب[1].

ونبادر إلى القول: إننا لابد أن نصدق عائشة، لأن إجابة النبي «صلى الله عليه وآله» لها قد فرضت عليها فرضاً، وجاءت على خلاف هواها، لأنها في حق أناس تبغضهم، وقد ظهر هذا البغض في حروب طاحنة أثارتها ضدهم.

أما عمرو بن العاص فقد جاء كلامه منسجماً مع أهوائه، وقد كان يرى: أن له مصلحة في تحريف الحقائق، وإنكار فضائل علي «عليه السلام»؛

= البيت «عليهم السلام» للشيرواني ص١٤٥ و ١٤٦ و ١٥١ و ٢٣٣ وخلاصة عبقات الأنوار ج٢ ص٣٠٢ والغدير ج١٠ ص٨٦ ومكاتيب الرسول ج٣ ص٦٧٢ وسنن الترمذي ج٥ ص٣٦٢ والمستدرك للحاكم ج٣ ص١٥٧ ونظم درر السمطين ص١٠٢ وخصائص أمير المؤمنين للنسائي ص١٠٩ وتاريخ بغداد ج١١ ص٤٢٨ والمناقب للخوارزمي ص٧٩ والبحار ج٣ ص١٥٧ وكنز العمال ج١٣ ص١٤٥ وتاريخ بغداد ج١١ ص٤٢٨ وتاريخ مدينة دمشق ج٤٢ ص٢٦١ و ٢٦٣ و ٢٦٤ وتهذيب الكمال ج٥ ص١٢٦ وسير أعلام النبلاء ج٢ ص١٢٥ و ١٣١ والجوهرة في نسب الإمام علي وآله «عليهم السلام» للبري ص١٧ وإعلام الورى ج١ ص٢٩٥ والمناقب للخوارزمي ص٧٩ وكشف الغمة ج١ ص٩٤ وج٢ ص٩٠ وجواهر المطالب في مناقب الإمام علي «عليه السلام» ج١ ص٥٣ وينابيع المودة للقندوزي الحنفي ج٢ ص٣٩ و ٥٥ و ١٥١ و ٣٢٠ واللمعة البيضاء للتبريزي ص١٧٩ والنصائح الكافية لمحمد بن عقيل ص٥٠.

(١) راجع: تاريخ مدينة دمشق ج٤٢ ص٢٦٠ وعن كفاية الطالب ص١٨٤ وقال: هذا حديث حسن رواه ابن جرير في مناقبه، وأخرجه ابن عساكر في ترجمته.

وكان يهمه أيضاً منح الفضائل لأبي بكر وعمر، لأن في ذلك إيذاء لعلي وأهل بيته «عليهم السلام»، الذين شن هو ومعاوية الحروب الطاحنة عليهم، ولأن ذلك يجلب له المنافع والمناصب، وقد كان يملك مفاتيحها، أبو بكر وعمر، ومحبوهما.

النبي ﷺ يتألف الناس بعمرو، ويستنفر العرب:

وذكروا: أن النبي «صلى الله عليه وآله» بعث عمرو بن العاص في ثلاث مئة يستنفر العرب للشام، وأمره أن يستعين بمن مر به من العرب من بُلَيّ، وعُذره، وبَلْقَيْن. لأنه كان ذا رحم فيه لأن أم العاص كانت بلوية[1].

ونقول:

أولاً: إننا لم نجد ما يدل على أن البلويين، وعذرة، وبلقين قد أعانوا عمرواً في مهمته تلك. ولم يزد عدد من معه في سريته سوى أولئك الذين التحقوا به ممن جاؤوا من المدينة مع أبي عبيدة.

ثانياً: إن الكثيرين بين المسلمين كانوا ذوي رحم في تلك القبائل التي كانوا يسيرون لحربها بين الفينة والأخرى، أو كانوا يمرون عليها في مسيرهم إلى حروبهم. فلماذا لم يكن يوليهم أمارة الجيوش ليستميل بهم تلك القبائل، ويستعين بها في حروبه تلك.

ثالثاً: إن هذا النص يقول: إنه «صلى الله عليه وآله» إنما بعث عمرواً ليستنفر العرب إلى الشام، ولم يبعثه ليحارب.. فهل تعدى أمر رسول الله

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٦٧ وتاريخ مدينة دمشق ج٢ ص٢٢.

«صلى الله عليه وآله» وحارب من دون أن يكون مأموراً بذلك؟!.

رابعاً: لماذا لم يستجب لعمرو أحد من العرب؟ فبقي في الثلاث مئة الذين جهزهم معه رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ثم أضيف إليهم مئتان جهزهم النبي «صلى الله عليه وآله» إليه أيضاً، بقيادة أبي عبيدة؟!.

خامساً: إن النبي «صلى الله عليه وآله» قد أرسل إلى مؤتة ثلاثة آلاف مقاتل، وإلى خيبر ألفاً وخمس مئة مقاتل، وكان معه في الحديبية، نحو ذلك أيضاً، ولم نسمع أنه أرسل يستنفر العرب لأي من هذه الوقائع، وليس فيما بين أيدينا ما يشير إلى أن لدى قضاعة في بلاد الشام ما يخيف إلى هذا الحد..

على أن الذين ذهبوا مع عمرو هم خمس مئة مقاتل فقط، وقد زعموا: أنه دوخ بهم البلاد، وجال في بلادهم حتى بلغ أقصاها.. ولم يحتج في سفره ذاك لأكثر من العدد الذي جهزه رسول الله «صلى الله عليه وآله».. فلماذا بعثه يستنفر العرب إلى الشام. إذا كان ذلك يكفيه، ولا يحتاج على أحد..

اللواء.. والراية:

قد ذكروا: أنه «صلى الله عليه وآله» حين أرسل عمرو بن العاص في غزوة ذات السلاسل «عقد له لواء أبيض، وجعل معه راية سوداء»[1].

ولا ندري لماذا كان ذلك؟! أي لماذا أعطاه الإثنين معاً؟

ولماذا اختلفت ألوانهما، هذا أبيض، وتلك سوداء؟!

---

(١) السيرة الحلبية ج٣ ص١٩٠ والطبقات الكبرى ج٢ ص١٣١ وتاريخ مدينة دمشق ج٢ ص٢٢ وعن عيون الأثر ج٢ ص١٧١ و ٣١٤ وسبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٦٧.

فإن المفروض هو: أن تكون لمثل هذه الأفعال دلالاتها المفيدة لمعنى ظاهر، إذ ليس ذلك من الأمور التعبدية.. ولا هو من الرسوم أو العادات المتبعة في الحروب..

ونحن لم نفهم لضم الراية السوداء إلى اللواء الأبيض أي معنى، لا بالنسبة للذين أرسلهم النبي «صلى الله عليه وآله».. ولا بالنسبة لقائدهم، ولا فيما يرتبط بالتأثير على العدو في ميادين الحرب، أو نحو ذلك.

غير أننا نظن أن ذلك من تفننات محبي عمرو بن العاص، بهدف الإيحاء بأن له خصوصية مّا، ولو بهذا المقدار الذي لا معنى له، ولا طائل تحته.

هذا كله.. على فرض أن يكون ثمة اختلاف بين اللواء والراية، مع أنه قد تقدم في غزوة أحد وفي غيرها: أنهما واحد، وإن حاول بعضهم أن يدَّعي خلاف ذلك..

سراة المهاجرين والأنصار:

ويلفت نظرنا قولهم: «بعثه في ثلاث مئة من سراة المهاجرين والأنصار». ثم طلب منه عمرو المدد، «فبعث إليه أبا عبيدة بن الجراح في ماءتين من سراة المهاجرين والأنصار، وبينهم أبو بكر وعمر»[1].

وقد راجعنا كتب الحديث والسيرة والتاريخ، فلم نجدهم ذكروا أسماء أحد من الصحابة، تستطيع أن تبرر إطلاق وصف السراة ـ خصوصاً بنظر

---

(١) السيرة الحلبية ج٣ ص١٩٠ والطبقات الكبرى ج٢ ص١٣١ وتاريخ مدينة دمشق ج٢ ص٢٢ وعن عيون الأثر ج٢ ص١٧١ و ٣١٤ وسبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٦٧.

هؤلاء ـ سوى اسم رجلين كانوا وما زالوا يهتمون بهما، ويحاولون تعظيمهما، وهما أبو بكر، وعمر، الذين كانا مع أبي عبيدة، الذي أرسله النبي «صلى الله عليه وآله» مدداً لعمرو، ولا نرى أن ذلك يبرر إطلاق هذا التعبير بهذه الطريقة التهويلية، إلا على قاعدة: «من أجل عين ألف عين تكرم». كما أن التعبير بـ «السراة» فيه تعظيم وتفخيم لعمرو وأبي عبيدة.

خصوصاً مع علمنا: بأن مجموع عدد الصحابة قليل وليس فيهم هذا العدد الضخم من السراة، فإن السرى هو العظيم في قومه.

ووجود خمس مئة سري إنما يتوقع في أمة تعد بعشرات الألوف، وقد قلنا: إن عدد المسلمين كان قليلاً وضئيلاً جداً كما هو معلوم..

الإختلاف على الصلاة؟ أم على الإمارة؟!

١ ـ إن من الواضح: أن صلاة الجماعة منوطة في مذهب أهل البيت «عليهم السلام» بثقة المأموم بعدالة الإمام، وليست منوطة بالإمارة على الجند، ولا على غيرهم، ولا بأي منصب آخر.. فمن وثق به الناس جاز لهم أن يأتموا به في الجماعة... وقد يأتمون اليوم بشخص، ثم يأتمون غداً بغيره..

كما أن أغلب أهل السنة والجماعة يجيزون إمامة الفاسق: استناداً إلى ما رووه عن النبي «صلى الله عليه وآله»: صلوا خلف كل بر وفاجر(١).

---

(١) راجع: سنن أبي داود كتاب الصلاة: الباب ٦٣ وجامع الخلاف والوفاق ص٨٤ وفتح العزيز للرافعي ج٤ ص٣٣١ والمجموع للنووي ج٥ ص٢٦٨ ومغني المحتاج للشربيني ج٣ ص٧٥ والمبسوط السرخسي ج١ ص٤٠ وتحفة الفقهاء للسمرقندي ج١ ص٢٢٩ وبدائع الصنائع لأبي بكر الكاشاني ج١ ص١٥٦ =

فلا مكان للاختلاف والتنازع في هذا الأمر، فما معنى تنازع أبي عبيدة، وعمرو بن العاص فيه؟ كما لا مجال للاستدلال على الأحقية بإمامة الصلاة بأن هذا أمير، وذاك ليس بأمير، كما أن هذا لا يدخل في باب التشاح إمامة الصلاة لأجل الحصول على الثواب، لأن اختلافهم إنما هو على الأحقية بها، حيث إن كلاً منهما يدّعيها لنفسه دون الآخر، ولأجل هذا وذاك نقول:

ألا يدل ذلك على انهم إنما يتنازعون على أمر يرون فيه مكسباً دنيوياً؟!

٢ ـ إننا حين نتأمل في النصوص التي نقلت لنا هذا الحدث نلاحظ: أن موضوع الإمامة في الصلاة كان هو الواجهة، وأن مصبّ الاختلاف كان أمراً آخر، سرعان ما ظهرت دلائله، ونشرت أعلامه، ألا وهو الإمارة على السرية نفسها، حيث فهم عمرو بن العاص: أن تصدي أبي عبيدة لإمامة

= والجوهر النقي للمارديني ج٤ ص١٩ والبحر الرائق لابن نجيم المصري ج١ ص٦١٠ وتلخيص الحبير ج٤ ص٣٣١ ونيل الأوطار ج١ ص٤٢٩ وشرح أصول الكافي ج٥ ص٢٥٤ والمسترشد للطبري والإفصاح للشيخ المفيد ص٢٠٢ والمسائل العكبرية للشيخ المفيد ص٥٤ والطرائف لابن طاووس ص٢٣٢ وعوالي اللآلي ج١ ص٣٧ والسنن الكبرى للبيهقي ج٤ ص١٩ وعمدة القاري للعيني ج١١ ص٤٨ وتأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ص١٤٥ وسنن الدارقطني ج٢ ص٤٤ وتنقيح التحقيق في أحاديث التعليق للذهبي ج١ ص٢٥٦ و ٢٥٧ ونصب الراية ج٢ ص٣٣ و ٣٤ والدراية في تخريج أحاديث الهداية ج١ ص١٦٨ والجامع الصغير للسيوطي ج٢ ص٩٧ وكنز العمال ج٦ ص٥٤ وكشف الخفاء للعجلوني ج٢ ص٢٩ و ٣٢ وشرح السير الكبير للسرخسي ج١ ص١٥٦.

الصلاة ينطلق من خلفية سعيه إلى إمارة السرية، وقد وجد من بين أصحابه من يؤيده في ذلك، ولا يرضى بإمارة عمرو..

٣ ـ ولعل من أبرز هؤلاء المؤيدين لأبي عبيدة أبو بكر وعمر، كما يظهر من تغيظ عمر، إلى حد أنه أراد أن يبادر إلى الاعتراض على ابن العاص، لكن نصيحة أبي بكر منعته من ذلك.. ربما لأنه وجد أن حجة عمرو ستكون أقوى، وأعظم أثراً في نفوس الناس، فآثر الخروج من حلبة الصراع بخسارة واحدة، بدلاً من خسارتين.

٤ ـ ثم إن أبا عبيدة حين وجد أن الغلبة ستكون لعمرو آثر أن ينسحب من هذا المأزق بلباقة، وأن يعوض عن بعض خسارته بإظهار التسامح والتواضع والانقياد لأوامر رسول الله «صلى الله عليه وآله»، التي زعم أنه أصدرها له، بقوله: قدمت على صاحبك فتطاوعا.

ثم جاء محبوه ومؤيدوه، فصرحوا بما ألمح إليه، حين وصفوه بحسن الخلق، ولين العريكة، واعتبروا أن هذا هو سبب تراجعه أمام حجة عمرو بن العاص.

المغيرة داعية فتنة ومتزلف:

ولسنا بحاجة إلى تفصيل القول فيما ذكره المغيرة بن شعبة لأبي عبيدة عن أن فلاناً من الناس قد اتبع أمير القوم.. وقول أبي عبيدة: «فأنا اطيع رسول الله «صلى الله عليه وآله» وإن عصاه عمرو».

غير أننا نكتفي بالإشارة إلى ما يلي:

١ ـ إن حركة المغيرة هذه تظهر كيف أن المغيرة يغتنم الفرصة للعبث

بمشاعر الناس، وإثارة غرائزهم العدوانية تجاه بعضهم البعض، حتى لو كان هؤلاء الناس ممن يلتقي معهم في كثير من التوجهات والانتماءات، فيحاول الإبقاء على حالة التنافر، والتنافس بين أبي عبيدة وعمرو بهذا التحريض الذي مارسه في موقفه هذا.

٢ ـ إن المغيرة لا يتورع عن إشراك أناس آخرين في حالة الصراع، ويسعى ليوغر صدر أبي عبيدة على (ابن فلان)، لمجرد أنه قبل بمنطق عمرو في أمر تولي عمرو للصلاة.

٣ ـ إن حركة المغيرة هذه يمكن وضعها في سياق تزلف المغيرة لأبي عبيدة أيضاً.. وربما يكون سببها في ذلك هو شعور المغيرة بالضعف، والحاجة إلى مساعدة أبي عبيدة في تحقيق مأرب يعجز المغيرة عن تحقيقه بنفسه..

٤ ـ والملاحظة الأخيرة لنا هنا: هي أن أبا عبيدة يصرح: بأنه يعتبر عمرواً عاصياً لرسول الله «صلى الله عليه وآله»، ثم يقدم نفسه هو على أنه مطيع لرسول الله «صلى الله عليه وآله» دونه..

فهو يشير بذلك: إلى أن قضيته مع عمرو قد تجاوزت حدود الخطأ غير المقصود، أو الخطأ في الاجتهاد لتصل إلى مستوى التمرد على الآمر، والمعصية المتعمدة لرسول الله «صلى الله عليه وآله».

وبذلك يظهر: أن ثمة اختلافاً أساسياً في موضوع عدالة الصحابة بين أبي عبيدة وبين أكثر المسلمين من غير الشيعة، الذين يصرون على عدالتهم، وعلى ان ما يرتكبونه ما هو إلا خطأ في الاجتهاد، ولا يصل إلى حد المعصية لله ولرسوله.

أخلاق أبي عبيدة:

وقد وصف الراوي أبا عبيدة: بأنه «كان رجلاً ليناً، حسن الخلق، سهلاً، هيناً عليه أمر الدنيا، يسعى لأمر رسول الله «صلى الله عليه وآله» وعهده».

ونقول:

١ ـ ليت أبا عبيدة كان كذلك في يوم السقيفة، حين سعى في تضييع أمر رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ونقض تدبيره.. بل هو قد سعى في تكريس مخالفة أمر الله، وساعد وشارك في نقض عهد الله تبارك وتعالى، وذلك حين نكث بيعته لعلي «عليه السلام» في يوم الغدير، وخالف أمر الله ورسوله في التسليم لإمامته «عليه السلام»، والبخوع لأمر الله تبارك وتعالى فيها.. وكان هو وعمر بن الخطاب من أقوى المساعدين على استئثار أبي بكر بهذا الأمر.

٢ ـ إن إمامة الجماعة ليست من أمور الدنيا، التي تهون على أبي عبيدة، بل هي عبادة لها ثوابها، وقيمتها المعنوية، التي لا يصح التفريط أو الاستهانة بها.

أما اعتبار قيادة السرية وإمارتها أمراً دنيوياً.. فذلك أيضاً غير مقبول، لأن هذه الإمارة أيضاً أمر عبادي، من حيث أنه موقع جهادي متقدم وحساس، وليس على المؤمن لو طلبه وسعى إليه من غضاضة..

٣ ـ إن هؤلاء الذين يقدسون جميع الصحابة، ويعتقدون بعدالتهم، وإن كانوا قد مدحوا أحدهم، ودافعوا ودفعوا عنه، ما ربما ينسب إليه مما لا يليق به، ولكنهم قد سقطوا في فخ الطعن في نزاهة صحابي آخر حيث نسبوا إليه حب الدنيا والسعي إليها.. ألا وهو عمرو بن العاص نفسه.

وهذا يتنافى مع نظرتهم التنزيهية للصحابة.. إلا أن يدَّعوا: أن حب

الدنيا لا ينافي العدالة التي يتحدثون عنها..

غير أننا نقول: إن حب الدنيا والتنازع عليها منقصة في الإنسان، والمفروض بأهل الإيمان والمجاهدين أن ينزهوا أنفسهم عنها. ولاسيما وهم في مواقع الجهاد، وفي ساحات التضحية.

صلاة الجماعة:

١ ـ لماذا يقع النزاع بين عمرو وأبي عبيدة على إمامة الجماعة؟! ما دام أن الأمر يرجع فيها إلى المأمومين أنفسهم، فالأمر في اختيار إمام الجماعة يعود إليهم، فهم يأتمون بمن شاؤوا.. إذ لا يجب أن يكون أمير السرية هو الإمام في الصلاة.

فاختلافهم في ذلك يدل على عدم وجود نص حاسم من رسول الله «صلى الله عليه وآله» على إمامة شخص بعينه في هذه السرية على أقل تقدير.

٢ ـ إن نفس أن يتصدى أبو عبيدة لإمامة الناس يدل على أن إمامة الأمير للناس في الصلاة لم تكن مستندة إلى أوامر من رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وإنما هو اعتماد على مجرد تقليد متَّبع، وعادة جرت. وهذا هو ما قصد إليه عمرو في اعتراضه على أبي عبيدة..

ويؤكد هذا المعنى: أن أبا عبيدة لم يتصد لإمامة الماءتين الذين جاء بهم.. بل تصدى لإمامة جميع الحاضرين حتى الذين جاؤوا مع عمرو، وحتى عمرو نفسه. وهذا ما أثار حفيظته، ودعاه إلى الطلب من أبي عبيدة أن يتنحى، ويترك الأمر له.

٣ ـ إنه لأمر مثير للعجب أن يكون الذين أجابوا عمرو بن العاص على

حجته هم خصوص المهاجرين، كما صرحت به الرواية..

بل هم خصوص المهاجرين الذين جاؤوا مع أبي عبيدة.. ونتوقع أن يكون على رأسهم عمر بن الخطاب، فإنه هو الذي يشهر سيف الاعتراض كثيراً، حيث يبدو لنا: أنه هو وربما غيره من المهاجرين معه قد اعترضوا على إمامة عمرو لهم، خوفاً من أن يؤسس ذلك لتفضيله وتقديمه عليهم في أمور أخرى..

٤ ـ ولعل هذا الأمر يشير إلى أنه قد كان ثمة ضعف ظاهر في الأنصار، حيث لا يظهر منهم أي تحرك اعتراضي أو حتى استعراضي، كما نشهده لدى المهاجرين.. في العديد من المناسبات، وفي هذه السرية أيضاً.

المهاجرون يعترضون مرة أخرى:

وقد ذكرت النصوص المتقدمة: موقفاً آخر للمهاجرين في هذا السياق، فحين منعهم عمرو، هم وغيرهم من إيقاد النار ليصطلوا عليها، كلمه في ذلك بعض المهاجرين فغالظه.. ثم طلبوا من أبي بكر أن يكلمه، ففعل فتوعد أن يقذف في النار من أوقدها.

وذكروا أيضاً: غضب عمر من هذ الإجراء. وأنه همَّ أن يأتيه، فنهاه أبو بكر، وأخبره: أن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يستعمله إلا لعلمه بالحرب، فهدأ عنه.

ونقول:

١ ـ لماذا علت أصوات المهاجرين فقط في هذه الحادثة أيضاً؟!..

فهل كان الأنصار يخافون من الاعتراض على القائد إذا كان مهاجرياً؟!

ولماذا يخافون؟!

٢ ـ لماذا يصل الأمر إلى حد المغالظة والتهديد بإلقاء الناس في النار

التي يوقدونها؟!

ألم يكن بالإمكان حسم الأمر بكلمة واحدة، وهي أن إيقاد النيران يدل العدو على وجودهم في المنطقة، ولهذا الأمر سلبيات كبيرة، أدناها ضياع الفرصة المتاحة، ومنح العدو فرصاً قد تكون خطيرة على هذه السرية؟!

٣ ـ إن التأييد الذي روي عن رسول الله «صلى الله عليه وآله» في هذا الإجراء إنما رواه عمرو بن العاص نفسه، لتدعيم موقفه أمام منتقديه، فليلاحظ ذلك.

٤ ـ ما معنى أن يعاقب عمرو من يوقد ناراً بأن يقذفه فيها؟! فهل وردت هذه العقوبة في آية أو رواية؟ أو سمعها من رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟ أو رآه فعلها؟ أو رخص أحداً فيها؟!

ولماذا لم يعترض عليه أبو بكر: بأنه ليس من حقه أن يمارس عقوبة من هذا القبيل؟!

ولا يمكن حمل كلام عمرو على المبالغة في الوعيد، إلا إذا قامت قرينة على أنه لم يكن قاصداً لظاهر كلامه.. وهي مفقودة هنا.

التناقض والإختلاف:

إننا نراهم تارة يزعمون: أن الذين سار إليهم عمرو بسريته تلك هم قضاعة، وعاملة، وجذام، ولخم.. وأنهم جمع كثير، وأنهم كانوا مجتمعين ففضهم، وقتل منهم مقتلة عظيمة، وغنم.

وتارة يقولون: إنه «صلى الله عليه وآله» أرسله إلى جمع من قضاعة، ولم يذكر غيرهم.

ثم يقولون: إنه وطأ بلاد العدو ودوخها كلها، حتى انتهى إلى موضع بلغه أنه قد كان به جمع، فلما سمعوا به تفرقوا.. ثم سار حتى بلغ أقصى بلادهم، فلقي هناك جمعاً ليسوا بالكثير، فاقتتلوا ساعة، وحمل عليهم المسلمون فهزموهم وتفرقوا..

ثم يذكرون: أنه أقام لا يسمع لهم بجمع ولا مكان صاروا فيه إلا قاتلهم. وكان يبعث أصحاب الخيل، فيأتون بالشاء والنعم، فكانوا ينحرون ويأكلون، ولم يكن اكثر من ذلك، ولم يكن في ذلك غنائم تقسم، كذا قال جماعة.

ويقولون في مقابل ذلك: إن النبي «صلى الله عليه وآله» أخبره أن الله سوف يغنمه في مسيره ذاك..

فترى كيف أن التناقضات ظاهرة بين هذه النصوص بحيث لا مجال للملاءمة فيما بينها كما هو ظاهر.

غنائم عمرو المكذوبة:

وقد زعمت الروايات عن عمرو بن العاص نفسه: أن النبي «صلى الله عليه وآله» دعاه، وأمره أن يأخذ ثيابه وسلاحه، وقال: يا عمرو، إني أريد أن أبعثك على جيش، فيغنمك الله، ويسلمك.

فقلت: إني لم أسلم رغبة في المال.

قال: نعم المال الصالح للرجل الصالح[1].

---

(١) السيرة الحلبية ج٣ ص١٩١ والمستدرك للحاكم ج٢ ص٢ وعن فتح الباري ج٨ ص٦٠ والأدب المفرد للبخاري ص٧٢ وكنز العمال ج١١ ص٧٢٩ وتاريخ مدينة دمشق ج٤٦ ص١٤٣.

ونقول:

إن هذا الكلام غير صحيح، إذ لو كان النبي «صلى الله عليه وآله» قد قال ذلك، لكان قد تحقق، ولكان عمرو قد أتى بغنائم تحقق ما وعده به النبي «صلى الله عليه وآله»، مع أنهم يقولون: إنه قد رجع خالي الوفاض من أي شيء من ذلك، رغم أنهم يزعمون: أنه سار حتى انتهى إلى أقصى بلادهم، ودوَّخ عمرو ما هنالك. وأنه أقام أياماً لا يسمع لهم بجمع ولا مكان صاروا فيه إلا قاتلهم.

«وكان يبعث أصحاب الخيل، فيأتون بالشاء والنعم، فكانوا ينحرون ويأكلون ولم يكن أكثر من ذلك. لم يكن في ذلك غنائم تقسَّم. كذا قال جماعة»[1].

فأين كانوا يخبئون شاءهم ونعمهم يا ترى؟! أم أنهم كانوا يأخذونها معهم أينما ذهبوا، وحيثما توجهوا؟!

أليس قد وطأ عمرو بلادهم بعساكره؟ ودوَّخ تلك البلاد؟

ولماذا فشل في العثور عليها رغم إقامته أياماً لا يسمع بجمع لهم إلا قصده؟!

ولماذا يأتي ـ كما يزعمون ـ ابن أبي حدرد وفي غزوة الغابة، ورجلان معه بإبل عظيمة، وغنم كثيرة، ويأتي أبو قتادة في خمسة عشر رجلاً فقط،

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٦٨ والمغازي للواقدي ج٢ ص٧٧٠ و ٧٧١ وتاريخ مدينة دمشق ج٢ ص٢٣ وعن البداية والنهاية ج٤ ص٣١٢ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٥١٧.

بألفي شاة، ومئتي بعير، حتى يحصل كل فرد بعد إخراج الخمس من تلك السرية على ثلاثة عشر بعيراً. ثم لا يصيب عمرو بن العاص في تلك البلاد كلها إلا بعض ما استفاده في طعامهم، ولم يكن أكثر من ذلك.

إن هذا الأمر عجيب جداً، وأي عجيب!!

وهل يعقل أن لا يصدق ما أخبره به رسول الله «صلى الله عليه وآله» من أن الله يغنمه ويسلمه،؟! وهو الذي صرح القرآن بأنه: ﴿**وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى، إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى**﴾[1].

ألا يحق لنا بعد هذا كله، أن نشك في كثير مما ينسبه ابن العاص لنفسه، أو ينسبه له الناس؟!

ولماذا لا يكون عمرو بن العاص قد أراد أن يضع لنفسه أمجاداً، مكذوبة؟ حتى لو أدى ذلك إلى التشكيك بالنبوة والعياذ بالله؟!

وإذا كان هو الذي وضع هذه الأمور لصالح نفسه، فالسؤال هو: كيف يكذب وهو صحابي؟! أليس الصحابة عدولاً كما يزعم هؤلاء؟!

لا تأمّرنّ على اثنين:

وقالوا أيضاً:

روى ابن إسحاق، ومحمد بن عمر، عن رافع ما ملخصه قال: «كنت امرءاً نصرانياً وسميت سرجس، فلما أسلمت خرجت في تلك الغزوة التي بعث فيها رسول الله «صلى الله عليه وآله» عمرو بن العاص إلى ذات السلاسل».

---

(١) الآيتان ٣ و ٤ من سورة النجم.

قال: «فقلت: والله، لأختارن لنفسي صاحباً».

قال: «فصحبت أبا بكر فكنت معه في رحله، وكان ذا عباءة، فدكية، فكان إذا أنزلنا بسطها، وإذا ركبنا لبسها، ثم شكها عليه بخلال له.

وذلك الذي يقول أهل نجد، حين ارتدوا كفاراً: نحن نبايع ذا العباءة؟!

قال: «فلما دنونا من المدينة قافلين، قلت: يا أبا بكر رحمك الله، إنما صحبتك لينفعني الله تعالى بك، فانصحني وعلمني».

قال: «لو لم تسألني ذلك لفعلت. آمرك أن توحد الله تعالى، ولا تشرك به شيئاً، وأن تقيم الصلاة، وأن تؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت، وتغتسل من الجنابة، ولا تتأمرن على رجلين من المسلمين أبداً».

إلى أن قال: ففارقته على ذلك، فلما قبض رسول الله «صلى الله عليه وآله»، واستخلف أبو بكر على الناس قدمت عليه فقلت له: يا أبا بكر، ألم تك نهيتني عن أن أتأمر على رجلين من المسلمين؟

قال: «بلى، وأنا الآن أنهاك عن ذلك».

فقلت له: «فما حملك على أن تلي أمر الناس»؟

قال: «اختلف الناس، وخشيت عليهم الهلاك».

وفي رواية: «الفرقة، ودعوا إلي، فلم أجد بداً من ذلك»[1].

ونقول:

إن لنا مع هذه القضية وقفات، هي التالية:

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٦٩ و ١٧٠ والمغازي للواقدي ج٢ ص٧٧٢ وعن السيرة النبوية لابن هشام ج٤ ص١٠٤١.

نبايع ذا العباءة؟!

قد نقل ذلك الرجل عن أهل نجد أنهم حين رفضوا بيعة أبي بكر، قالوا: نبايع ذا العباءة؟!

ونقول:

إنه وإن كان يحتمل أن تكون كلمة «ذا العباءة» قد جاءت للإشارة إلى صاحبها، ولكن من المحتمل جداً أيضاً أن يكون هذا التعبير قد جاء على سبيل الاستصغار لشأن أبي بكر، وإظهار الاستنكاف عن إعطاء البيعة له..

وقد ظهر رفض البيعة لأبي بكر لدى قبائل كثيرة، ولكن أبا بكر أصرَّ على بسط نفوذه على تلك القبائل، فكان يطالبهم بدفع الزكاة له.. فمن أبى منهم اتهمه بالكفر والارتداد، وشن الحرب عليه، وقتل الرجال، وسبي النساء والأطفال، واستولى على الأموال.

ولذلك يلاحظ: أنهم يطلقون على حروبهم لمانعي الزكاة عن أبي بكر، اسم «حروب الردة»، تعمية بذلك على الناس، وسعياً في إبطال الحقائق..

مع أن الحقيقة هي: أن هؤلاء لم يرضوا بمخالفة أمر الله، ورد توجيهات رسوله في موضوع الإمامة.. خصوصاً بعد يوم الغدير وبيعة عشرات الألوف من الناس لعلي «عليه السلام».

والظاهر: أن هؤلاء الذين ذكرهم رفيق أبي بكر، كانوا من هؤلاء الذين أوقع بهم أبو بكر.. ولم يكونوا مرتدين على الحقيقة، بل هم رفضوا الاعتراف بشرعية خلافته، والرواية المتقدمة تدل على ذلك تلميحاً، فرغم نعتهم بالإرتداد إلا أنّ ما نسبه إليهم من قول لا يعدو كونه إعلاناً برفض بيعة أبي بكر، وقد امتنعوا عن إعطاء الزكاة له تعبيراً عن هذا الرفض،

فجعل ذلك أبو بكر ذريعة لاتهامهم بالارتداد، وسبباً للإيقاع بهم، وقتلهم.. وقصة مالك بن نويرة معروفة ومشهورة..

أما الذين ارتدوا بالفعل، أو أعلنوا مناقضة هذا الدين.. فهم مسيلمة الكذاب، والأسود العنسي، وطليحة بن خويلد.. وهم إنما أعلنوا ذلك، أو ارتدوا في عهد رسول الله «صلى الله عليه وآله»، كما يعلم بالمراجعة..

أبو بكر مجبر على الخلافة:

ولسنا بحاجة إلى التعليق على ما زعمه أبو بكر مبرراً لقبوله للخلافة، غير أننا نقول:

١ ـ إن الذي أوجد الخلاف بين الناس، وكان هو الركن الرئيس فيه هو أبو بكر نفسه، ومعه صاحبه عمر بن الخطاب.

وقد بادر هو إلى ابتزاز هذا الأمر من صاحبه الشرعي، حتى قبل أن يدفن رسول الله «صلى الله عليه وآله».. وهو الذي وراء حادث الهجوم على بيت فاطمة الزهراء «عليها السلام»، ومحاولة إحراقه بالنار، ثم ضربها في ذلك الهجوم، وأسقاط جنينها، إلى غير ذلك مما جرى عليها يعلمه القاصي والداني..

٢ ـ أما اجتماع الأنصار في السقيفة، فلم يكن يشكل أية خطورة على وحدة المسلمين، بل كان أمرهم أهون مما نتصور..

والدليل على ذلك: أن بضعة أشخاص قد لا يبلغ عددهم عدد أصابع اليد الواحدة، قد سلبوا الأنصار المجتمعين في سقيفتهم، وبحضور أكثريتهم، ما كان سعد بن عبادة يطمح له، وأراد أن يسبقهم بعد أن علم بتصميمهم على سلب هذا الأمر من صاحبه الشرعي، وهو علي «عليه السلام».

والأشخاص الذين نتحدث عنهم، والذين سلبوهم هذا الأمر هم أبو بكر، وعمر، وأبو عبيدة.. وعاونهم من الأنصار بشير بن سعد، وأسيد بن حضير..

وهؤلاء هم الفريق الذي كان الناس يعرفون أنهم مصممون على إبعاد علي «عليه السلام» عن حقه في هذا الأمر بكل ثمن..

٣ ـ إن أبا بكر هو الذي بادر مع عمر وأبي عبيدة لاقتناص الخلافة من الأنصار، ولم يطلب منه أحد منهم التدخل لحسم خلافهم فيه.. بل لم يكن قد ظهر بينهم فيه خلاف.

فما معنى قوله: إنه أراد حسم الخلاف في هذا الأمر، وأنهم دعوا إليه، فلم يجد بداً من ذلك؟!

٤ ـ إذا كان الاختلاف حول هذا الأمر قد بلغ حداً يخشى أبو بكر معه على الناس الهلاك، فهل يعقل أن لا يكون هناك بيان من الله ورسوله حول هذا الأمر؟!

ألم يأمرهم الله سبحانه بالرجوع في الأمور التي يختلفون فيها إلى الله ورسوله، فقال: ﴿**وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللهِ ذَلِكُمُ اللهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ**﴾[1].

ومن الواضح: أن أعظم خلاف بين الأمة خلاف الإمامة، إذ ما سل سيف في الإسلام على قاعدة دينية مثل ما سل على الإمامة في كل زمان..

---

(١) الآية ١٠ من سورة الشورى.

كما يقوله الشهرستاني[1].

وهل نسي الناس ما جرى في يوم الغدير، الذي حصل قبل استشهاد رسول الله «صلى الله عليه وآله» بسبعين يوماً؟! وكذلك سائر مواقف رسول الله «صلى الله عليه وآله» الكثيرة، وأقواله الغزيرة حول إمامة علي أمير المؤمنين «عليه السلام»؟!.

الأجرة على قسمة الجزور:

عن عوف بن مالك الأشجعي قال: «كنت في الغزاة التي بعث فيها رسول الله «صلى الله عليه وآله» عمرو بن العاص، وهي غزوة ذات السلاسل، فصحبت أبا بكر وعمر، فمررت بقوم وهم على جزور قد نحروها، وهم لا يقدرون على أن يبعضوها. وكنت امرءاً [لبقاً] جازراً، فقلت لهم: أتعطوني منها عشيراً على أن أقسمها بينكم؟

قالوا: نعم.

فأخذت الشفرة، فجزأتها مكاني، وأخذت جزءاً، فحملته إلى أصحابي، فاطَّبخناه وأكلناه.

فلما فرغوا قال لي أبو بكر وعمر: أنى لك هذا اللحم يا عوف؟

فأخبرتهما.

فقالا: والله، ما أحسنت حين أطعمتنا هذا. ثم قاما يتقيآن ما في بطونهما منه.

---

(١) الملل والنحل للشهرستاني ج١ ص٢٤ وراجع: المهذب لابن البراج ج١ ص١٣ ودلائل الإمامة للطبري ص١٦ وعن المراجعات ص٥١.

فلما قفل الناس [من ذلك السفر]. كنت أول قادم على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فجئته وهو يصلي في بيته، فقلت: السلام عليك يا رسو ل الله ورحمة الله وبركاته.

فقال: «أعوف بن مالك»؟

فقلت: نعم، بأبي أنت وأمي.

فقال: «أصاحب الجزور»؟ ولم يزدني على ذلك شيئاً(1).

ونقول:

لا ندري ماذا نقول حول هذا التقيؤ لما أكلاه، وكأنهما يريدان إظهار الورع عن أن يرضيا بأن يستقر طعام فيه شبهة في بطونهما، مع أنه لا مجال لادعاء الشبهة في ذلك اللحم، فهو جعالة تراضى عليها الطرفان، وقد أخذ عوف حقه الذي جعل له..

ثم إننا لا ندري لماذا يسألاه عن شأن ذلك اللحم قبل طبخه، أو قبل أو حتى أثناء أكله؟!

بل أخرا السؤال إلى أن أكلا وشبعا..

ولا ندري كذلك كيف يقفان عند شبهة لا حقيقة لها هنا، ثم يقدمان على اغتصاب إرث رسول الله «صلى الله عليه وآله» من ابنته فاطمة «عليها

---

(1) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٧١ وقال في هامشه: أخرجه البيهقي في الدلائل ج٤ ص٤٠٢ عن طريق ابن إسحاق، وابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق ج١ ص٥٠. وراجع: المغازي للواقدي ج٢ ص٧٧٣ والسيرة الحلبية ج٣ ص١٩١ وكنز العمال ج٣ ص٩٢٣ و ٩٢٤ وعن البداية والنهاية ج٤ ص٣١٣ و ٣١٤ وعن السيرة النبوية لابن هشام ج٤ ص١٠٤٢ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٥٢٠.

السلام»، وعلى اغتصاب فدك منها أيضاً.

يضاف إلى ذلك: أنهما كانا يرتزقان من بيت المال، الذي كان يحوي أموال مانعي الزكاة الذين قتلوهم، وغنموا أموالهم مثل مالك بن نويرة وأضرابه؟!

ألا يرون في ذلك كله أية شبهة توجب تقيؤ ما يأكلانه من هذا وذاك؟! ولو بمقدار الشبهة في اللحم الذي كان لعوف بن مالك أجرة له على عمل قام به؟!

هذا كله، عدا عن الشبهة في اغتصاب خلافة علي، وفي ضرب الزهراء «عليها السلام»، وفي إسقاط جنينها، وغير ذلك من أمور!

جنابة، وصلاة:

وذكروا: أن جنابة أصابت عمرواً في طريق العودة، فتيمم وصلى بأصحابه[1]، وقد حاول بعضهم أن يثير الإشكال في صحة الجماعة إذا كانت صلاة الإمام بالتيمم.

ولكن الصحيح هو: أنه يجوز للمتوضي أن يأتم بالجنب المتيمم فلا إشكال!

---

(١) راجع: المغازي للواقدي ج٢ ص٧٧٣ و ٧٧٤ والسيرة الحلبية ج٣ ص١٩١ وسنن الدارقطني ج١ ص١٧٨ والمستدرك للحاكم ج١ ص١١٧ والسنن الكبرى للبيهقي ج١ ص٢٢٥ وسبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٧٠ وفي هامشه عن بعض من تقدم وعن مسند أحمد ج٤ ص٢٠٣ وعن أبي داود ج١ ص٣٣٤ و ٤٩٢ وتذكرة الفقهاء (ط ج) ج٢ ص١٥٧ والحدائق الناضرة ج٤ ص٣٢٥ وعوالي اللآلي ج٢ ص٢٠٩ وإيضاح الفوائد ج١ ص٦٦.

رواياتهم مزيفة:

قد ظهر مما تقدم: أن رواياتهم لما جرى في سرية ذات السلاسل مليئة بالأكاذيب، حافلة بالادعاءات الباطلة، التي تكذبها الوقائع، ويدحضها المنطق السليم، والاعتبار العقلائي القويم..

غير أن بعض ما ذكروه ليس مكذوباً من أساسه، بل هو صحيح في حد ذاته، ولكنه حرِّف وزيِّف بصورة كبيرة.

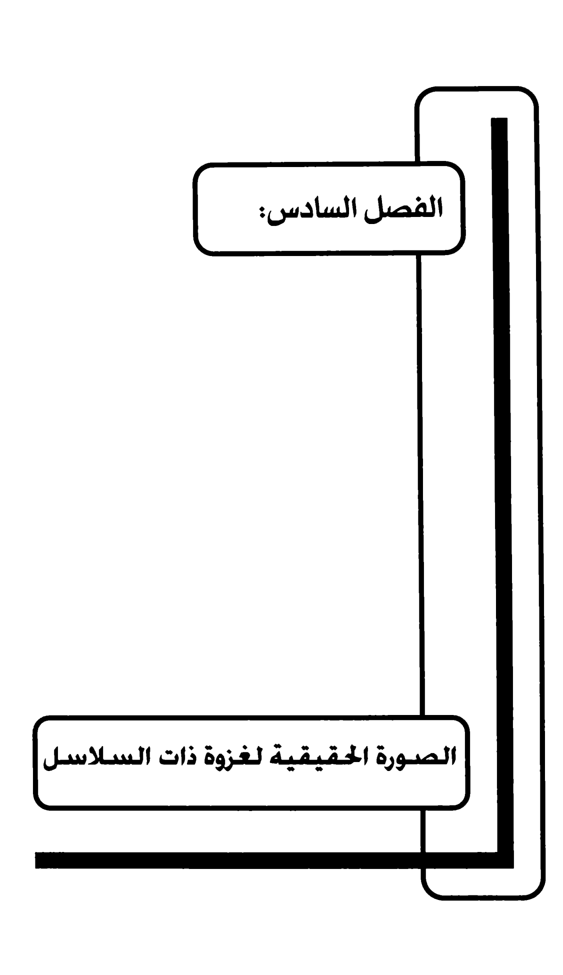
الصورة الأوضح والأصرح:

ولكن ما لم يكن يدور في خلدنا هو أن يُسقط هؤلاء الناس عمدة وأهم أحداث هذه السرية. وهو ذلك الجانب الذي يظهر أن ثمة أحداثاً فريدة ومتميزة من شأنها أن تسوق الفكر إلى استقدام صور لأحداث مشابهة، على سبيل تداعي المعاني، ليتكون ـ من ثم ـ انطباع في غاية السلبية عن شخصيات كان لها أثر عظيم، ولا يزال في تصورات وفي اعتقادات طائفة كبيرة من المسلمين، مع مزيد من الاحترام والتقديس منقطع النظير..

إن الصورة الحقيقية لما حدث تبين أن ما جرى في خيبر، وفي فدك، وفي قريظة، قد تكرر في سرية ذات السلاسل أيضاً، حيث أرسل النبي «صلى الله عليه وآله» جيشه إلى ذات السلاسل، وعلى رأسه قيادات لم تستطع أن تحقق نصراً، فعادت تجر أذيال الخيبة، حتى أرسل علياً «عليه السلام»، ففتح الله على يديه، وعاد بالخبر الأكيد، والنصر الفريد، والخبر السعيد.. فظهر بذلك فضله على من سواه. والله متم نوره، ولو كره المشركون، والكافرون،

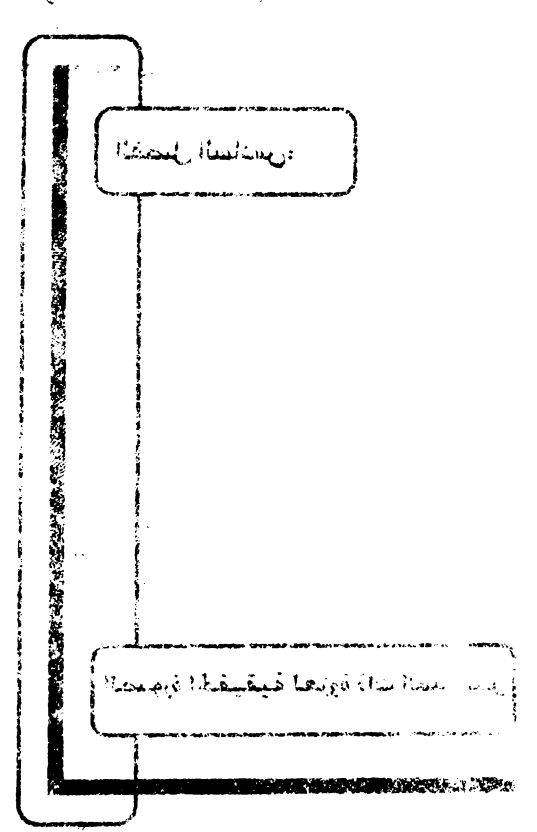
والحاقدون، والشانئون..

ونحن نذكر النصوص التي ذكرت ذلك، ثم نشير إلى بعض ما يرتبط بها، وذلك فيما يأتي من مطالب.



الفصل السادس:

الصورة الحقيقية لغزوة ذات السلاسل



تتمات أغفلوها عمداً:

قلنا في الفصل السابق: إن الحديث عن سرية ذات السلاسل. قد جاء مبتوراً ومحرفاً، بصورة عجيبة وغريبة.. وقد ظهرت بعض سمات تحريفه فيما سبق، وسيأتي إن شاء الله المزيد عن ذلك في الشروح، والملاحظات، والإلفاتات الآتية..

وأما بالنسبة لكونه جاء مبتوراً، فتوضحه نصوص أخرى قد جرى إغماض النظر عنها عمداً، لأنها ليس فقط لا تنسجم مع الهوى السياسي والمذهبي لأولئك الذين تصدوا لتدوين التاريخ..

بل هي تفسد عليهم خطتهم التي ترمي إلى سوق الأمور باتجاه معين، يخدم أهدافاً رسمت، وأهواءً اتبعت وسياسات وضعت..

وبما أن النصوص المشار إليها قد جاءت مطولة ومفصلة، فلا محيص عن اختصار وتلخيص بعضها. وإيراد بعضها الآخر كما هو..

وهذا ما سوف نقوم به أولاً.. ثم نلحق ذلك ببيانات وتوضيحات نرى أنها ضرورية ومفيدة، فنقول:

نصوص أوجزناها:

والنصوص التي أوجزناها هي التالية:

١ ـ ورد في بعض الروايات عن الإمام الصادق «عليه السلام»: أن النبي «صلى الله عليه وآله» وجَّه عمر بن الخطاب في سرية فرجع منهزماً، يجبِّن أصحابه ويجبنونه، فأرسل علياً «عليه السلام» وأمره أن لا يفارقه العين، فأغار عليهم، فنزلت: ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحاً..﴾ إلى آخر السورة[1].

٢ ـ وروي أن النبي «صلى الله عليه وآله» لما بعث سرية ذات السلاسل، عقد الراية وسار بها أبو بكر، حتى إذا صار بها بقرب المشركين اتصل خبرهم فتحرزوا ولم يصل المسلمون إليهم، فأخذ الراية عمر وخرج مع السرية، فاتصل بهم خبرهم، فتحرزوا، ولم يصل المسلمون إليهم.

فأخذ الراية عمرو بن العاص، فخرج في السرية فانهزموا.

فأخذ الراية لعلي، وضم إليه أبا بكر، وعمر، وعمرو بن العاص، ومن كان معه في تلك السرية.

وكان المشركون قد أقاموا رقباء على جبالهم، ينظرون إلى كل عسكر يخرج إليهم من المدينة على الجادة، فيأخذون حذرهم واستعدادهم.

فلما خرج علي «عليه السلام» ترك الجادة، وأخذ بالسرية في الأودية بين الجبال.

---

(١) أمالي ابن الشيخ ص٢٥٩ و ٢٦٠ والبحار ج٢١ ص٧٥ و ٧٦ عنه، والبرهان ج٤ ص٤٩٨ و ٤٩٩ ونور الثقلين ج٥ ص٦٥٢ وأمالي الطوسي ص٤٠٧ والتفسير الصافي ج٥ ص٣٦١.

فلما رأى عمرو بن العاص وقد فعل علي ذلك، علم أنه سيظفر بهم، فحسده فقال لأبي بكر، وعمر، ووجوه السرية: إن علياً رجل غر لا خبرة له بهذه المسالك، و نحن أعرف بها منه، وهذا الطريق الذي توجه فيه كثير السباع، وسيلقى الناس من معرتها أشد ما يحاذرونه من العدو، فاسألوه أن يرجع عنه إلى الجادة.

فعرَّفوا أمير المؤمنين «عليه السلام» ذلك، قال: من كان طائعاً لله ولرسوله منكم فليتبعني، ومن أراد الخلاف على الله ورسوله فلينصرف عني.

وفي نص آخر: فقال لهم أمير المؤمنين «عليه السلام»: الزموا رحالكم، وكفوا عما لا يعنيكم، واسمعوا وأطيعوا فإني أعلم بما أصنع[1].

فسكتوا، وساروا معه، فكان يسير بهم بين الجبال في الليل، ويكمن في الأودية بالنهار، وصارت السباع التي فيها كالسنانير، إلى أن كبس المشركين وهم غارون آمنون وقت الصبح، فظفر بالرجال، والذراري، والأموال، فحاز ذلك كله، وشد الرجال في الحبال كالسلاسل، فلذلك سميت غزاة ذات السلاسل.

فلما كانت الصبيحة التي أغار فيها أمير المؤمنين «عليه السلام» على العدو ـ ومن المدينة إلى هناك خمس مراحل ـ خرج النبي «صلى الله عليه وآله» فصلى بالناس الفجر، وقرأ: «والعاديات» في الركعة الأولى، وقال: «هذه سورة أنزلها الله عليَّ في هذا الوقت، يخبرني فيها بإغارة علي على العدو،

---

(١) راجع هذه الفقرة: البحار ج٢١ ص٧٤ وتفسير القمي ج٢ ص٤٣٩ وتفسير نور الثقلين ج٥ ص٦٥٧.

وجعل حسده لعلي حسداً له، فقال: ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾[1]. والكنود: الحسود[2].

٣ ـ وذكر نص آخر: أن أعرابياً أخبر النبي «صلى الله عليه وآله» باجتماع قوم من العرب في وادي الرمل ليبيتوه في المدينة.. فأخبر النبي «صلى الله عليه وآله» المسلمين..

فانتدب إليهم جماعة من أهل الصفة، فأقرع بينهم، فخرجت القرعة على ثمانين رجلاً، فاستدعى أبا بكر، فقال له: خذ اللواء، وامض إلى بني سليم، فإنهم قريب من الحرة..

فمضى إليهم. وهم ببطن الوادي، والمنحدر إليهم صعب. فخرجوا إليه ـ حين أرادوا الإنحدار ـ فهزموه، وقتلوا من المسلمين جمعاً كثيراً.

فعقد «صلى الله عليه وآله» لعمر بن الخطاب وبعثه إليهم.. فهزموه أيضاً.

فأرسل إليهم عمرو بن العاص بطلب من عمرو نفسه، فخرجوا إليه، فهزموه، وقتلوا جماعة من أصحابه..

فدعا علياً «عليه السلام»، فعقد له، ثم قال: «أرسلته كراراً غير فرار».

وشيعه إلى مسجد الأحزاب، وأنفذ معه أبا بكر، وعمر، وعمرو بن العاص.

فسار بهم «عليه السلام» نحو العراق متنكباً للطريق، حتى ظنوا أنه

---

(١) الآية ٦ من سورة العاديات.

(٢) البحار ج٢١ ص٧٦ و ٧٧ والخرايج والجرايح ج١ ص١٦٧ و ١٦٨ وراجع: إثبات الهداة ج٢ ص١١٨.

يريد بهم غير ذلك الوجه، ثم انحدر بهم على محجة غامضة، حتى استقبل الوادي من فمه..

وكان يسير بالليل، ويكمن بالنهار.

فلما قرب من الوادي أمرهم أن يعكموا الخيل..

فعرف عمرو بن العاص أنه الفتح.

ثم ذكرت الرواية نحو ما تقدم في الرواية السابقة.

ثم قالت: قالوا: وقتل منهم مئة وعشرين رجلاً. وكان رئيس القوم الحارث بن بشر، وسبى منهم مئة وعشرين.

فلما رجع واستقبله النبي «صلى الله عليه وآله» والمسلمون..

قال له: «لولا أني أشفق أن تقول فيك طوائف من أمتي ما قالت النصارى في المسيح عيسى بن مريم لقلت فيك اليوم مقالاً لا تمر بملأ من الناس إلا وأخذوا التراب من تحت قدميك»[1].

٤ ـ وجاء في نص آخر: أن النبي «صلى الله عليه وآله» أخبر الناس بما أنذر به الإعرابي، وقال لهم: «فمن للوادي»؟

فقام رجل من المهاجرين، فقال: أنا له يا رسول الله، فناوله اللواء، وضم إليه سبع مائة رجل، فسار إليهم، فسألوه عن شأنه، فأخبرهم، فقالوا: «ارجع إلى صاحبك، فإنَّا في جمع لا تقوم له»، فرجع.

---

(١) الإرشاد للمفيد ج١ ص ١٦٤ و ١٦٥ والبحار ج٢١ ص٧٧ ـ ٧٩ وراجع ص٨٣ و ٨٤ وتفسير فرات، والبرهان (تفسير) ج٤ ص٤٩٨ والمستجاد من الإرشاد ص١٠٣ وكشف الغمة ج١ ص٢٠٣ و ٢٣١.

فأرسل مهاجرياً آخر، فمضى ثم عاد بمثل ما عاد به صاحبه.

فأرسل علياً «عليه السلام» فمضى إلى وادي الرمل، فوافى القوم بسحر فأقام حتى أصبح، ثم عرض على القوم أن يسلموا أو يضربهم بالسيف، فطلبوا منه أن يرجع كما رجع صاحباه، فأبى، وأخبرهم أنه علي، فاضطربوا لما عرفوه ثم اجترأوا على مواقعته، فقتل منهم ستة أو سبعة، وانهزموا، وظفر المسلمون بالغنائم، ورجعوا.

فاستقبله المسلمون والنبي، فلما بصر بالنبي «صلى الله عليه وآله» ترجل عن فرسه، وأهوى إلى قدميه يقبلهما.

فقال له «صلى الله عليه وآله»: «اركب، فإن الله تعالى ورسوله عنك راضيان».

فبكى علي «عليه السلام» فرحاً، ونزلت سورة العاديات في هذه المناسبة[1].

٥ ـ وفي حديث ابن عباس: أنه «صلى الله عليه وآله» دعا أبا بكر إلى غزوة ذات السلاسل، فأعطاه الراية فردها..

ثم دعا عمر، فأعطاه الراية فردها.

ثم دعا خالد بن الوليد فأعطاه الراية، فرجع.

---

(١) راجع: الإرشاد للمفيد ج١ ص ١١٤ ـ ١١٧ والبحار ج٢١ ص٨٠ ـ ٨٢ عنه وج٣٦ ص١٧٨ و ١٧٩ وج٤١ ص٩٢ و ٩٣ وعن إعلام الورى ص ١١٦ و ١١٧ ومناقب آل أبي طالب ص٣٢٨ ـ ٣٣٠ والمستجاد من الإرشاد ص١٠٠ ـ ١٠٣ وشجرة طوبى ج٢ ص٢٩٥ و ٢٩٦ وموسوعة التاريخ الإسلامي ج٢ ص٥٧٤ ـ ٥٧٦ وعن كشف الغمة ج١ ص٢٣٠ ـ ٢٣٢ وكشف اليقين ص١٥١ و ١٥٢ وتأويل الآيات ج٢ ص٨٤٠ و ٨٤١.

فأعطاها علياً «عليه السلام» فانطلق بالعسكر، فنزل في أسفل جبل كان بينه وبين القوم، وقال: اركبوا (لعل الصحيح: اكعموا) دوابكم.

فشكا خالد لأبي بكر وعمر: أنه أنزلهم في واد كثير الحيات، كثير الهام، كثير السباع، فإما يأكلهم مع دوابهم سبع، أو تعقرهم ودوابهم حيات، أو يعلم بهم العدو فيقتلهم..

فراجعوا علياً «عليه السلام» بالأمر، فلم يقبل منهم.

ثم راجعوه مرة أخرى فلم يقبل.

فلما كان السحر أمرهم فطلعوا الجبل، وانحدروا على القوم، فأشرف عليهم، وقال لأصحابه: انزعوا عكمة دوابكم، فشمَّت الخيل ريح الإناث، فصهلت، فسمع القوم صهيل الخيل فهربوا.

فقتل مقاتليهم، وسبى ذراريهم. فنزلت سورة «والعاديات» على النبي «صلى الله عليه وآله»، ثم جاءته البشارة[1].

إختلافات لها حل:

وقد ظهرت في النصوص المتقدمة بعض الاختلافات التي تحتاج إلى معالجة معقولة ومقبولة.

وهذه المعالجة ليست بعيدة المنال في هذا المورد الذي نحن بصدد الحديث عنه.

ونحن نذكر نماذج منها، ثم نعقب ذلك بما نراه معالجة مناسبة، فنقول:

---

(١) البحار ج٢١ ص٨٢ و ٨٣ وج٤١ ص٩٢ و ٩٣ ومناقب آل أبي طالب ج٢ ص٣٢٨ و ٣٢٩ وشجرة طوبى ج٢ ص٢٩٥ وتفسير فرات ص٥٩١.

١ـ ما هو المقصد؟!

وهل بعث النبي «صلى الله عليه وآله» هذه السرية إلى قضاعة، وإلى عاملة، ولخم، وجذام، وكانوا مجتمعين[1].

أو إلى قضاعة فقط كما في الروايات الأخرى، بعد أن بلغه أنهم أرادوا أن يدنوا إلى أطراف المدينة[2]. أو بعثها إلى بني سليم[3].

بل في بعض الروايات: أنه «صلى الله عليه وآله» بعث عمرو بن العاص، يستنفر العرب إلى الشام[4].

٢ـ المقتولون من الأعداء:

وقد ذكرت بعض نصوص هذه الغزوة: أن المقتولين من الأعداء حين هاجمهم علي «عليه السلام» هم مئة وعشرون رجلاً، وسبي منهم مئة

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٦٨ عن البلاذري.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٦٧ والمغازي للواقدي ج٢ ص٧٧٠ وعن عيون الأثر ج٢ ص١٧١ والطبقات الكبرى ج٢ ص١٣١..

(٣) البحار ج٢١ ص٧٧ و ٨٣ وج٣٦ ص١٧٨ وتفسير فرات ص٥٩٢ وكشف اليقين ص١٥١ وتأويل الآيات ج٢ ص٨٤٠ و٨٤١.

(٤) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٦٧ والمغازي للواقدي ج٢ ص٧٧٠ وتاريخ مدينة دمشق ج٢ ص٢٣ وعن البداية والنهاية ج٤ ص٣١٢ وج٥ ص٢٣٨ وعن السيرة النبوية لابن هشام ج٤ ص١٠٤٠ والإمامة والسياسة ج١ ص٢٠٨ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٥١٦ وج٤ ص٤٣٥.

وعشرون ناهداً[1].

وفي نص آخر: قتل منهم ستة أو سبعة، ثم انهزموا[2].

٣ـ المحرض على الاعتراض:

وثمة من يصرح: بأن عمرو بن العاص هو الذي حرك أبا بكر وعمر ليعترضا على علي «عليه السلام»، لأنه سار بهم في طريق وعرة، أو نزل بهم في موضع صعب[3].

ثم نجد ما يدل: على أن المحرض على الاعتراض هو خالد بن الوليد، لا عمرو بن العاص[4].

٤ـ محور الاعتراض:

وهل اعترض أبو بكر، وعمر، وعمرو بن العاص على المنزل الذي أنزلهم علي «عليه السلام» فيه[5].

---

(١) تفسير فرات ص٥٩٣ والبحار ج٢١ ص٨٤ عنه.

(٢) البحار ج٢١ ص٨١ والإرشاد للمفيد ج١ ص١١٦ وإعلام الورى ص١١٦ و ١١٧ وموسوعة التاريخ الإسلامي ج٢ ص٥٧٦.

(٣) البحار ج٢١ ص٧٧ و ٧٨ وج٣٦ ص١٧٩ وج٤١ ص٩٢ والخرايج والجرايح ج١ ص١٦٧ والإرشاد ج١ ص١٦٤ وتأويل الآيات ج٢ ص٨٤٢ وكشف اليقين ص١٥١ و ١٥٢.

(٤) البحار ج٢١ ص٨٢ وج٤١ ص٩٢ وتفسير فرات ص٥٩١.

(٥) البحار ج٢١ ص٨٢ وج٣٦ ص١٧٩ وج٤١ ص٩٢ وتفسير فرات ص٥٩١ وشجرة طوبى ج٢ ص٢٩٥.

أو أنهم اعترضوا على الطريق التي سلكها بهم[1].

٥ـ من المخبر للنبي ﷺ بجمع الأعداء؟!:

وقد تحدثت بعض الروايات عن أن جبرئيل هو الذي أخبر النبي «صلى الله عليه وآله» بجمع هؤلاء الأعداء، وبعددهم، وبما تعاقدوا وتعاهدوا عليه، فأخبر النبي «صلى الله عليه وآله» الناس بذلك[2].

ولكن نصوصاً أخرى تقول: إن الذي أخبر النبي «صلى الله عليه وآله» بجمعهم هو رجل أعرابي[3].

٦ـ وقت الإغارة:

تذكر روايات: أن علياً «عليه السلام» أغار على الأعداء عند الفجر[4].

---

(١) الإرشاد ج١ ص١٦٤ وتأويل الآيات ج٢ ص٨٤٢ وكشف اليقين ص١٥١ و ١٥٢ وكشف الغمة ج١ ص٢٣١ والبحار ج٢١ ص٧٧ و ٧٨.

(٢) البحار ج٢١ ص٦٨ وتفسير القمي ج٢ ص٤٣٤ وتفسير الثقلين ج٥ ص٦٥٢ وتفسير الصافي ج٥ ص٣٦٢ وتأويل الآيات ج٢ ص٨٤٤.

(٣) البحار ج٢١ ص٧٧ و ٨٠ والإرشاد ج١ ص١١٤ و١٦٢ وكشف الغمة ج١ ص٢٣٠ وموسوعة التاريخ الإسلامي ج٢ ص٨٤٤.

(٤) راجع: البحار ج٢١ ص٧٦ و ٧٧ و ٧٩ و ٨٣ وج٤١ ص٩٢ والأمالي للشيخ ص٢٥٩ و ٢٦٠ وشجرة طوبى ج٢ ص٢٩٥ وتفسير فرات ص٦٠٢ ومناقب آل أبي طالب ج٢ ص٣٢٩ والخرايج والجرايح ج١ ص١٦٨ والإرشاد ج١ ص١٦٥ والمستجاد في الإرشاد ص١٠٣ وكشف الغمة ج١ ص٢٣٢.

وبعضها يقول: عند السحر[1].

٧ ـ ماذا جرى لأبي بكر وعمرو بن العاص؟!

وهل خرج إلى أبي بكر مئتا رجل فكلموه وخوفوه فرجع، حسبما تقدم؟![2]. أم أنه لما صار أبو بكر إلى الوادي، وأراد الانحدار خرجوا إليه، فهزموه، وقتلوا من المسلمين جمعاً كثيراً؟!

ثم أرسل إليهم عمر بن الخطاب، فجرى له نفس ما جرى لأبي بكر.

ثم أرسل عمرو بن العاص، فكان الأمر كذلك أيضاً[3].

٨ ـ كيف أوقع علي عليه السلام بالأعداء؟!

وفي حين تذكر روايات: أن علياً «عليه السلام»، سار إلى أن كبس المشركين، وهم غارون، فظفر بهم[4].

---

(١) البحار ج١ ص٨٣ و ٨٤ وتفسير فرات ص٥٩٢.

(١) البحار ج٢١ ص٦٩ و ٧٠ وتفسير القمي ج٢ ص٤٣٥ وتفسير فرات ص٥٩٩ وتفسير الصافي ج٥ ص٣٦٢ وإعلام الورى ص١١٦ و ١١٧ وتأويل الآيات ص٨٤٥ وتفسير نور الثقلين ج٥ ص٦٥٣.

(٣) البحار ج٢١ ص٧٨ وج٣٦ ص١٧٩ وج٤١ ص٩٢ والإرشاد ج١ ص١٦٣ ومناقب آل أبي طالب ج٢ ص٣٢٨ والمستجاد من الإرشاد ص١٠١ و ١٠٢ وتأوي الآيات ج٢ ص٨٤٠ وكشف الغمة ج١ ص٢٣١ وكشف اليقين ص١٥١.

(٤) البحار ج٢١ ص٧٩ و ٨٤ وتفسير فرات ص٥٩٣ ص٦٠٢ والخرايج والجرايح ج١ ص١٦٨ وراجع: الإرشاد ج١ ص١٦٥ والمستجاد من الغرشاد ص١٠٣.

تجد نصاً آخر يقول: إنهم سمعوا صهيل خيله، فولوا هاربين[١].

وفي نص ثالث: أنه «عليه السلام» خاطبهم، وأخبرهم: أن النبي «صلى الله عليه وآله» أرسله إليهم، ثم عرفهم بنفسه، فاجترؤا على مواقعته، فواقعهم، فقتل منهم ستة أو سبعة وانهزموا[٢].

٩ـ عدد قتلى المشركين:

وهل قتل من المشركين ستة أو سبعة[٣].

أو قتل منهم مئة وعشرون رجلاً[٤].

١٠ـ الذين هاجموا المشركين:

ثم إن بعض النصوص قد اقتصرت على ذكر عمرو بن العاص، وأنه هاجم المشركين، فهربوا، ودوَّخ تلك البلاد، وهي التي اختارها عموم المؤرخين، من الفريق المحب لعمرو بن العاص.

ولكن نصاً آخر يذكر: أنه أرسل عمر، ففشل، فأرسل علياً «عليه

---

(١) البحار ج٢١ ص٨٣ وج٤١ ص٩٣ وتفسير فرات ص٥٩٢ ومناقب آل أبي طالب ج٢ ٣ص٣٢٩.

(٢) البحار ج٢١ ص٨١ والإرشاد للمفيد ج١ ص١١٦ وإعلام الورى ص١١٦ و ١١٧ وموسوعة التاريخ الإسلامي ج٢ ص٥٧٦.

(٣) البحار ج٢١ ص٨١ والإرشاد للمفيد ج١ ص١١٦ وإعلام الورى ص١١٦ و ١١٧ وموسوعة التاريخ الإسلامي ج٢ ص٥٧٦.

(٤) البحار ج٢١ ص٨٤ وتفسير فرات ص٥٩٣.

السلام»[1]، فكان الفتح على يديه.

وذكر نص آخر: إرسال أبي بكر، ثم عمر، ثم علي[2].

وفي نص آخر ذكر: رجلاً من المهاجرين، ثم رجلاً من المهاجرين، ثم علياً[3].

وذكر نص آخر: أبا بكر، ثم عمر، ثم عمرو بن العاص، ثم علياً «عليه السلام»[4].

وفي نص أيضاً: أنه «صلى الله عليه وآله» أعطى الراية أبا بكر، فردها، ثم أعطاها عمر، فردها. ثم أعطاها خالداً، فرجع. ثم أعطاها علياً «عليه السلام»[5].

١١ـ كيف عرف المشركون بجيش علي عليه السلام:

وقد ذكرت بعض تلك الروايات: أن المشركين عرفوا بوجود جيش

---

(١) البحار ج٢١ ص٧٥ والأمالي للشيخ ص٢٥٩ و ٢٦٠ والتفسير الصافي ج٥ ص٣٦١ والتفسير الأصفى ج٢ ص١٤٦٩.

(٢) البحار ج٢١ ص٦٨ وتفسير القمي ج٢ ص٤٣٤ وتأويل الايات ج٢ ص٨٤٤ وتفسير نور الثقلين ج٥ ص٦٥٢ وتفسير الصافي ج٥ ص٣٦٢.

(٣) البحار ج٢١ ص٨٠ وراجع ص٦٦ والإرشاد للمفيد ج١ ص١١٤ وإعلام الورى ص١١٦ و ١١٧ ومجمع البيان ج١٠ ص٥٢٨ و ٥٢٩ وموسوعة التاريخ الإسلامي ج٢ ص٥٧٤.

(٤) البحار ج٢١ ص٧٧ وج٤١ ص٩٢ والخرايج والجرايح ج١ص١٦٧ والإرشاد ج١ ص١٦٣ ومناقب آل أبي طالب ج٢ ص٣٢٨ والمستجاد من الإرشاد ص١٠١ وكشف الغمة ج١ ص٢٣١.

(٥) البحار ج٢١ ص٨٢ وتفسير فرات ص٥٩١.

علي «عليه السلام» حين سمعوا صهيل خيل المسلمين، فولوا هاربين[1].

ونص آخر يقول: بل كلمهم علي «عليه السلام» ثم واقعهم[2].

١٢ـ وادي اليابس أم وادي الرمل:

وذكرت بعض الروايات: أن السرية أرسلت إلى وادي اليابس[3].

وذكر بعضها: أنها أرسلت إلى وادي الرمل[4].

هذا هو الحل:

وبعدما تقدم نقول:

هناك سؤال يقول: ألا يضعف هذا الاختلاف من درجة اعتبار هذه

---

(١) البحار ج٢١ ص٨٣ ج٤١ ص٩٣ وتفسير فرات ص٥٩٢ ومناقب آل أبي طالب ج٢ ص٣٢٩.

(٢) الإرشاد للمفيد ج١ ص١١٤ ـ ١١٧ والبحار ج٢١ ص٨٠ ـ ٨٢ وج٤١ ص٩٢ وعن إعلام الورى ص١١٦ و ١١٧ وموسوعة التاريخ الإسلامي ج٢ ص٥٧٤ ـ ٥٧٦.

(٣) البحار ج٢١ ص٦٨ وشجرة طوبى ج٢ ص٢٩٥ وتفسير القمي ج٢ ص٤٣٤ وتفسير فرات ص٥٩٩ والتفسير الصافي ج٥ ص٣٦٢ والتفسير الأصفى ج٢ ص١٤٦٩ وبحوث في تاريخ القرآن للزرندي ص٥١ وتأويل الآيات ج٢ ص٨٤٤.

(٤) مستدرك الوسائل ج٤ ص١٦١ والبحار ج٢٠ ص٣٠٨ وج٢١ ص٨٠ وموسوعة التاريخ الإسلامي ج٢ ص٥٧٤ وإعلام الورى ج١ ص٣٨٢ وكشف الغمة ج١ ص٢٣٠ والإرشاد ج١ ص١٦٢ والمستجاد في الإرشاد ص١٠٠ ومناقب آل أبي طالب ج١ ص١٧٤ والنص والإجتهاد ص٣٣٦ وكشف اليقين ص١٥١ وتأويل الآيات ج٢ ص٨٤٠.

الروايات، ويسقطها عن صلاحية الاعتماد عليها؟!

ويمكن أن نجيب: أن هذه الاختلافات لا تصل إلى حد التناقض والاختلاف.

إذ يمكن أن يعترض عمرو بن العاص على علي «عليه السلام»، ثم يحرض أبا بكر وعمر على ثني عزيمة علي «عليه السلام»، على مواصلة مسيره ذاك..

ويمكن أن يعترض أبو بكر وعمر على علي «عليه السلام» مرتين، مرة على المسير المخيف، ومرة أخرى على المنزل المخيف.

ويمكن أن يخبر جبرئيل بجمع الأعداء، ثم يخبر به ذلك الأعرابي مرة أخرى.

ويمكن أن يكبس علي «عليه السلام» المشركين، وهم غارون. ثم تكون أول معرفتهم بالمهاجمين هو حين سمعوا صهيل الخيل، فهربوا فأوقع بهم علي «عليه السلام»..

ويمكن أن يكون قد واقعهم في اليوم الأول، فقتل منهم ستة أو سبعة فانهزموا، ثم لما استقر بهم المقام عاد فهاجمهم في فجر اليوم التالي، فقتل منهم مائة وعشرين رجلاً..

ويمكن أن يكون هناك واد واحد يسمى بوادي اليابس تارة، وبوادي الرمل أخرى.

ويمكن أن تذكر بعض النصوص مهاجمة عمر، ثم علي لهم.. وتسكت عن مهاجمة أبي بكر وعمرو وخالد.. ولكن راوياً آخر يضيف أبا بكر، ثم يضيف راوٍ ثالث عمرواً، أو خالداً..

ويمكن أن يفاجئهم علي «عليه السلام» بالجيش، ثم يكلمهم ويقيم عليهم الحجة، ويحصل بعض المواجهات فيما بينهم، ويقتل منهم ستة، أو سبعة.. ثم يغير عليهم مرة أخرى بعد ذلك، في وقت السحر أو حين طلوع الفجر.

ويمكن أن تجتمع سليم، وقضاعة، ولخم، وجذام.. فيروي أحد الرواة وجود هذا الفريق، ويهمل الإشارة إلى من عداه.. ولهذا الإهمال أسبابه التي تختلف من شخص لآخر أيضاً، ثم يذكر راوٍ آخرن ذلك الفريق، ويهمل من عداه.

ويمكن أن تكون هناك مهمات عديدة لبعث واحد، مثل أن يواجه الأعداء المتربصين من جهة، وأن يستنفر العرب إلى الشام أيضاً..

ويمكن: أن يعبر عن الصبح والفجر بالسحر، وكذلك العكس لتقارب الوقتين واتصالهما، خصوصاً وأن الناس يتسامحون في مثل هذه الاختلافات.

ويمكن: أن تتعدد التعابير بتعدد الهجمات، فإحداها كانت عند السحر، والأخرى عند الصبح وهكذا..

ويمكن: أن يتحدث أحدهم عن أن عدد الجيش هو سبع مائة، ويكون نظره إلى أول دفعة، ينتدبها، ويغض الرسول «صلى الله عليه وآله» الطرف عن ذكر العدد النهائي.

إختلافات لا حل لها:

وتبقى هناك اختلافات لا مجال لحلها على الطريقة المتقدمة.. بل تحتاج

إلى حلول أخرى قد يكون من بينها الحكم على الرواية بالتحريف والتزييف، إذا قامت الأدلة والشواهد الأخرى على ذلك..

وقد يكون من بينها أيضاً الحكم بتعدد الواقعة، إذا كان ذلك ممكناً، حتى وإن استلزم ذلك نسبة الوهم والخطأ إلى بعض الناقلين، حيث ظنوا بأن تلك الوقائع واحدة، لمجرد رؤيتهم لبعض مفردات التشابه فيما بينها. فأقحموا توضيحات وتفسيرات من عند أنفسهم، ظناً منهم أنهم يسهلون فهم الأمور على من بعدهم..

ولعل مما يصلح شاهداً على ما نقول: هذا التشابه الشديد فيما بين السرايا، ثم هذا التشابه بين مضامين عدد من الأحاديث أيضاً.. حتى إنك تجد أمراً واحداً يذكر في العديد من المواقع والمواضع..

ومن شواهد إقحام الرواة تفسيراتهم الخاطئة في النص ما يذكر في ولادة الحسنين «عليهما السلام»، من أن أسماء كانت حاضرة آنئذٍ، وأتت بهما إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله».

والمراد هو: أسماء بنت يزيد الأنصارية، أو أسماء أخرى منهم، ولكن الرواة أقحموا كلمة «بنت عميس» من عند أنفسهم، ربما لارتكاز ذلك في أنفسهم، أو بهدف التوضيح، مع أن أسماء بنت عميس كانت حين ولادة الحسنين «عليهما السلام» مع زوجها جعفر بن أبي طالب في الحبشة..

وقد يسأل سائل هنا: عن السبب في أن كثيراً من مؤرخي أهل السنة، والمتصدين لمعالجة رواياتهم منهم، حين يلاحظون وجود بعض الاختلافات بين الروايات يبادرون إلى الحكم بتعدد الواقعة..

ولكنهم لم يذكروا شيئاً من ذلك في غزوة ذات السلاسل.

والجواب: أن ذلك يعود إلى أنهم قد قصروا نظرهم في هذه الغزوة على مروياتهم هم، والتي تحصر الموضوع في عمرو بن العاص، وادعاء أنه دوَّخ بلاد قضاعة، وعاد منتصراً.. ولم يكترثوا بالروايات الأخرى التي وردت في مصنفات سائر المسلمين، ولاسيما شيعة واتباع خط ونهج أهل البيت «عليهم السلام».

١ـ عدد أفراد السرية:

وقد روى المؤرخون المتعاطفون مع عمرو بن العاص، وأبي عبيدة وغيرهما، والمهتمون بحفظ ماء وجههم: أن عدد أفراد سرية ذات السلاسل بلغ خمس مائة مقاتل، مائتان منهم جاء بهم أبو عبيدة مدداً لعمرو بن العاص. وقد تقدم ذلك في فصل سابق[1].

أما الروايات الأخرى فتقول: إن العدد قد بلغ أربعة آلاف مقاتل[2].

ورواية أخرى تقول: كانوا سبع مائة مقاتل[3].

---

(١) راجع: سبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٦٧ و ١٦٨ والمغازي للواقدي ج٢ ص٧٧٠ وتاريخ الخميس ج٢ ص١٧٥ وعن عيون الأثر ج٢ ص١٧١ وعن فتح الباري ج٨ ص٥٩ والطبقات الكبرى ج٢ ص١٣١ وغير ذلك كثير.

(٢) البحار ج٢١ ص٦٧ ـ ٧٣ وتفسير القمي ج٢ ص وتفسير فرات ص٥٩٩ والتفسير الصافي ج٥ ص٣٦٢ وتفسير نور الثقلين ج٥ ص٦٥٢ وتأويل الآيات ج٢ ص٨٤٤.

(٣) البحار ج٢١ ص٨٠ و ٨٢ والإرشاد للمفيد ج١ ص١١٤ و ١١٧ وعن إعلام الورى ص١١٦ و ١١٧ وموسوعة التاريخ الإسلامي ج٢ ص٥٧٥.

وهناك نص يقول: إنه أرسل علياً «عليه السلام» في ثمانين من أهل الصفة، أخرجتهم له القرعة[1].

٢ـ المقتولون مع أبي بكر:

إن بعض الروايات تصرح: بأن أبا بكر قد عاد إلى النبي «صلى الله عليه وآله» دون أن يباشر قتالاً، وكذلك عمر ـ وهي رواية القمي..

ورواية أخرى ذكرت: أن أولئك القوم خرجوا إلى أبي بكر، فهزموه، وقتلوا من المسلمين جمعاً كثيراً[2].

٣ـ اختلاف التاريخ:

هناك من يقول: إنها كانت قبل مؤتة ـ كابن إسحاق ـ.

وقيل: بعدها.

وقيل: كانت سنة سبع.

وقيل: ثمان، في جمادى الآخرة..

وكل ذلك قد تقدم.

---

(١) البحار ج٢١ ص٧٧ ـ ٧٩ و ٨٣ و ٨٤ وج٣٦ ص١٧٨ وراجع: الإرشاد للمفيد ج١ ص١٦٤ ـ ١٦٦ وتفسير فرات ص٥٩٢ والمستجاد في الإرشاد ص١٠١ وكشف اليقين ص١٥١ وتأويل الآيات ج٢ ص٨٤٠ وكشف الغمة ج١ ص٢٣.

(٢) الإرشاد للمفيد ج١ ص١٦٣ البحار ج٢١ ص٧٨ عنه ومناقب آل أبي طالب ج٢ ص٣٢٨ والمستجاد من الإرشاد ص١٠١ وموسوعة التاريخ الإسلامي ج٢ ص٥٧٧ وكشف الغمة ج١ ص٢٣١.

فإن كانت سنة سبع، فذلك لا يتلاءم مع القول: بأن عمرو بن العاص قد اسلم أول سنة ثمان، وأنه قد حضر هذه الغزوة، وكان له دور فيها..

وذكرها المفيد رحمه الله بعد غزوة تبوك، وذكرها على وجه آخر ـ على ما في بعض النسخ القديمة ـ بعد غزوة بني قريظة، وقبل غزوة بني المصطلق[1].

قال المجلسي نقلاً عن المفيد: وقد كان من أمير المؤمنين عليه السلام في غزوة وادي الرمل ـ ويقال: إنها كانت تسمى بغزوة السلسلة[2].

٤ ـ بعدها عن المدينة:

وهل تبعد عن المدينة اثنتا عشرة مرحلة[3].

أربع عشرة مرحلة؟[4].

أو تبعد عنها خمس مراحل فقط؟[5].

---

(١) البحار ج٢١ ص٨٠.

(٢) البحار ج٢١ ص٨٠ ومستدرك الوسائل ج٤ ص١٦١ والإرشاد ج١ ص١١٣ وبيت الأحزان ص٢٧.

(٣) معجم البلدان ج٢ ص١٥ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص٤٧٩ وكتاب العين للفراهيدي ج٥ ص٣٤٢.

(٤) راجع: فتح الباري ج٨ ص٤٤٨ وشرح النووي (ط دار الكتاب العربي) ج١٥ ص٤٥ و (ط دار الفكر) ص٥٨ وتحفة الأحوذي (ط دار الفكر) ج٥ ص٣١٢ وج٨ ص٤٠٥ و (ط دار الكتب العلمية) ج٥ ص٣١٠ وج٨ ص٤٠٢ وشجرة طوبى ج٢ ص٣١٢ وعون المعبود ج١ ص١٧٤ وعمدة القاري ج٩ ص٦٤ ومجمع البحرين ج١ ص٢٦٥.

(٥) البحار ج٢١ ص٧٧ والخرايج والجرايح ج١ ص١٦٨.

وفي جميع الأحوال نقول: إنه يمكن اعتماد الرواية التي تقول: إن المكان كان قريباً من المدينة.. وذلك للرواية التي تقول: «كان المشركون قد أقاموا رقباء على جبالهم، ينظرون إلى كل عسكر يخرج إليهم من المدينة على الجادة، فيأخذون حذرهم الخ..»[1].

وفي نص آخر: أنه «صلى الله عليه وآله» أرسلهم لغزوة بني سليم، فإنهم قريب من الحرة[2].

هل هناك اكثر من سرية؟!:

وهذه الاختلافات في الموارد الأربعة المتقدمة تدعونا للتفكير بجدية في اعتبارها مبرراً لتقوية احتمال تعدد الحادثة، وأن هذه الحوادث قد تشابهت في بعض عناصرها.

إلا أن يحمل هذا الاختلاف على وهم وقع فيه الرواة، أو عبث مارسوه، لغاية في أنفسهم.. وفي جميع الأحوال نقول:

إنه لابد لنا من وقفات تدبر وتأمل في النصوص المذكورة، فلاحظ ما نذكره فيما يلي:

---

(١) البحار ج٢١ ص٧٧ والخرايج والجرايح ج١ ص١٦٧.

(٢) الإرشاد للمفيد ج١ ص١٦٣ ـ ١٦٥ والبحار ج٢١ ص٧٧ ـ ٧٩ و ٨٣ و ٨٤ عنه، وعن تفسير فرات ص٥٩٢ والمستجاد من الإرشاد ص١٠١ وكشف الغمة ج١ ص٢٣١.

الإغارة قبل الاحتجاج أم بعده؟!

ونريد أن نرجح هنا: أن علياً صلوات الله وسلامه عليه قد فاجأ الأعداء في اليوم الأول، ودعاهم إلى ما فيه لهم خير وصلاح، وفلاح ونجاح، فأصروا، فواقعهم، فقتل منهم ستة أو سبعة، ثم أغار عليهم في سحر الليلة الثانية، أو حين الفجر، فأوقع بهم، وقتل منهم مئة وعشرين رجلاً، وأسر منهم مئة وعشرين ناهداً، وغنم ما شاء الله..

نقول هذا لأننا نعرف: أن علياً «عليه السلام» لم يكن يحارب قوماً إلا بعد أن ينذرهم، ويحذرهم، ويحتج عليهم، فإذا أصروا على العناد والحرب واقعهم..

وقد أوصاه النبي «صلى الله عليه وآله» بذلك ـ فيما روي ـ فقال له: «يا علي لا تقاتل أحداً حتى تدعوه إلى الإسلام الخ..»[1].

بل لقد روي عن الصادق «عليه السلام» أنه قال: ما بيَّت رسول الله «صلى الله عليه وآله» عدواً قط ليلاً[2].

(١) البحار ج١٩ ص١٦٧ وج٩٧ ص٣٤ وج٩٨ ص٣٦٤ والوسائل (ط دار الإسلامية) ج١١ ص٣٠ و (ط مؤسسة آل البيت) ج١٥ ص٤٣ وفي هامشه عن فروع الكافي ج١ ص٢٣٥ و ٣٣٧ وعن تهذيب الأحكام ج٢ ص٤٧ والكافي ج٥ ص٣٦ ومستدرك الوسائل ج١١ ص٣٠ وج١٧ ص٢١٠ وكتاب النوادر ص١٤٠ ومستدرك سفينة البحار ج١٠ ص٥٠٢ ومنتهى المطلب (ط ق) ج٢ ص٩٠٤ وتذكرة الفقهاء (ط ج) ج٩ ص٤٤ و ٤٥ ورياض المسائل (ط ج) ج١ ص٤٨٦ و ٤٩٣ ومشكاة الأنوار ص١٩٣.

(٢) الوسائل (ط دار الإسلامية) ج١١ ص٤٦ و (ط مؤسسة آل البيت) ج١٥ ص٦٣ =

وروي عنه «عليه السلام» قال: كان أمير المؤمنين «عليه السلام» لا يقاتل حتى تزول الشمس.

ويقول: تفتح أبواب السماء، وتقبل الرحمة، وينزل النصر.

ويقول: هو أقرب إلى الليل، وأجدر أن يقلَّ القتل، ويرجع الطالب، ويفلت المنهزم[1].

فهل يصح بعد هذا كله، أن يقال: إنه قد فاجأهم، وقتل وسبا، وغنم، قبل أن يحتج عليهم..

وقد يقال: إن قتال علي «عليه السلام» لهؤلاء القوم إنما كان بعد أن غزوا، وقوتلوا، وقاتلوا، وذلك حين سار إليهم أبو بكر، وعمر، وعمرو، ولا يجب دعوتهم في مثل هذه الحال، كما دلت عليه الرواية عن الإمام الصادق «عليه السلام»[2].

= وفي هامشه عن فروع الكافي ج١ ص٣٣٤ وعن تهذيب الأحكام ج٢ ص٥٦ ومنتهى المطلب (ط ق) ج٢ ص٩٠٩ وتذكرة الفقهاء (ط ق) ج١ ص٤١٢ ورياض المسائل (ط ق) ج١ ص٤٨٩ و (ط ج) ج٧ ص٥١١ وجواهر الكلام ج٢١ ص٨٢ وتهذيب الأحكام ج٦ ص١٧٤.

(١) الوسائل (ط دار الإسلامية) ج١١ ص٤٦ و (ط مؤسسة آل البيت) ج١٥ ص٦٣ وفي هامشه عن الكافي (الفروع) ج١ ص٣٣٥ وعن علل الشرايع ج٢ ص٦٠٣ وعن تهذيب الأحكام ج٢ ص٥٦ والبحار ج٣٣ ص٤٥٣ وج٩٧ ص٢٢ والكافي للحلبي ص٢٥٦ ورياض المسائل (ط ج) ج٧ ص٥١١ وجواهر الكلام ج٢١ ص٨١ والكافي للكليني ج٥ ص٢٨.

(٢) الوسائل (ط دار الإسلامية) ج١١ ص٣٠ و (ط مؤسسة آل البيت) ج١٥ =

بل لقد ذكرت بعض الروايات: أن النبي «صلى الله عليه وآله» أمره أن يدعوهم إلى الإسلام قبل أن يقاتلهم، وأنه صلوات الله وسلامه عليه قد فعل ذلك.. وقد ذكرنا ذلك فيما تقدم.

تحرزوا!!! انهزموا!!!

في الحديث رقم (٢) المذكور في صدر هذا الفصل، يلاحظ: أن الرواية تحاول أن تتحاشى التصريح بهزيمة أبي بكر وعمر، فتقول:

«حتى إذا صار بها بقرب المشركين اتصل بهم خبرهم، فتحرزوا، ولم يصل المسلمون إليهم..»

وهذا معناه: أن أبا بكر وعمر لم ينهزما بالراية، بل لم تجر حرب ولا صدام فيما بينهم وبين المشركين، لأن المشركين تحرزوا منهم.

وأما حين يصل الأمر إلى عمرو بن العاص فإن الحديث يصرح بهزيمة عمرو..

فما هذا الحنان على أبي بكر وعمر، الذي لا يستحقه حتى عمرو بن العاص، مع أنه هو الآخر أيضاً من أوليائهم وأحبائهم؟!

على أنك تلاحظ: أنهم حين يصلون إلى عمرو، لا يشيرون إلى تحرز المشركين، الذين كانوا أيضاً يراقبون العساكر التي تخرج من المدينة..

= ص٤٣ وفي هامشه عن فروع الكافي ج١ ص٣٣٢ وعن تهذيب الأحكام ج٢ ص٤٥ وراجع: جواهر الكلام ج٢١ ص١٨ والكافي (ط دار الكتب الإسلامية) ج٥ ص٢٠ وتهذيب الأحكام (ط دار الكتب الإسلامية) ج٦ ص١٣٥.

فإن كانوا قد تحرزوا من أبي بكر وعمر، فلماذا لم يتحرزوا من عمرو.. لكي يرجع عمرو كما رجع صاحباه من دون أن يصل المسلمون إليهم؟!.

وإن كانوا لم يتحرزوا وهاجموا عمرواً ومن معه، فلماذا لم يهاجموا أبا بكر ومن معه، وعمر ومن معه.. وتركوهم يرجعون قبل أن يصلوا إليهم؟!.

القائد فقط هو السبب:

وذكرت الرواية المتقدمة برقم (٢) أيضاً: أنه «صلى الله عليه وآله» لم يزد على أن «أخذ الراية لعلي، وضم إليه أبا بكر، وعمر، وعمرو بن العاص، ومن كان معه في تلك السرية». فتحقق النصر العظيم على يده صلوات الله وسلامه عليه، مع أنه لم يجر أي تعديل، سوى أنه أعطى القيادة لأمير المؤمنين علي «عليه السلام»..

وهذا يشير إلى: أن العيب، أو فقل التقصير كان من القادة بالدرجة الأولى..

بل يمكن القول: إن هزيمة نفس هذا الجيش ثلاث مرات متوالية، من شأنها أن تجعل احتمالات الهزيمة في المرة الرابعة أقوى، لأن تلك الهزائم قد حطمت معنوياته وزادت من جرأة جيش الأعداء عليه، ومن شراسته ضده.

وهذا الأمر لابد من أن يؤثر في زيادة الأمور صعوبة، من حيث أنه يهيئ الأجواء لهزيمةٍ أتعس، ولمقاومة من قبل الأعداء أشد وأشرس.

ولكن النتائج قد جاءت على عكس ذلك تماماً، وكان النصر على يد سيد الوصيين، وقائد الغر المحجلين، إلى جنات النعيم كما هو معلوم..

حسد عمرو أشرُّ من الهزيمة وأضرُّ:

وبعد، فقد يمكن أن يلتمس للمهزوم عذر، ولو كان باهتاً وضعيفاً، ولو بادعاء أن يكون خوفه على نفسه، وشدة الوجل والوهل قد أذهله عن تكليفه الشرعي، وأضعف عزيمة التصدي والصمود لديه.. ثم هو قد يراجع نفسه، ويندم على ما فرط منه، ويكون ما بدر منه حافزاً له على أن يرمي نفسه في أشد الأخطار، ليكفر عن ذنبه، وليرضي بذلك ربه..

ولكن أن يبادر الإنسان الذي يعيش في محيط الأمن والأمان، إلى العمل على تضييع النصر، وإلحاق الهزيمة بنفسه، وبجيش المسلمين لمجرد الاستجابة لرذيلة الحسد التي تحركت في نفسه، فذلك يدل على خلل عميق في الدين، وفي واقع الإيمان في عمق ذاته..

استجابة الشيخين لابن العاص:

والذي يثير دهشة كل منصف: أن ينقاد أبو بكر وعمر لابن العاص، وأن يجيبا طلبه في العمل على ثني علي «عليه السلام» عن عزمه، وحمله على التراجع عن خطته في مهاجمة العدو!!

فهل هما لم يلتفتا إلى حقيقة ما يرمي إليه ابن العاص؟!. وكيف يكون ذلك والحال: أن محبيهما ما زالوا يصفونهما بالحصافة والحكمة والتبصر.. وإن كانا قد التفتا إلى هذا الخطأ، ثم طاوعاه، ورضيا بأن يكونا أداة بيده لتنفيذ مآربه، فالأمر يصبح أدهى وأمر، وأتعس وأضر، ولا نريد أن نقول أكثر من ذلك.

أمير المؤمنين عليه السلام يتهم:

ويظهر من جواب أمير المؤمنين «عليه السلام» لهؤلاء المعترضين: أنه يعتبر اتباعه «عليه السلام» إطاعة لله ولرسوله «صلى الله عليه وآله»، وأن الاعتراض عليه عصيان لله ولرسوله..

وهو يصرح: بأن إصرارهم على اعتراضهم سوف ينتج طردهم من صفوف الجيش الذي يقوده «عليه السلام». وعليهم أن يواجهوا عاقبة فعلهم هذا، وأن يقدموا تفسيراً مقبولاً ومرضياً لدى رسول الله «صلى الله عليه وآله»..

وإذا أضيف إلى ذلك جوابه الآخر، المتضمن لأمرهم بلزوم رحالهم، والكف عما لا يعنيهم، فإنه يكون قد أفهمهم:

١ ـ أنه سوف يكون حازماً في موقفه هذا بنحو لا مجال فيه لأي جدل، أو اعتراض، لأنه في موقف لا مجال لغير الحزم فيه، وسيكون إفساح المجال للجدل، وللتشكيك، والأخذ والرد فيه سبباً في خلق مشكلات ونشوء عراقيل قد تؤثر على المهمة التي انتدبه الرسول «صلى الله عليه وآله» لإنجازها.

٢ ـ إن الانضباط في المهمات القتالية، والكون في المواقع المحددة من قبل القيادة، يعطي القدرة على التخطيط، والطمأنينة لسلامة التنفيذ، ويمكِّن من تحقيق النتائج، بعيداً عن المفاجآت التي يهيئ لها الخلل في الإعداد والاستعداد..

٣ ـ إن تدخل الجنود فيما لا يعنيهم، وخصوصاً فيما يرتبط بالقرارات الحربية للقيادة.. معناه: أن يفقد القائد قدرته على التأثير في فرض تنفيذ قراراته.

٤ ـ إنه «عليه السلام» قد عرَّف الناس: أن هذا الاعتراض يهدف إلى تهيئة الأجواء لعصيان أوامر القائد، والتمرد على قراراته، وليس من مصلحة المعترضين أن يظهر هذا الأمر للناس، ولذلك فلم يعد أمامهم أي خيار سوى التراجع عن موقفهم..

٥ ـ إنه قد عرفهم وعرف الناس: أن ما يتذرعون به من أنهم يعرفون أمراً لم يكن علي عارفاً به غير صحيح، فهو عالم بما يصنع، ولذلك لا مجال لتضليل الناس بذرائع من هذا القبيل.

خطة علي عليه السلام:

إن حذر القوم الذين يراد مهاجمتهم، واستعدادهم لابد أن يكون له أسبابه الواقعية.. وهي أحد أمرين هما:

١ ـ أن يكون لهم عين في المسلمين، يرسل إليهم بما يجري، ويعلمهم بتوجه السرية نحوهم، وبطبيعة تحركاتها..

٢ ـ أن يكون لهم رقباء في الجبال المشرفة، يخبرونهم بما يرونه، فيحتاطون ويستعدون للأمر قبل وقوعه، اعتماداً على ما يبلغونهم إياه من مشاهدات، أو معلومات.

وقد كان سلوك علي «عليه السلام» لطريق آخر يكفي لتعريف أولئك القادة الذين هزموا أو هربوا بأن علياً «عليه السلام» يتصرف بحكمة، وبدقة بالغة..

ولأجل ذلك عرف عمرو بن العاص: أنه «عليه السلام» سيظفر بهم.. فكيف لم يعرف بذلك أبو بكر وعمر؟ ولعل وضوح هذا الأمر وبداهته قد

جعل علياً «عليه السلام» يعتبر المعترضين يسعون إلى مجرد الخلاف عليه، وأنهم يريدون معصية الله ورسوله بذلك..

تبييت العدو ليس غدراً:

وقد ذكرت الروايات المتقدمة، وسواها: أنه «عليه السلام»، قد بيت المشركين وكبسهم، وهم غارون فظفر بهم..

ونعتقد: أن ذلك قد كان بعد الاحتجاج عليهم كما دلت عليه رواية القمي الآتية، التي ذكرت: أنه «صلى الله عليه وآله» أمر أبا بكر «أن إذا رآهم أن يعرض عليهم الإسلام، فإن تابعوا وإلا واقعهم».

كما أنه سيأتي: أنه «صلى الله عليه وآله» ما كان يقاتل قوماً حتى يدعوهم، ويحتج عليهم. وعلى كل حال، فإن علياً «عليه السلام»، بعد أن فرض عليهم المعركة، في الموقع والمكان والوقت والزمان، الذي أحب وأراد، لم يعد يمكنهم التخلي عن مواقعهم إلى أي موقع آخر، لأن ذلك معناه: الاستيلاء على كل ما لديهم، وعلى منازلهم وأموالهم، بل هو قادر على سبي نسائهم وأطفالهم..

فإذا أبوا الاستجابة لأي منطق، ورفضوا الانصياع لأي خيار مقبول أو معقول، واختاروا طريق البغي والعدوان، فلا مانع من أن يكبسهم وهم غارون في أي وقت شاء..

وليس في هذا العمل أية مخالفة للشرايع، أو الأخلاق، بل هو العمل الحكيم الذي يؤيده الخلق الإنساني، ويرضاه الشرع، وتقره العقول.. لأنه ليس من حق العدو المحارب، المعتدي والظالم أن يعتبر نفسه في مأمن، في الوقت الذي يعطي لنفسه الحق بالغدر بالآخرين، ويرخص لنفسه في

تبييتهم، والفتك فيهم، ظلماً وعتواً، وبغياً وعلواً..

بل إن أخذ ذلك الظالم على حين غرة من شأنه أن يقلل من عدد القتلى في صفوف المهاجمين، وفي صفوف الأعداء أنفسهم، لأن ذلك يسقط قدرتهم على المقاومة. وينتهي الأمر بالاستسلام.

وإذا كان الاستسلام لأهل الدين. فإن معاملتهم لابد أن تخضع لأحكام الشرع، وفق ما تفرضه الأخلاق الفاضلة، وتقضي به العقول، ولن يكون متأثراً بالأهواء والنزوات والميول..

تسمية الغزوة بذات السلاسل:

وقد أظهرت الرواية الثانية المتقدمة: أن سبب تسمية الغزوة بذات السلاسل: هو أنهم حين أسروا الرجال شدوهم بالحبال كالسلاسل، وقيل: هو اسم ماء يقال له: السلاسل.

ويظهر من أبي عبيد البكري: أن السلاسل رمل بالبادية، يكون بعضه على بعض كأنه السلسلة[1]، ولعل هذا هو مرادهم حين قالوا: إن الأعداء قد اجتمعوا بوادي الرمل[2]، فراجع.

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٧٢ وراجع: السيرة الحلبية ج٣ ص١٩٠ وعن فتح الباري ج٧ ص١٩ وتحفة الحوذي ج١٠ ص٢٦٠.

(٢) راجع: البحار ج٢٠ ص٣٠٨ وج٢١ ص٧٧ والإرشاد للمفيد ج١ ص١٦٢ ومناقب آل أبي طالب ج١ ص١٧٤ والمستجاد من الإرشاد ص١٠٠ وموسوعة التاريخ الإسلامي ج٢ ص٥٧٤ وكشف الغمة ج١ ص٢٣٠ وكشف اليقين ص١٥١ وتأويل الأحاديث ج٢ ص٨٤٠.

مع احتمال أن تكون هناك أكثر من سرية، ويكون بعضها إلى وادي الرمل، وبعضها إلى مواضع أخرى.

محاباة لعمر؟!

وقد صرحت الرواية الثالثة: بأن الأعداء قد قتلوا جماعة كثيرة من المسلمين، حينما كانت قيادة المسلمين لأبي بكر..

ولكن الرواية تسكت عن قتل المسلمين حين استلم القيادة عمر بن الخطاب، وتكتفي بذكر هزيمته.. ثم لما وصل الأمر إلى عمرو بن العاص، عادت للتصريح بالهزيمة، وبقتل جماعة من المسلمين!!.

فما هذه المحاباة لعمر في هذا النص على حساب رفيقيه، أبي بكر، وعمرو بن العاص؟!.

علي عليه السلام كرار غير فرار:

وقد صرحت الرواية الثالثة أيضاً: بأن النبي «صلى الله عليه وآله» قد وصف علياً «عليه السلام» بأنه كرار غير فرار..

وهذا الوصف هو نفسه: هو الذي أطلقه النبي «صلى الله عليه وآله» على علي «عليه السلام» يوم خيبر، بعد أن هُزم أبو بكر، ثم عمر. وأعطى «صلى الله عليه وآله» الراية لعلي «عليه السلام»، فرجع بالفتح.

وقد شرحنا هناك هذا النص، فراجع غزوة خيبر الفصل الثالث.

ما جرى في خيبر لم يزل يتكرر:

واللافت والعجيب: أن فرار هؤلاء القوم بالراية والجيش، ثم حصول

الفتح على يد أمير المؤمنين علي «عليه السلام» قد تكرر مرات عديدة..

فإنا لله.. وإنا إليه راجعون..

فقد حصل ذلك في:

١ ـ قريظة.

٢ ـ في خيبر.

٣ ـ في فدك.

٤ ـ في وادي الرمل بمشاركة عمرو بن العاص.

٥ ـ أو في ذات السلاسل قرب المدينة ومشاركة خالد.

٦ ـ وربما في بني سليم.

٧ ـ وربما في قضاعة في بلاد الشام.

فهل هذه صدف.. أم أن النبي الحاضر يرى ما لا يراه الغائب ويريد لهذا الأمر أن يتكرر، وأن يعرف الناس الحقيقة.

علي عليه السلام يُقبّل قدمي النبي صلى الله عليه وآله:

وذكرت الرواية الرابعة المتقدمة: أن علياً «عليه السلام» أهوى إلى قدمي النبي «صلى الله عليه وآله» يقبلهما..

وهذا يدحض المزاعم التي تقول بعدم جواز التبرك بالأنبياء «عليهم السلام»، وبآثارهم، لأن علياً «عليه السلام»، إنما فعل ذلك طلباً لرضى الله سبحانه، ورغبة في ثوابه.. والتماساً للبركة، التي تعني المزيد من العطاء الهنيء والخير النامي، والمقام السامي..

وعلينا أن لا ننسى: أن هذا يشير إلى ترابية أمير المؤمنين «عليه السلام»،

وشدة خضوعه لله سبحانه، ولرسوله «صلى الله عليه وآله»، لم يكن يرى نفسه زميلاً لمحمد. كما أنه يشير إلى صفاء ذاته، وطهارة روحه، وخلوص نواياه..

ونجد في مقابل ذلك: أن النبي «صلى الله عليه وآله» نفسه، كان يتبرك بالعرق الذي يكون على وجه علي «عليه السلام»[1].

الله ورسوله عنك راضيان:

وقد كانت الجائزة العظمى التي نالها علي «عليه السلام» هي أن الله تعالى ورسوله «صلى الله عليه وآله» راضيان عنه.. وتكون هذه الكلمات هي البشارة الكبرى التي يبكي علي «عليه السلام» فرحاً بها وشوقاً إليها..

فهو إذن لا يطمع بالقصور، ولا بالحور، ولا تهمه الجنان ولا يفرحه كل ما فيها، بمقدار ما يهمه ويفرحه رضى الله تعالى، ورضى رسوله، وفقاً

---

(١) راجع: مستدرك الوسائل ج١٧ ص٣٣٥ ومناقب أمير المؤمنين «عليه السلام» للكوفي ج١ ص٣٩٤ والمسترشد للطبري ص٦٠٢ ومائة منقبة لمحمد بن أحمد القمي (ابن شاذان) ص٥٨ والتحصين للسيد ابن طاووس ص٥٥٥ واليقين للسيد ابن طاووس ص١٧٩ و ١٩٦ و ١٩٧ و ٢٤٣ و ٣٦٧ والبحار ج٣٧ ص٣٠٠ و ٣٢٤ وج٣٨ ص٢ وج٤٠ ص١٥ و ٨٢ و ٣١٥ وج٨٩ ص٩١ وكتاب الأربعين للشيرازي ص٥٥ وحلية الأبرار ج٢ ص٤٤٦ وكتاب الأربعين للماحوزي ص٢٤٩ ومناقب أهل البيت «عليهم السلام» للشيرواني ص١١٦ والغدير ج٨ ص٨٧ ومستدرك سفينة البحار ج٧ ص١٩٤ و ٣٨١ والإمام علي «عليه السلام» للهمداني ص٩٢ و ١٤٨ وتفسير فرات ص٤٠٦ والمناقب للخوارزمي ص٨٥ وكشف الغمة ج١ ص١١٢ وكشف اليقين ص٢٦٦ وتأويل الآيات ج١ ص١٨٥ وتنبيه الغافلين ص٢٨.

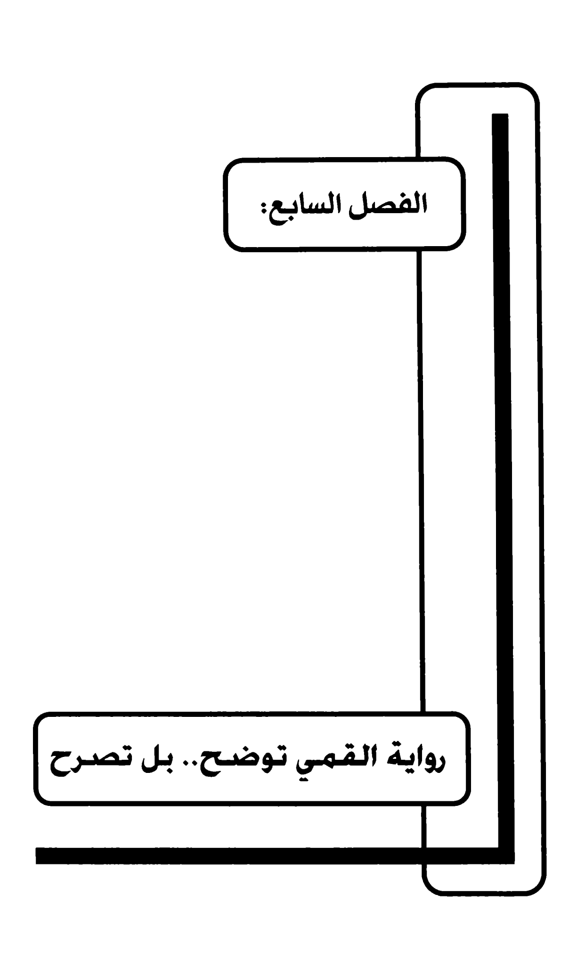
لقوله تعالى: ﴿..رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ، ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾[2].

---

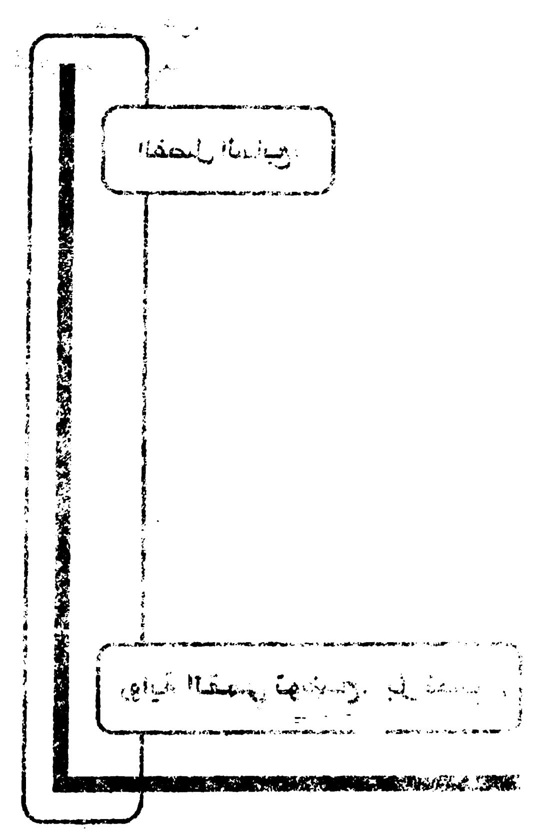
(١) الآية ٨ من سورة البينة.

(٢) الآيتان ٢٧ و ٢٨ من سورة الفجر.



الفصل السابع:

رواية القمي توضح.. بل تصرح



ذات السلاسل برواية القمي:

وقد روى القمي عن جعفر بن أحمد، عن عبيد بن موسى، عن الحسن بن علي بن أبي حمزة، عن أبيه، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله «عليه السلام» ـ ما ملخصه ـ:

إن أهل وادي يابس اجتمعوا اثني عشر ألف فارس، وتعاقدوا، وتعاهدوا، وتواثقوا: أن لا يتخلف رجل عن رجل، ولا يغدر بصاحبه، ولا يخذل أحد أحداً، ولا يفر عن صاحبه، حتى يموتوا كلهم، ويقتلوا محمداً «صلى الله عليه وآله»، وعلي بن أبي طالب «عليه السلام».

فنزل جبرئيل «عليه السلام» على النبي «صلى الله عليه وآله»، وأخبره بالأمر، وأمره أن يبعث أبا بكر في أربعة آلاف فارس، من المهاجرين والأنصار.

فخطب «صلى الله عليه وآله» الناس، وأخبرهم بما أخبره به جبرئيل «عليه السلام» عن أهل وادي اليابس، وأن جبرئيل أمره بأن يسير إليهم أبو بكر بأربعة آلاف فارس.

ثم أمرهم أن يتجهزوا للمسير مع أبي بكر يوم الإثنين، فلما حان وقت المسير أمر «صلى الله عليه وآله» أبا بكر: «أن إذا رآهم أن يعرض عليهم

الإسلام، فإن تابعوا، وإلا واقعهم، فقتل مقاتليهم، وسبى ذراريهم، واستباح أموالهم، وخرب ضياعهم، وديارهم».

فسار أبو بكر بهم سيراً رفيقاً، حتى نزل قريباً منهم، فخرج إليه منهم مئتا فارس، وهم مدججون بالسلاح، فسألوهم: من أين أقبلوا؟ وإلى أين يريدون؟ ثم طلبوا مقابلة صاحبهم.

فخرج إليهم أبو بكر، فسألوه، فأخبرهم بما جاء له.

فقالوا: أما واللات والعزى، لولا رحم ماسة، وقرابة قريبة لقتلناك وجميع أصحابك قتلة تكون حديثاً لمن يكون بعدكم، فارجع أنت ومن معك، وارتجوا العافية، فإنما نريد صاحبكم بعينه، وأخاه علي بن أبي طالب.

فقال أبو بكر لأصحابه: يا قوم، القوم أكثر منكم أضعافاً، وأعدُّ منكم، وقد نأت داركم عن إخوانكم من المسلمين، فارجعوا نُعلِم رسول الله «صلى الله عليه وآله» بحال القوم.

فقالوا جميعاً: خالفت يا أبا بكر رسول الله، وما أمرك به، فاتق الله وواقع القوم، ولا تخالف قول رسول الله «صلى الله عليه وآله».

فقال: إني أعلم ما لا تعلمون. الشاهد يرى ما لا يرى الغائب.

ورجعوا إلى النبي «صلى الله عليه وآله»، فأعلن على المنبر: أن أبا بكر قد عصى أمره، وأنه لما سمع كلامهم: «انتفخ صدره، ودخله الرعب منهم» ثم قال «صلى الله عليه وآله»:

«وإن جبرئيل «عليه السلام» أمرني عن الله: أن أبعث إليهم عمر مكانه في أصحابه، في أربعة آلاف فارس، فسر يا عمر على اسم الله، ولا تعمل كما عمل أبو بكر أخوك، فإنه عصى الله وعصاني».

وأمره بما أمر به أبا بكر.

فسار بهم يقتصد بهم في سيرهم، حتى نزل قريباً من القوم، وخرج إليه مئتا رجل، وقالوا له ولأصحابه مثل مقالتهم لأبي بكر.

فانصرف، وانصرف الناس معه، وكاد أن يطير قلبه مما رأى من عدة القوم وجمعهم، ورجع يهرب منهم.

فنزل جبرئيل «عليه السلام» وأخبر محمداً بما صنع عمر..

فصعد «صلى الله عليه وآله»، وأخبرهم بما صنع عمر، وأنه خالف أمره وعصاه..

فلما قدم عمر قال «صلى الله عليه وآله»: «يا عمر، عصيت الله في عرشه، وعصيتني، وخالفت قولي، وعملت برأيك، ألا قبح الله رأيك».

ثم ذكر: أن جبرئيل «عليه السلام» أمره أن يرسل علياً «عليه السلام» مع الأربعة آلاف، وأن الله يفتح عليه وعلى أصحابه، ثم دعاه وأخبره بذلك..

فخرج علي «عليه السلام» فسار بأصحابه سيراً غير سير أبي بكر وعمر، فقد أعنف بهم في السير، حتى خافوا أن ينقطعوا من التعب، وتحفى دوابهم، فقال لهم: لا تخافوا، فإن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد أمرني بأمر، وأخبرني: أن الله سيفتح عليَّ، وعليكم، فأبشروا، فإنكم على خير، وإلى خير.

فطابت نفوسهم وقلوبهم، وواصلوا سيرهم التَّعب، حتى نزلوا بالقرب منهم..

فخرج إليه منهم مائتا رجل شاكين بالسلاح، فلما رآهم علي «عليه

السلام» خرج إليهم في نفر من أصحابه، فقالوا لهم: من أنتم؟ ومن أين أنتم؟ ومن أين أقبلتم؟ وأين تريدون؟

قال: أنا علي بن أبي طالب، ابن عم رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وأخوه ورسوله إليكم، أدعوكم إلى شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، ولكم ما للمسلمين، وعليكم ما عليهم من خير وشر.

فقالوا له: إياك أردنا، وأنت طلبتنا، قد سمعنا مقالتك، فاستعد للحرب العوان، واعلم أنَّا قاتلوك وقاتلوا أصحابك، والموعود فيما بيننا وبينك غداً ضحوة، وقد أعذرنا فيما بيننا وبينك.

فقال لهم علي «عليه السلام»: ويلكم تهددوني بكثرتكم وجمعكم؟! فأنا أستعين بالله وملائكته والمسلمين عليكم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

فانصرفوا إلى مراكزهم، وانصرف علي «عليه السلام» إلى مركزه. فلما جنه الليل أمر أصحابه أن يحسنوا إلى دوابهم، ويقضموا، ويسرجوا.

فلما انشق عمود الصبح صلى بالناس بغلس، ثم غار عليهم بأصحابه، فلم يعلموا حتى وطئتهم الخيل، فما أدرك آخر أصحابه حتى قتل مقاتليهم، وسبى ذراريهم، واستباح أموالهم، وخرب ديارهم، وأقبل بالأسارى والأموال معه.

ونزل جبرئيل فأخبر رسول الله «صلى الله عليه وآله» بما فتح الله على علي «عليه السلام» وجماعة المسلمين، فصعد المنبر، فحمد الله، وأثنى عليه، وأخبر الناس بما فتح الله على المسلمين، وأعلمهم أنه لم يصب منهم إلا رجلان.

ونزل فخرج يستقبل علياً «عليه السلام» في جميع أهل المدينة من

المسلمين حتى لقيه على أميال من المدينة.

فلما رآه علي مقبلاً نزل عن دابته، ونزل النبي «صلى الله عليه وآله» حتى التزمه، وقبل ما بين عينيه.

فنزل جماعة المسلمين إلى علي «عليه السلام» حيث نزل رسول الله، وأقبل بالغنيمة والأسارى، وما رزقهم الله من أهل وادي اليابس.

ثم قال جعفر بن محمد «عليهما السلام»: ما غنم المسلمون مثلها قط إلا أن تكون خيبراً، فإنها مثل خيبر.

فأنزل الله تبارك وتعالى في ذلك اليوم: ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحاً..﴾ إلى آخر الرواية[1].

ونقول:

إن لنا هنا وقفات نجملها على النحو التالي:

وادي اليابس:

إن كانت غزوة وادي اليابس هي نفس غزوة ذات السلاسل، كما يفهم من تطابق أحداثها، فتكون وادي اليابس وراء وادي القرى، التي كانت من أرض الشام، وليست من أرض المدينة، كما يظهر من كلام السمهودي[2].

---

(١) البحار ج٢١ ص٦٧ ـ ٧٣ وتفسير القمي ج٢ ص٤٣٤ ـ ٤٣٨ وتفسير فرات ص٥٩٩ ـ ٦٠٢ والبرهان (تفسير) ج٤ ص٤٩٥ ـ ٤٩٧ ونور الثقلين ج٥ ص٦٥٢ ـ ٦٥٥ والتفسير الصافي ج٥ ص٣٦١ ـ ٣٦٥ وتأويل الآيات ص٨٤٤ـ٨٤٨.

(٢) وفاء الوفاء ج٤ ص١٣٢٩ وراجع: السيرة الحلبية ج٣ ص١٩٠.

ويظهر من كلامه أيضاً: أن دومة الجندل بوادي القرى، وهي تبعد عن المدينة خمس عشرة أو ست عشرة ليلة[1].

لماذا يعادون علياً عليه السلام؟!

إذا كان رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد جاء بما أغاظهم، من حيث أن فيه نقضاً لما هم عليه من دين الآباء والأجداد، فلماذا هذا الحقد على علي «عليه السلام»؟! أليس من أجل أنهم رأوا نكايته في أعداء الله، وشدته في دين الله، ونصرته المؤثرة لرسول الله «صلى الله عليه وآله»؟!. حتى لقد هزم الشرك في بلاد العرب، وأذل عزه، وأبار كيده، وتبر ما علاه، وحطم وهدم ما بناه..

أربعة آلاف:

قد تقدم: أنه «صلى الله عليه وآله» قد بعث أربعة آلاف فارس مع أبي بكر، ثم مع عمر بن الخطاب.

فقد يقال: إن ذلك موضع ريب، لأن المسلمين كانوا من القلة بحيث لا يمكن أن يجهزوا هذا العدد الكبير.. وإنما كانت خيبر قبل ذلك بسنة، ولم

---

(١) راجع: تاريخ الخميس ج١ ص٤٦٩ عن ابن سعد، والسيرة الحلبية ج٢ ص٢٧٧ وسيرة مغلطاي ص٥٤ ونهاية الإرب ج١٧ ص١٦٣ والمواهب اللدنية ج١ ص١٠٨ وزاد المعاد ج٢ ص١١٢ والطبقات الكبرى لابن سعد ج٢ ص٦٢ وتاريخ الإسلام للذهبي (المغازي) ص٢٣ والتنبيه والإشراف ص٢١٤ والسيرة النبوية لدحلان ج١ ص٢٦٦. ووفاء الوفاء ج٤ ص١٣٢٨ وعن عيون الأثر ج٢ ص٣٢ وسبل الهدى والرشاد ج٦ ص٩٤ والبدء والتاريخ ج٤ ص٢١٤.

يجهز لها النبي «صلى الله عليه وآله» سوى ألف وخمس مئة مقاتل..

ويجاب: بأن المسلمين قد كثروا بعد خيبر بصورة ظاهرة، مكنت النبي «صلى الله عليه وآله» من إرسال ثلاثة آلاف مقاتل إلى مؤتة، وإنما كانت ذات السلاسل بعدها بأكثر من سنة..

وربما يكون «صلى الله عليه وآله» قد استنفر العرب لحربهم ـ كما تقدم في بعض النصوص ـ فاستجابوا له لأكثر من سبب يقنعهم بأن من مصلحتهم مجاراة النبي «صلى الله عليه وآله» في ما يريد.. خصوصاً بعد سقوط خيبر، وبعد الحديبية، وعمرة القضاء، وغزوة مؤتة.

تخريب الضياع والديار:

وقد ذكر النص المتقدم: أنه «صلى الله عليه وآله» قد أمر أبا بكر بتخريب الضياع والديار..

وهذا يتنافى مع سياسته «صلى الله عليه وآله»، ومع وصاياه لبعوثه، وما أكثرها.. وقد تقدمت وصيته للجيش الذي أرسله إلى مؤتة، وفيها: «ولا تقربن نخلاً، ولا تقطعن شجراً، ولا تهدمن بيتاً»[1].

لماذا هذا السير الرفيق؟!

وقد ذكرت الرواية المتقدمة: أن أبا بكر قد سار بأصحابه سيراً رفيقاً.

---

(١) السنن الكبرى للبيهقي ج٩ ص٦٩ والبحار ج٢١ ص٦٠ عن المعتزلي، وسبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٤٦ والمغازي للواقدي ج٢ ص٧٥٨ وراجع: السيرة الحلبية ج٣ ص٦٦.

وهذا يعطيهم نفحة راحة تشعرهم بحب الدنيا، والرغبة بتجنب ضرب السيوف، وملاقات الحتوف، وعزوف أنفسهم عن تحمل المشاق والمتاعب.

وسيصبح من الصعب عليهم الانتقال المفاجئ من هذا النعيم والهناء، إلى مواجهة الأخطار والبلاء، والشقاء والعناء.

الإحسان إلى دوابهم:

وذكرت الرواية: أن علياً «عليه السلام» قد أمر أصحابه في الليلة التي شن الغارة على أعدائه في صبيحتها: أن يحسنوا إلى دوابهم.. وذلك بإنزال أحمالها عنها، وتقديم الماء والعلف لها. وجعلها في مكان مريح، وإبعاد جلها عنها، ونحو ذلك.

وهذا يجعلها أكثر حيوية وفاعلية في موقع النزال، فلا ينتابها التعب بسرعة، ولا يعرضها لحمل أكثر مما تطيق..

على نفسها جنت براقش:

وبعد أن أعلن الأعداء الحرب على أمير المؤمنين «عليه السلام» ومن معه، وقالوا: إنهم قاتلوه ومن معه.. أصبح من المحتم عليهم أن يتوقعوا من الطرف الآخر أن يهتبل أية فرصة لإيراد ضربته القاصمة بهم. وربما يواجههم بكثير من الأمور الخادعة، والضربات الموجعة..

ولا يلام علي «عليه السلام» في الإغارة عليهم في أية ساعة غفلة يرصدها فيهم، بل ذلك هو غاية الحزم، والتدبير الذكي، الذي يستحق عليه الثناء والتقدير، لأنه يحفظ بذلك أهل الإيمان، ويوقع بأهل البغي والطغيان، ويبطل كيدهم، ويخلص الناس من شرهم..

السرعة.. والمفاجأة:

ويلاحظ هنا: سرعة حسم علي «عليه السلام» لأمر الحرب لصالح أهل الإسلام، وقد ألحق بأعدائه أفدح الخسائر، من دون أن تلحق بأهل الإيمان خسائر تذكر، حيث لم يصب منهم إلا رجلان..

أبو بكر يخوف أصحابه:

وإذا عدنا بالحديث إلى أبي بكر، فلابد أن يستوقفنا تخويفه لأصحابه بكثرة عدد وبحسن عدة أعدائهم؟!..

ألم يكن يعلم: أنه لم يكن لهم في كل حروبهم السابقة ـ رغم كثرتها ـ أية فرصة للتكافؤ مع أعدائهم في العدد والعدة؟! بل كانت كلها أبعد عن هذا الأمر، مما هي عليه في هذه السرية؟

فقد كان الجيش الذي يقوده أبو بكر أكبر جيش جهزه رسول الله «صلى الله عليه وآله» حتى ذلك الوقت، حيث بلغ أربعة آلاف مقاتل حسبما ذكرته الرواية المشار إليها.

فلماذا يثير أمامهم حتى مجرد احتمال الحاجة إلى المدد والعون؟!. وهل حدث في أي من الحروب الكثيرة والخطيرة السابقة، أن أمدوا أي سرية وجيش بمال، أو رجال؟!.

لا نريد إلا محمداً وعلياً!!

والغريب في الأمر: أن يعلن هؤلاء الناس لأبي بكر: أنهم لا يريدون إلا شخص رسول الله «صلى الله عليه وآله» ونفس علي «عليه السلام». ثم

يرضى أبو بكر بالرجوع عنهم، ولا تثور حفيظته، ولا يزيد تصميمه على حربهم وقتالهم، بل ظنهم أن يُسَلِّم أصحاب محمد محمداً «صلى الله عليه وآله» لأعدائه ليقتلوه. إن لم نقل: إنه قد صدق ظنهم فعلاً.

وبذلك يكون قد أظهر للناس: أن المسلمين لا يدافعون عن دينهم ونبيهم، وإنما كل همهم هو حفظ أنفسهم، حين يجدون أنهم هم المستهدفون بالحرب.. فلو حادت الأمور عنهم، فربما لا يدخلون في الحرب بجد وحماس كهذا الذي يعاينه الناس منهم..

بل إذا كان هذان الشخصان، وهما النبي «صلى الله عليه وآله» وعلي «عليه السلام» يشكلان مشكلة حقيقية لأتباعهما، فقد يفكر هؤلاء الأتباع بحلول وسط، تزيل أية مشكلة بينهم وبين الناس، وقد يفكرون بالتخلي عن محمد وعلي صلوات الله وسلامه عليهما في يوم من الأيام.

ولا ندري إن كان أبو بكر قد فكر بالسبب الذي دعا هؤلاء الأعداء، للحرص على قتل النبي «صلى الله عليه وآله» وعلي «عليه السلام»، مع أنه ربما لا يكون فيما بينهما وبينهم أية مشكلة، إذ لم يكن لهم عندهم ما يعتبره أهل الجاهلية ثارات ولا غير ذلك..

وإذا كان النبي «صلى الله عليه وآله» هو صاحب الدعوة، وكانت هي ذنبه الأكبر عند أهل الشرك. فلماذا الحقد على علي «عليه السلام»؟! الذي هو تابع لرسول الله «صلى الله عليه وآله»، كسائر الصحابة الذين كانوا معه..

الشاهد يرى ما لا يرى الغائب:

وأغرب ما سمعناه هنا: أن يقول أبو بكر لأصحابه: «الشاهد يرى ما

لا يرى الغائب»، فأي شيء رآه أبو بكر لم يره أصحابه الذين كانوا معه؟!..

وهل كانت هناك أمور غائبة حقاً؟! أم أن كل شيء كان واضحاً، ومكشوفاً للناس كلهم؟!

وما الذي علمه أبو بكر، وجهله غيره، ليصح له القول: «إني أعلم ما لا تعلمون»؟!

وليس لنا أن نؤيد احتمال أن تكون هناك اتصالات، أو اتفاقات سريَّة بين أبي بكر هو وبين أهل وادي اليابس.. لم يعلم ولم يشارك بها سواه، وغاب عنها جميع من كانوا معه.

وذلك لأن النبي «صلى الله عليه وآله» قد أزال هذا الاحتمال حين رجع أبو بكر، فصعد «صلى الله عليه وآله» المنبر، وخطب الناس، وأخبرهم بأن سبب هزيمة أبي بكر هو الخوف والجبن، فقد قال في خطبته:

«فلما سمع كلامهم، وما استبقلوه به انتفخ صدره، ودخله الرعب منهم، وترك قولي، ولم يطع أمري».

ومهما يكن من أمر، فإن إحالة أبي بكر الأمر على مجهول دليل على أنه لم يكن قادراً على التبرير المقنع والمعقول.

فارجعوا نُعلم رسول الله ﷺ:

والذي زاد الأمر تعقيداً: أن أبا بكر لم يجد بين أربعة آلاف رجل حتى رجلاً واحداً يوافقه على ما يريد..

بل أعلنوا جميعاً: أن قراره هذا يخالف أمر رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وأن عليه أن يتقي الله، ولا يصر على رأيه. فإن أمر رسول الله «صلى

الله عليه وآله» كان محدداً وواضحاً.

والأهم من ذلك: أن ما زعم أنه يريد أن يخبر به رسول الله «صلى الله عليه وآله»، كان نفس الرسول «صلى الله عليه وآله» قد أخبره به علناً، وفي خطبة عامة على المنبر في المسجد، وقد سمعها الجميع، فذكر لهم «صلى الله عليه وآله» عدد الأعداء الذين يرسلهم إليهم، وبما تعاقدوا عليه بصورة تفصيلية..

كما أنه «صلى الله عليه وآله» قد أزاح احتمال أن يكون قد عرف ذلك من حملة الأخبار ومن الأرصاد، الذين قد يهمون، ويخطئون، وقد يكذبون أيضاً ـ فأخبرهم «صلى الله عليه وآله» بأن جبرئيل «عليه السلام» هو الذي أخبره.

بل إنه «صلى الله عليه وآله» قد أخبرهم بأن جبرئيل أيضاً هو الذي أمره بإرسال أبي بكر في أربعة آلاف..

وذلك يعني: أن أبا بكر قد تمرد على الأمر الإلهي، ولذلك استحق أن يخطب النبي «صلى الله عليه وآله» الناس، ويخبرهم بمخالفة أبي بكر لأمر الله تعالى.

وملاحظة أخيرة وهامة نذكرها هنا، وهي: أنه إذا كان جبرئيل هو الذي نقل الأمر الإلهي بإرسال أبي بكر، فذلك يعني أن الله سبحانه هو الذي يريد أن يرى الناس هزيمة أبي بكر، وجبنه، ومخالفته لأمر الله تعالى، وأمر رسوله.. لأن الله يعلم بما سيكون من أبي بكر..

فهل المقصود هو تعريف الناس بأن أبا بكر ليس أهلاً، لما يسعى للحصول عليه؟ أم أن ثمة سراً آخر؟!

عمر أخو أبي بكر، وعلي عليه السلام أخو النبي صلى الله عليه وآله:

وقد ورد في كلام رسول الله قوله لعمر: «ولا تعمل كما عمل أبو بكر أخوك».

ولكنه وصف علياً «عليه السلام» على المنبر أيضاً في الخطبة الأولى بأنه أخوه، فقال: «حتى يقتلوني، وأخي علي بن أبي طالب».

كما أن علياً «عليه السلام» قد وصف نفسه لأهل وادي اليابس بقوله: «ابن عم رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وأخوه». وأهل الوادي أيضاً وصفوه بالأخوة لرسول الله «صلى الله عليه وآله» كما ظهر من قولهم لأبي بكر..

وقد عمل كل واحد من الأخوين ما يناسب عمل أخيه، وأخلاقه، وحالاته..

فالرسول «صلى الله عليه وآله» المطيع لله سبحانه وتعالى في كل شيء كان له أخ مثله في ذلك..

وأبو بكر الذي عصى رسول الله «صلى الله عليه وآله» رغم التنبيه والتحذير، له أخ مثله في ذلك أيضاً.

واللافت: أن عمر قد سار في أصحابه سيراً رفيقاً، كما سار بهم أبو بكر، ثم هرب من الأعداء كما هرب، وعاش الرعب والخوف كما عاش.

كما أن النبي «صلى الله عليه وآله» حين حذره من أن يعمل مثل عمل أخيه، كأنه أشار إلى أن أخوته له هي التي تثير هذا التوقع منه، وهذا يدل على أن هذه الأخوة قد جاءت على أساس ملاحظة قواسم مشتركة بين الرجلين، ينشأ عنها توافق في السلوك وفي المواقف..

ذنب عمر أعظم:

وقد اظهرت كلمات النبي «صلى الله عليه وآله» التي واجه بها عمر بن الخطاب أن الذنب الذي ارتكبه عمر كان أعظم عند الله من ذنب أبي بكر.. وذلك للأسباب التالية:

١ ـ إنه قد جاء بعد التنبيه والتأكيد.

٢ ـ إنه بعد ظهور كونه معصية لله سبحانه، ولرسوله.

٣ ـ وبعد التنديد العلني بهذا العمل الشنيع..

فلا مجال بعد هذا كله لتوهم أن شيئاً ما قد خفي على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وأنه يريد أن يعلمه به، ولا مجال أيضاً لاحتمال أن تكون بعض الأمور التي أخبر عنها قد جاءت على سبيل الحدس والتخمين.. ولا مجال أخيراً لاحتمال أن تأتي الأحكام مختلفة ومتفاوتة من واقعة لأخرى، أو من حال إلى حال..

الفتح على يد علي عليه السلام:

وقد أخبر جبرئيل: أن الله تعالى يفتح على علي «عليه السلام» وعلى أصحابه.. مبيناً بكل هذه الأحداث المتتابعة: أن هناك سياسية إلهية لتعريف الناس بأن الله سبحانه وتعالى يرعى مسيرة هذه الرسالة، ويواكب تحركات من يدبرون في الخفاء للعبث بالتدبير الإلهي، وسوق الأمور باتجاه آخر، يخدم مصالحهم، ويحقق طموحاتهم..

ولأجل ذلك اختار الله أبا بكر أولاً، ثم اختار عمر ثانياً ليظهر للملأ أنهما ليسا في الموقع الذي يضعان نفسيهما فيه، ولم يكونا مؤهلين لما يطمحان

للاستئثار به، وسلبه من صاحبه الشرعي..

ثم اختار علياً «عليه السلام» ثالثاً. مع التصريح بان الفتح سيكون على يديه، ليعلمهم: أن الله مطلع على دخائل نفوسهم، والله قد اختاره لعلمه بأنه هو الذي يوصل السفينة إلى شاطئ السلام.

الفتح لعلي عليه السلام وأصحابه:

وقد وجدنا: أنه «صلى الله عليه وآله» قد اكتفى بتبديل القائد، وأما الجيش نفسه، فأبقاه على ما هو عليه، ولم يستبدل منه حتى رجلاً واحداً، وقد كانت الهزيمة من نصيب هذا الجيش مرتين متواليتين، مع نفس العدو ومع تقارب الزمان وفي نفس المكان، وفي نفس الظروف، وبنفس الأسلوب، وبعين الكلمات التي استخدمت، ونفس الخطاب والجواب..

وكان النصر حليفاً لهذا الجيش نفسه، مع ذلك العدو بالذات، وفي نفس الحالات، وفي الزمان والمكان عينه، رغم أن القائدين الأولين قد سارا بهذا الجيش سيراً رفيقاً، أو مقتصداً يحببهم بقائدهم. أما الأمير الثالث، فقد بهم في السير، حتى خافوا أن ينقطعوا من التعب، وأن تحفى دوابهم.. ولابد أن يثقل أمر هذا القائد عليهم، وتتجافى عنه قلوبهم، ولا يندفعون في محبته، وفي طاعته بالمقدار الذي يحظى به اللذان سبقاه..

ولكن النتائج جاءت معاكسة تماماً، فقد تحقق النصر، وكان الفتح والعز والكرامة نصيبهم معه، وكانت الهزيمة والمذلة، والمعصية لله في عرشه ولرسوله مع ذينك الأولين.

وهذا مثل للبشر جميعاً، يحمل لهم العبرة، والعظة، ويدعوهم للتأمل

العميق، والفكر الدقيق، حملته لنا كلمته «صلى الله عليه وآله» لعلي «عليه السلام» عن جبرئيل: «فأخبرني: أن الله يفتح عليه، وعلى أصحابه»..

فقد نسب الفتح إلى الله، الذي حبا به علياً «عليه السلام» وأصحابه معاً، مع أن الإنسان العادي قد يتوقع تخصيص الفتح بعلي دون أصحابه، الذين هزموا مع القائدين اللذين سبقاه..

ولكن الله ورسوله يريدان لنا أن ندرك حقيقة أن القيادة الصالحة، هي التي تعطي المواقف، وتغير من أحوال الرعية، وتؤثر في توجهاتها ومواقفها، وتعطيها صلابة في الدين، وورعاً في يقين، وتحملها على الصراط المستقيم، ولو لم تصدر لها أمراً، أو تفرض عليها قراراً، أو تبتز منها موقفاً.

وهي التي تثير حميتها وإباءها، وتمنحها نفحة الشجاعة والإقدام، أو التخاذل والإحجام..

وقد ظهر ذلك في هذه الغزوة بصورة جلية وواضحة، فقد ساقهم موقف أمير المؤمنين «عليه السلام» إلى مواقع العزة والكرامة والإباء، وأعطاهم نفحة من نفحات الشجاعة، والشعور بالكرامة. ففتح الله عليه وعليهم، وفق ما قاله الرسول الأكرم والأعظم «صلى الله عليه وآله» له ولهم.

تطمينات علي عليه السلام لأصحابه:

وحين سار علي «عليه السلام» باصحابه ذلك السير الحثيث الذي أتعبهم، فإنه يكون قد أفهمهم بذلك بأن ثمة جدية حقيقية في إنجاز أمر رسول الله «صلى الله عليه وآله» على أحسن وجه وأتمه.

ولعلهم أصبحوا يتخوفون من أن يكون للتعب الذي لحقهم في

مسيرهم هذا دوراً في خسارتهم الحرب التي يترقبونها.. فأراد «عليه السلام» أن يطمئنهم، ولكن لا بالوعود المادية ولا بالخطب الحماسية، بل بإعطائهم جرعة إيمانية روحية تتولى هي شحذ عزائمهم، وتقوية ضعفهم، وتعطيهم المزيد من الرضا والسعادة والبهجة، وذلك بالاعتماد على الغيب الذي يربطهم بالله سبحانه، وبرسوله.

فذكر لهم قول رسول الله «صلى الله عليه وآله» بصيغة الإخبار من النبي الكريم «صلى الله عليه وآله» لهم بالفتح العظيم.

والخبر من النبي «صلى الله عليه وآله» معناه: أن الله سبحانه هو الذي عرف رسوله به، وأطلعه على غيبه.. فليس الأمر مجرد تفاؤل، ولا هو كلام لمجرد التشجيع، وإثارة الحماس..

ولذلك يصرح النص المتقدم: بأن نفوسهم قد طابت وقلوبهم قد اطمأنت، وواصلوا سيرهم الشاق، وزالت عنهم الوساوس والمخاوف..

علي عليه السلام أخو النبي ورسوله إليكم:

ولم نعهد في الذين آخى النبي «صلى الله عليه وآله» بينهم أن يذكروا هذه الأخوة في مواقع إبلاغ رسائل الحرب والقتال، لاسيما وأنها أخوة أنشأها وجعلها رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وليست أخوة نسب..

ولكن علياً «عليه السلام» قد فعل ذلك، وأبلغ هذا العدو المحارب بهذه الحقيقة، حين قال لهم: إنه أخو النبي «صلى الله عليه وآله»، ورسوله إليهم.

ولعله أراد أن يفهمهم أن موقفه منهم يحدده موقفهم من رسول الله «صلى الله عليه وآله».. وأنه لا مجال للفصل في حسابات الربح والخسارة

بين علي كشخص، وبين علي الشريك مع رسول الله «صلى الله عليه وآله» في الأخوة، وفي العمل على حفظ الرسالة، من خلال حفظ الرسول، فإن ذلك هو الذي يوصل إلى حفظ هذا الدين والذود عن حياضه.

علي عليه السلام لا يحتكر النصر:

ورغم أن علياً «عليه السلام» قد حقق المعجزات في تاريخه الجهادي الطويل، ولاسيما حين قلع باب خيبر، وجعله ترساً يدفع به ضرب السيوف، وطعن الرماح، ثم حمله جاعلاً منه معبراً للجيش، بالإضافة إلى أعظم الإنجازات القتالية في بدر، وأُحد، والأحزاب، وقريظة، والنضير، وما إلى ذلك..

ولكنه لا يتهدد الأعداء بقوته، ولا يذكر لهم مواقفه هذه، بل هو يكتفي باستنكار تهديد الأعداء له، ثم هو يستعين بالله، وبالملائكة، وبالمسلمين عليهم، ويخبرهم أن كل حول وقوة لديه إنما هو من الله، وبه سبحانه وتعالى..

وهذا يعطي المسلمين نفحة روحية، ويذكرهم بنصر الله لهم في بدر، حين أمدهم بالملائكة في سائر المواطن. ولابد أن يحدث هذا التذكير بلبلة حقيقية في قلوب الكافرين، وطمأنينة وسكينة في قلوب المؤمنين، لأن له سابقة أثبتت صحة هذا المنطق وقوته، وظهرت نتائجه نصراً مؤزراً في حروب صعبة وهائلة، لابد أن تبقى الأجيال تتمثله كحدث تاريخي فريد، وكيوم من أيام الإسلام مجيد..

ولابد أن يترك إشراك علي «عليه السلام» للمسلمين في هذا العمل

الجهادي أثراً طيباً في نفوسهم.. لأن الذي يعطيهم هذا الوسام هو نفس علي الذي لا يرتاب أحد في مقامه الجهادي والإيماني العظيم، ولا يشك أحد في صدقه، وفي تجربته، وفي خبرته بالحرب، ولشهادته هذه قيمة كبيرة لديهم، ولابد أن يهتم كل أحد في أن يحصل على أدنى لفتة من علي، أعظم مجاهد على وجه الأرض، فكيف بما هو أكثر من ذلك..

يضاف إلى ذلك: أن هذا المنطق العلوي، الذي أوضح: أن الله وملائكته سوف يساهمون في تسجيل هذا النصر، لابد أن يصعِّب على المتخاذلين، وعلى غيرهم اتخاذ قرار الانسحاب من المعركة، وسيفرض على الجميع بذل جهد، ودرجة تحملٍ وصبرٍ أعلى وأكبر مما اعتادوا عليه في الحالات الأخرى..

هل خرّب علي عليه السلام ديارهم؟!

وأما ما ذكرته الرواية: من أن علياً «عليه السلام» قد خرب ديار الأعداء.. فلابد من التروي في قبوله.. إذ قد يقال: إن أوامره «صلى الله عليه وآله» بعدم التعرض للديار والأشجار، حسبما تقدم في غزوة مؤتة لا يتلاءم مع هذا الذي ورد في هذه الرواية.. إلا إذا فرضت الحرب نفسُها إجراءات تؤدي إلى شيء من ذلك، من حيث توقف تحقيق النصر، على ذلك..

وكذا إذا احتاج حفظ أرواح المسلمين، أو احتاج المسلمون أنفسهم إلى قطع السبيل على أعدائهم ومنعهم من تجديد القوى، ومعاودة الفساد والإفساد، وخلق المتاعب والعبث بأمن أهل الإسلام..

أصول الحرب في سورة العاديات:

وقد ذكرت الروايات المختلفة، وهذه الرواية أيضاً: أن سورة العاديات قد نزلت في هذه الغزوة ـ غزوة ذات السلاسل ـ أو وادي اليابس ـ .

والذي يُلاحظ سير الأحداث فيها، ويُلاحظ أيضاً ما حكته سورة «والعاديات» نفسها، سيجد: أن هذه السورة قد تضمنت أصول الحرب كلها.. وأن علياً «عليه السلام» قد راعاها في هذه الغزوة بالذات..

ونحن نشير إلى ذلك باختصار فيما يلي:

١ ـ إنه حين يقسم الله سبحانه بأمر بعينه، فذلك يعني أن لهذا الأمر أهمية كبيرة، وأنه محبوب ومطلوب له تعالى، لأن له موقعاً كبيراً وأساسياً في المنظومة التي يريد الله سبحانه لها أن تؤثر في إنجاز الأهداف الإلهية الكبرى في إيصال الإنسان، وما في هذا الكون إلى كماله..

٢ ـ وحين أقسم الله تبارك وتعالى بالعاديات، وبالموريات، الخ.. فإنه لم يخرج عن هذه القاعدة؛ فالخيل التي تعدو في سبيل الله، وتسرع في هذا العدو إلى الحد الذي تضبح معه بأنفاسها، كما قال تعالى: ﴿**وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحاً**﴾[1]. فإنها تكون قد بلغت أقصى مدى في سرعة الحركة، التي لها دور هام وحاسم في الحرب.

وقد فسر الضبح: بأنه «صوت أنفاس الفرس، تشبيهاً بالضباح، وهو صوت الثعلب.

وقيل: هو حفيف العدو، وقد يقال ذلك: للعدو.

---

(١) الآية ١ من سورة العاديات.

وقيل: الضبح كالضبع، وهو مد الضبع في العدو الخ..»[1]. أي حتى لا يجد مزيداً[2].

والمراد بالضبع هنا: وسط العضد بلحمه، أو العضد كله، أو الإبط[3].

وقيل: الضبح: صوت أجواف الخيل إذا عدت، ليس بصهيل ولا حمحمة[4].

٣ ـ إن عدو الخيل هذا يشير إلى أنها دائمة الإنتقال من مكان إلى مكان، وأنه انتقال سريع، وهذا من شأنه أن يحرم العدو من فرصة رصدها في مكان بعينه، وأن يفقده القدرة على التخطيط لأي عمل يمثل لها خطراً، أو يلحق بها ضرراً..

٤ ـ إن شدة اندفاع الخيل في هجمتها تحتم على ذلك العدوِّ أن يتراجع عن موقعه، وأن يتخلى عن حالة الثبات والطمأنينة، دون أن يملك قدرة العودة إلى ذلك الموقع، وهذه حركة لا يختارها المحارب، الذي يملك زمام المبادرة، ويكون له الإختيار.

---

(١) المفردات للراغب ص٢٩٢.

(٢) البحار ج٢١ ص٦٦ عن مجمع البيان ج١٠ ص٥٢٨ و ٥٢٩ و (ط مؤسسة الأعلمي) ص٤٢١ و ٤٢٢.

(٣) راجع أقرب الموارد، مادة: ضبع وراجع: بدائع الصنائع ج١ ص٢١٠ وكتاب العين ج١ ص٢٨٤ ولسان العرب ج٨ ص٢١٦.

(٤) البحار ج٢١ ص٦٦ عن مجمع البيان ج١٠ ص٥٢٨ و ٥٢٩ و (ط مؤسسة الأعلمي) ص٤٢١ و ٤٢٢ وكتاب العين للفراهيدي ج٣ ص١١٠ ولسان العرب ج٢ ص٥٤٣ والقاموس المحيط ج١ ص٢٢٦ وتاج العروس ج٢ ص١٨٦.

فحالة الضعف والوهن التي ظهرت لديه هي التي فرضت عليه هذه الحركة التخاذلية.

٥ ـ إنه إذا صاحب هذا الاندفاع القوي للخيل كيفيات وحالات خاصة، مثل الأصوات أو الهيئات المخيفة، ومنها صوت ضبح الخيل الذي يدعوهم لتصور حجم اندفاع عدوهم نحوهم، ثم صاحب ذلك لمعات نارية خاطفة وكثيرة، حين تقدح الخيل الشرر بحوافرها، فسوف يتشارك لدى ذلك العدوِّ السمع والبصر في رسم صورة الخطر الداهم، وما يحمله من عنف، يزعزع ثباته، ويهزمه في عمق وجوده.

بل قد يوجب قدح النار تحت حوافر الخيل نشوء حالة تضليلية، من خلال تلهي أفراد العدو بالنظر إليها، وإثارة التكهنات حولها، فتتهيأ الفرصة لمفاجأتهم بالقتال المرير، والضاري.

هذا كله، عدا عن أن قدح النار من حوافر الخيل، من شانه أن يبهج روح فرسانها ويقوي من اندفاعهم، ما دام أنه ناتج عن حركتهم وفعلهم.

٦ ـ ويأتي بعد ذلك كله عنصر المفاجأة بالقتال، بشتى أنواعه، التي يحتاج العدو في تحرزه منها إلى حركات متفاوتة في مداها وفي اتجاهاتها، شريطة أن تكون بالغة السرعة، وقوية التأثير..

ولن يكون الإنتقال إلى هذه الحركات سهلاً وميسوراً، إلا لأقل القليل من الناس.

فكيف إذا كان هؤلاء المقاتلين في صفوف العدو، لا يقومون بعمل قد اختاروه لأنفسهم، بل تكون حركتهم مجرد رد فعل، يفقدون معه أي خيار، أو اختيار لموقع القتال ولأسلوبه، فضلاً عن عجزهم عن استهداف أي نقطة

بالقتال، فضلاً عن الضعف الذي سوف يعتري طبيعة حركاتهم القتالية نفسها..

والخلاصة: أن هذه المفاجأة بالقتال لابد أن تربكهم، وتمنعهم من التأمل ومن التدبر والتدبير، وتدارك خطة مدروسة لمواجهة الموقف.

٧ ـ إن للتوقيت وتحديد ساعة الصفر أهمية بالغة في النجاح في الحرب، فإن المفاجأة إذا كانت في وقت الصبح على قاعدة: ﴿**فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحاً**﴾[1]، فلابد أن تكون فرص النجاح أكبر وأوفر، لأن الفريق الذي لم يكلف بمهمات قتالية، ولو بمثل الرصد والحراسة، يميل في هذه الساعة إلى أن يخلد للراحة، ظناً منه أن غيره يشاركه في هذا الميل، فينسجم ظنه هذا مع رغبته تلك، ويستسلم من ثم لأحلامه اللذيذة، وتأخذه سنة الكرى، وهو أكثر طمأنينة، وأبعد عن التفكير فيما يزعج ويثير.

وأما المكلف بالرصد أو بالحراسة، فإنه إذا كان قد سهر الليل، حتى بلغ ساعات الصباح الأولى، فلابد أن يتنفس هذا الساهر المرهق في هذا الوقت الصعداء، ويحسب أنه قد أنهى مهمته، وأن عليه أن يستريح، ويعوض جسده عن هذا السهر الطويل، بالنوم المستغرق والعميق..

وهذا كله يجعل المفاجأة لهؤلاء وأولئك كبيرة وخطيرة؛ حيث يكون الراصد والحارس في أقصى حالات الإرهاق، ويكون غيره من الناس مستغرقاً في أحلامه، ولن يكون قادراً على الإنتقال من حالة الإسترخاء الشديد بأقصى درجاته إلى حالة الإستنفار، بل إلى الدخول في أعنف

---

(١) الآية ٣ من سورة العاديات.

حالات الحركات القتالية، التي لا يقتصر الأمر فيها على أن يفكر في الأسلوب وفي الطريقة القتالية التي يختارها وحسب. بل عليه أن يفكر في اكتشاف الحركة القتالية للعدو أولاً، ثم يعود إلى نفسه ليفكر فيما يمتلكه من وسائل دفعها، وفي كيفية استعمال تلك الوسائل بما يناسب حركة العدو هذه..

وفي سياق آخر نقول:

إن المغير يعرف هدفه، وقد حدده ورسم خطة للتعامل معه، وهو ينفذ ما رسم.

أما الذين يغير غيرهم عليهم، فلا يعرفون شيئاً عن مواقع المهاجمين أو عن خطتهم، أو حالاتهم، وليس لديهم أية وسيلة لكشف ذلك فيهم، لأن العين وهي حاسة الرؤية تكون معطلة بسبب الظلمة، والنور الضئيل الذي ربما يكون قد بدأ ينتشر إنما هو في مستوى محدود، ولا يغير من الواقع شيئاً..

بل إنه حتى في حالات الحرب في العصور الحديثة، فمن جهة تكون أجهزة الرصد غير ذات أثر، فيما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس، وكذلك بعد غياب الشمس إلى مضي حوالي ساعة من أول الليل، ومن جهة تكون العين المجردة محجوبة بالظلمة، أو تكون دائرة عملها محاصرة ومحدودة بمقدار النور الذي استطاع أن يقتحم جحافل الظلام، وأن يتسلل إلى ثنايا تراكماته المهيمنة..

٨ ـ وهنا يأتي دور النقع والغبار، الذي يثور في ساحة المعركة، بسبب سرعة حركة الخيل المغيرة، ليكون الساتر، والمانع من الاستفادة من كمية

النور الضئيلة، التي تسللت إلى الأفق فيما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس.

كما أن لهذا النقع دوراً في إرباك حركة العدو، وفي التأثير على مخيلته، ويهيء الفرصة لتوهم كيفيات وصور قتالية ضخمة ومهولة، لا وجود لها في الواقع.

ومن شأن هذا أيضاً أن يزيد ذلك العدو ضعفاً ووهناً، ويؤكد هزيمته الروحية، وربما يكون سبباً في مبادرته إلى هدر طاقات، وبذل جهد في غير الاتجاه الصحيح.

٩ ـ ثم يأتي دور تلك الخيل العادية في الالتفاف على العدو، ومحاصرته بسرعة حسبما أشير إليه في قوله تعالى: ﴿فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعاً﴾[1]، حتى إذا رأى العدو أنه يواجه القتال في كل اتجاه، فإنه لابد أن يصاب بالإحباط، وباليأس من أن تتيح له المقاومة شيئاً ذا بال، وستتأكد لديه القناعة بأنه لا فائدة من الاستمرار فيها، لأن حصادها لن يكون في هذه الحال سوى أن يصبح طعمة للسيوف، وأن يلاقي الحتوف، وفي مثل هذه الحال سيرى: أن الاستسلام هو الأرجح والأصلح.

وقد أظهرت النصوص المنقولة، وكذلك نزول هذه السورة المباركة في هذه المناسبة: أن علياً «عليه السلام» قد طبق هذه الأمور كلها في غزوة ذات السلاسل.

فصلوات الله وسلامه على علي، سيد الوصيين، وقائد الغر المحجلين، إلى جنات النعيم.

---

(١) الآية ٥ من سورة العاديات.

سرية علي عليه السلام إلى بني خثعم:

عن سلمان الفارسي رحمه الله قال: بينما أجمع ما كنا حول النبي «صلى الله عليه وآله» ما خلا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام» إذ أقبل أعرابي بدوي، فتخطى صفوف المهاجرين والأنصار حتى جثا بين يدي رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فسأله النبي عن نفسه، وما جاء به، فأخبره أنه رجل من بني لجيم.

فقال النبي «صلى الله عليه وآله»: «ما وراك بما جاء لجيم»؟

قال: يا رسول الله خلفت خثعم، وقد تهيأوا وعبأوا كتائبهم، وخلفت الرايات تخفق فوق رؤسهم، يقدمهم الحارث بن مكيدة الخثعمي في خمسمائة من رجال خثعم، يتألَّون باللَّات والعزى أن لا يرجعوا حتى يردوا المدينة، فيقتلوك ومن معك يا رسول الله.

قال: فدمعت عينا النبي «صلى الله عليه وآله» حتى أبكى جميع أصحابه، ثم قال: «يا معشر الناس سمعتم مقالة الاعرابي»؟

قالوا: كلّ قد سمعنا يا رسول الله.

قال: «فمن منكم يخرج إلى هؤلاء القوم قبل أن يطؤنا في ديارنا وحريمنا، لعل الله يفتح على يديه، وأضمن له على الله الجنة؟

قال: فوالله ما قال أحد: أنا يا رسول الله.

قال: فقام النبي «صلى الله عليه وآله» على قدميه وهو يقول: «معاشر أصحابي هل سمعتم مقالة الأعرابي»؟

قالوا: كلّ قد سمعنا يا رسول الله.

قال: «فمن منكم يخرج إليهم قبل أن يطؤنا في ديارنا وحريمنا، لعل الله

أن يفتح على يديه، وأضمن له على الله اثني عشر قصراً في الجنة».

قال: فوالله ما قال أحد: أنا يا رسول.

قال: فبينما النبي «صلى الله عليه وآله» واقف إذ أقبل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام»، فلما نظر إلى النبي «صلى الله عليه وآله» واقفاً ودموعه تنحدر كأنها جمان انقطع سلكه على خديه لم يتمالك أن رمى بنفسه عن بعيره إلى الأرض، ثم أقبل يسعى نحو النبي «صلى الله عليه وآله» يمسح بردائه الدموع عن وجه رسول الله «صلى الله عليه وآله» وهو يقول: ما الذي أبكاك؟ لا أبكى الله، عينيك يا حبيب الله! هل نزل في أمتك شيء من السماء؟

قال: «يا علي، ما نزل فيهم إلا خير، ولكن هذا الأعرابي حدثني عن رجال خثعم بأنهم قد عبأوا كتائبهم.

ثم ذكر له ما جرى، فطلب منه أن يصف له القصور، فوصفها له.

فقال: أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام»: فداك أمي وأبي يا رسول الله، أنا لهم.

فقال النبي «صلى الله عليه وآله»: «يا علي، هذا لك وأنت له، أنجد إلى القوم».

فجهزه رسول الله «صلى الله عليه وآله» في خمسين ومائة رجل من الأنصار والمهاجرين، فقام ابن عباس رضي الله عنه وقال: فداك أبي وأمي يا رسول الله تجهز ابن عمي في خمسين ومائة رجل من العرب إلى خمسمائة رجل وفيهم الحارث بن مكيدة يعد بخمسمائة فارس؟!

فقال النبي «صلى الله عليه وآله»: «امط عني يا ابن عباس، فوالذي

بعثني بالحق لو كانوا على عدد الثرى وعليٌّ وحده لأعطى الله عليهم النصر حتى يأتينا بسبيهم أجمعين».

فجهزه النبي «صلى الله عليه وآله» وهو يقول: «اذهب يا حبيبي، حفظ الله من تحتك، ومن فوقك، وعن يمينك، وعن شمالك، الله خليفتي عليك».

فسار علي «عليه السلام» بمن معه حتى نزلوا بواد خلف المدينة بثلاثة أميال يقال له: وادي ذي خشب، قال: فوردوا الوادي ليلاً، فضلوا الطريق، قال: فرفع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام» رأسه إلى السماء وهو يقول: يا هادي كل ضال، ويا مفرج كل مغموم، لا تقو علينا ظالماً، ولا تظفر بنا عدونا، واعهدنا إلى سبيل الرشاد.

قال: فإذا الخيل يقدح بحوافرها من الحجارة النار، حتى عرفوا الطريق فسلكوه، فأنزل الله على نبيه محمد: ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحاً..﴾ يعنى الخيل ﴿فَالمُورِيَاتِ قَدْحاً﴾ قال: قدحت الخيل بحوافرها من الحجارة النار ﴿فَالمُغِيرَاتِ صُبْحاً﴾ قال: صبحهم علي مع طلوع الفجر.

وكان لا يسبقه أحد إلى الأذان، فلما سمع المشركون الاذان قال بعضهم لبعض: ينبغي أن يكون راعي في رؤوس هذه الجبال يذكر الله.

فلما أن قال: أشهد أن محمداً رسول الله «صلى الله عليه وآله».

قال بعضهم لبعض: ينبغى أن يكون الراعي من أصحاب الساحر الكذاب.

وكان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام» لا يقاتل حتى تطلع الشمس، وتنزل ملائكة النهار.

قال: فلما أن دخل النهار، التفت أمير المؤمنين «عليه السلام» إلى

صاحب راية النبي «صلى الله عليه وآله» فقال له: ارفعها.

فلما أن رفعها، ورآها المشركون عرفوها، وقال بعضهم لبعض: هذا عدوكم الذي جئتم تطلبونه، هذا محمد وأصحابه.

قال: فخرج غلام من المشركين، من أشدهم بأساً، وأكفرهم كفراً، فنادى أصحاب النبي: يا أصحاب الساحر الكذاب، أيكم محمد؟ فليبرز إليَّ.

فخرج إليه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام» وهو يقول: ثكلتك أمك أنت الساحر الكذاب، محمد جاء بالحق من عند الحق، قال له: من أنت؟

قال: أنا علي بن أبي طالب، أخو رسول الله، و ابن عمه، وزوج ابنته.

قال: لك هذه المنزلة من محمد؟

قال له علي: نعم.

قال: فأنت ومحمد شرع واحد، ما كنت أبالي لقيتك أو لقيت محمداً، ثم شد على علي وهو يقول:

لاقيت يا علي ضيغماً قرماً كريماً في الوغا معلَّما

ليث شديد من رجال خثعماً ينصر ديناً معلماً ومحكما

فأجابه علي بن أبي طالب «عليه السلام» وهو يقول:

لاقيت قرناً حدثاً وضيغماً[1] ليثاً شديداً في الوغا غشمشما

أنا علي سأبير خثعماً بكل خطِّيٍّ يري النقع دما

وكل صارم يثبت الضرب فينعما[1]

---

(١) هذا الشعر ورد كذلك، ولا يخفى عدم استقامة الوزن في هذا الشطر.

ثم حمل كل واحد منهما على صاحبه، فاختلف بينهما ضربتان، فضربه علي «عليه السلام» ضربة فقتله، وعجل الله بروحه إلى النار، ثم نادى أمير المؤمنين «عليه السلام»: هل من مبارز؟

فبرز أخ للمقتول، وحمل كل واحد منهما على صاحبه، فضربه أمير المؤمنين «عليه السلام» ضربة، فقتله وعجل الله بروحه إلى النار، ثم نادى علي «عليه السلام»: هل من مبارز؟

فبرز له الحارث بن مكيدة وكان صاحب الجمع، وهو يعد بخمسمائة فارس، وهو الذي أنزل الله فيه: ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾، قال: كفور ﴿وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ﴾ قال: شهيد عليه بالكفر ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام»: يعني باتباعه محمداً.

فلما برز الحارث، حمل كل واحد منهما على صاحبه، فضربه علي ضربة فقتله، وعجل الله بروحه إلى النار.

ثم نادى علي «عليه السلام»: هل من مبارز؟

فبرز إليه ابن عمه يقال له: عمرو بن الفتاك، وهو يقول:

أنا عمرو وأبي الفتاك ... وبيدي نصل سيف هتاك

أقطع به الرؤس لمن أرى كذاك

فأجابه أمير المؤمنين «عليه السلام» وهو يقول:

هاكها مترعة دهاقا ... كأس دهاق مزجت زعاقا

إني امرؤ إذا ما لاقا ... أقد الهام وأجذ ساقا

(١) هذا الشطر غير مستقيم الوزن.

ثم حمل كل واحد منهما على صاحبه، فضربه علي «عليه السلام» ضربة فقتله، وعجل الله بروحه إلى النار، ثم نادى علي «عليه السلام»: هل من مبارز؟

فلم يبرز إليه أحد، فشد أمير المؤمنين «عليه السلام» عليهم حتى توسط جمعهم، فذلك قول الله: ﴿فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعاً﴾، فقتل علي «عليه السلام» مقاتليهم، وسبى ذراريهم، وأخذ أموالهم، وأقبل بسبيهم إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله».

فبلغ ذلك النبي، فخرج وجميع أصحابه حتى استقبل علي «عليه السلام» على ثلاثة أميال من المدينة.

وأقبل النبي «صلى الله عليه وآله» يمسح الغبار عن وجه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام» بردائه، ويقبل بين عينيه ويبكي، وهو يقول:

«الحمد لله يا علي الذي شد بك أزري، وقوّى بك ظهري، يا علي، إنني سألت الله فيك كما سأل أخي موسى بن عمران صلوات الله وسلامه عليه أن يشرك هارون في أمره، وقد سألت ربي أن يشد بك أزري» ثم التفت إلى أصحابه وهو يقول:

«معاشر أصحابي لا تلوموني في حب علي بن أبي طالب «عليه السلام»، فإنما حبي علياً من أمر الله، والله أمرني أن أحب علياً وأدنيه، يا علي من أحبك فقد أحبني ومن أحبني فقد أحب الله، ومن أحب الله أحبه الله، وحقيق على الله أن يسكن محبيه الجنة، يا علي من أبغضك فقد أبغضني، ومن أبغضني فقد أبغض الله، ومن أبغض الله أبغضه ولعنه، وحقيق على

الله أن يقفه يوم القيامة موقف البغضاء، ولا يقبل منه صرفاً ولا عدلاً»[1].

ونقول:

إننا بغض النظر عن ركاكة الرجز الذي ذكرته الرواية، وعدم استقامة أوزان عدد من فقراته نشير إلى ما يلي:

إعتراض ابن عباس:

قد ذكرت الرواية: أن ابن عباس قد قام، فقال لرسول الله «صلى الله عليه وآله»: «فداك أبي وأمي يا رسول الله، تجهز ابن عمي في خمسين ومائة رجل من العرب، إلى خمسمائة رجل، وفيهم الحارث بن مكيدة، يعد بخمسمائة فارس»؟!

فقال «صلى الله عليه وآله»: «أمط عني يا بن عباس الخ..»[2].

ونقول:

أولاً: إن من البعيد أن يصدر ذلك عن ابن عباس، الذي ولد سنة الهجرة، أو قبلها بثلاث سنوات، فيكون عمره في غزوة ذات السلاسل ثماني سنوات أو أحد عشرة سنة على أبعد تقدير.. ولا يتوقع من صبي بهذه السن أن يواجه النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله» بهذا الاعتراض. وأن يجيبه النبي «صلى الله عليه وآله» بهذا الجواب.

فإن هذا الجواب، خصوصاً قول «صلى الله عليه وآله»: «أمط عني يا بن عباس» يستبطن درجة من القسوة على طفل بهذه السن..

---

(١) البحار ج٢١ ص٨٤ و ٩٠ عن تفسير فرات ص٥٩٣ ـ ٥٩٨.

(٢) البحار ج٢١ ص٨٧ وتفسير فرات ص٥٩٥.

كما أن نفس هذا الذي اعترض به ابن عباس والمتضمن لتفصيل واستدلال، وجرأة، إنما يتوقع من أناس نشأوا في بيئة غير صالحة، وممن لا يلزمون أنفسهم بمقتضيات الأدب مع النبي الكريم «صلى الله عليه وآله»..

ثانياً: إنهم يزعمون: أن العباس هاجر قبل الفتح بقليل وهو موضع ريب وشك، بل هو قد أسلم يوم فتح مكة، قال في الإستيعاب: «أظهر إسلامه يوم فتح مكة، وشهد حنيناً والطائف وتبوك»[1].

وقال البلاذري: «لقي العباس النبي «صلى الله عليه وآله» بذي الحليفة، ـ قال ابن هشام: لقيه بالجحفة ـ وهو يريد مكة، وقد أظهر إسلامه. فأمر النبي «صلى الله عليه وآله» أن يمضي ثقله إلى المدينة، وقال له: هجرتك يا عم آخر هجرة، كما أن نبوتي آخر نبوة»[2].

ونظن أن أحفاده العباسيين هم الذين حاولوا: أن ينيلوه فضل الهجرة ولو بأن يلتقي بالنبي «صلى الله عليه وآله» بذي الحليفة، إذ لا هجرة بعد الفتح. مع أنهم قد غفلوا عن أنه كان لا يزال حين الفتح في مكة، وهو الذي ضغط على أبي سفيان لكي يظهر الإسلام قبل ضرب عنقه، وذلك حين

---

(١) الإستيعاب (مطبوع مع الإصابة) ج٣ ص٩٥ وراجع: الجوهر النقي ج٩ ص١٠٦ وعن ذخائر العقبى ص١٩١ ومغني المحتاج ج٤ ص٢٣٩ وسبل الهدى والرشاد ج١١ ص٩٨.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ج٤ ص٨٥٩ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٥٣٤ وأنساب الأشراف ج١ ص٢٥٥ وسبل الهدى والرشاد ج٢ ص٢١٣ والبداية والنهاية ج٤ ص٣٢٨ ومواقف الشيعة ج١ ص١٧١ عن عيون الخبار لابن قتيبة ج١ ص٥.

استعرض هو وإياه كتائب المسلمين الآتية لفتح مكة فراجع[1].

فإذا كان العباس آنئذٍ لا يزال يعيش في مكة، ولم يهاجر إلى المدينة إلا بعد الفتح. وكانت عائلته معه، فمن أين؟ وكيف ظهر ابن عباس في هذه الغزوة التي سبقت فتح مكة؟

ثالثاً: أليس قد عاد الناس لِتَوِّهم من غزوة خيبر، التي كان جيش المسلمين فيها حوالي ألف وخمس مئة مقاتل، في مقابل عشرة آلاف من اليهود فضلاً عن غيرهم؟

وكان قد شاع وذاع أيضاً ما حاق بالمشركين على يد المسلمين في بدر، وأُحد، والأحزاب، وفي سائر المواقف، مع قلة عدد المسلمين في أكثر المعارك، وكثرة عدد أعدائهم، الذين كثيراً ما كانوا يزيدونهم بأضعاف، وقد كان النصر حليفهم باستمرار..

رابعاً: إذا كان ابن مكيدة يعد بخمس مئة فارس، فإن علياً «عليه السلام» يعد بالألوف، وهو قالع باب خيبر، وفاتح حصونها بالأمس وحده، وهو قاتل عمرو بن عبد ود، الذي كان يعدُّ يعد بألف فارس، وهو هازم جيش الشرك في حرب أحد وحده، إلى غير ذلك مما هو ذائع وشائع.

عدد جموع الأعداء:

وقالوا لقد كان العدد الذي جمعه بنو خثعم لمهاجمة المدينة هو خمس مئة

---

(١) راجع: مناقب آل أبي طالب ج١ ص١٧٨ والبحار ج٢١ ص١٢٨ و ١٢٩ ومستدرك سفينة البحار ج٨ ص١٠٨ و ١٠٩ وإعلام الورى ج١ ص٢٢٠ و ٢٢١ وقصص الأنبياء ص٣٤٦ و ٣٤٧.

من رجل كما ورد في بعض الروايات[1].

ونقول:

ألا يمكن أن يقال: إن خمس مئة رجل قد لا يجرؤون على مهاجمة المدينة، بعد أن هزم الله يهود خيبر، وهم أكثر من عشرة آلاف، بتلك الطريقة المخزية كما تقدم، وهزم الله المشركين يوم الأحزاب، وهم ألوف، وهزمهم الله أيضاً في بدر وفي أُحد، وفي سائر المشاهد؟!

إلا إن كان الهدف هو أخذ المسلمين على حين غرة، قد تنتهي بقتل رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وانفراط جمع المسلمين. ولكنه احتمال بعيد، فإن الإسلام قد انتشر وشاع وذاع، وكثر له الأتباع في جميع الأصقاع، ولا بد أن يوجب قتل رسول الله «صلى الله عليه وآله» ثورة جميع الناس ضد بني خثعم.

إن هذا يقوي احتمال تعدد هذه الواقعة، وتعدد فرار أولئك القوم، أعني أبا بكر، وعمر، قد جاء ليزيل به أية شبهة في عدم صحة ما يدَّعونه لأنفسهم من فضل وكرامات، ومواقف وبطولات، فظهرت هزيمتهم في المواقف المختلفة لكي لا يتخيل أحد: أن ما جرى لهم في بني قريظة، ثم في خيبر، ثم في فدك، وقد كان مجرد حالة عفوية، طارئة، فرضتها معطيات مفاجئة، لم يكونوا يظنون أنهم سوف يواجهونها..

يضاف إلى ذلك كله، فرارهم المتوالي في سرية وادي يابس، وسرية ذات السلاسل، وربما وادي الرمل، وسوى ذلك مما يتأكد احتماله لدى

---

(١) البحار ج٢١ ص٨٥ و ٨٦ و ٨٨ وتفسير فرات ص٥٩٣.

الباحث المنصف[1].

بكاء رسول الله ﷺ:

ثم إن الرواية المتقدمة قد ذكرت: بكاء النبي «صلى الله عليه وآله» حتى أبكى جميع أصحابه، وذلك حين أخبره ذلك الرجل بما عزم عليه بنو خثعم.

والسؤال هو: لماذا هذا البكاء يا ترى؟!

إننا لا يمكن أن نحتمل: أن يكون بكاء الخوف، أو بكاء الضعف، فإن هذا مما لابد من تنزيه رسول الله عنه.. علماً أنه «صلى الله عليه وآله» قد واجه أضعاف هذا العدد من الأعداء في وقت كان المسلمون فيه في غاية القلة، والضعف من حيث العدة والعدد. ولم ينس المسلمون بعد ما جرى في خيبر، والأحزاب، وبدر، وأُحد، وسوى ذلك..

كما أنه «صلى الله عليه وآله» قد أضحى قادراً على حشد اضعاف ما حشده بنو خثعم..

وحتى لو كان هذا الأمر يستوجب البكاء، ولنفترض: أنه بكى إشفاقاً على بعض أصحابه من أن يصيبهم سوء، أو لغير ذلك من أسباب..

ولكن هل يصح أن يكون هذا البكاء علنياً وعلى رؤوس الأشهاد؟!

وألا يوجب هذا البكاء والإبكاء وهناً في المسلمين، وإطماعاً لأعدائهم بهم؟! فيكون بالتالي نقضاً للفرض، وتضييعاً بل تفريطاً خطيراً، وغير مقبول؟!

---

(١) تقدم مصادر ذلك.

الإحجام غير المفهوم:

ولا ندري لماذا يحجم المسلمون عن الخروج إلى أولئك القوم، فلا يجيبون رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟!

ولماذا زهدوا بالجنة التي ضمنها لهم رسول الله «صلى الله عليه وآله»، مع كثرة جموعهم، وقلة عدوهم؟!

كيف وقد جهز «صلى الله عليه وآله» إلى مؤتة بالأمس ثلاثة آلاف مقاتل. وجهز قبلها ألفا وخمس مائة مقاتل إلى خيبر، ومثلها إلى الحديبية قبل ذلك.. ثم لا يجرؤ أحد من أصحابه على إجابته، والمبادرة إلى امتثال أمره؟!

مئة وخمسون فقط:

وأما بالنسبة لاقتصار النبي «صلى الله عليه وآله» على مائة وخمسين رجلاً في مقابل خمس مئة، ومنهم بطل يعد بخمس مئة فارس. **نلاحظ:** أن الرواية أشارت إلى أن ثمة من التفت إلى هذا الأمر، وسأل عنه، وقد سمت الرواية ابن عباس، وقالت: إنه سأل عن أنه إذا كان بإمكان النبي «صلى الله عليه وآله» أن يجهز الألوف إلى الحرب، فلماذا اكتفى بمائة وخمسين رجلاً؟!

فأجابه «صلى الله عليه وآله» بأنه يريد أن يظهر أثر علي «عليه السلام»، وشجاعته، ومدى استعداده للتضحية؟! وأنه لو ارسله وحده فإن الله ينصره عليهم.

وذلك ليؤكد للناس: أنه «عليه السلام» محل عناية الله ورعايته، وأنه مؤيد بنصره عز وجل.. وما ذلك إلا لشدة تفانيه في ذات الله، وحرصه على الفوز برضاه تبارك وتعالى.

الضلال عن الطريق والاهتداء إليها:

ثم إننا نستبعد: أن يكون علي «عليه السلام»، ومن معه ما لبثوا أن ضلوا عن الطريق وهم أهل البلاد، ويعرفون شعابها ومسالكها..

ولو فرض: أن بعضهم قد وقع في الشبهة، فإن من الطبيعي أن يكون بين هذا العدد من الناس الكثيرون ممن يعرفون الطريق، ويرشدون رفقاءهم إليها، ويدلونهم عليها..

يضاف إلى ذلك: أن علياً «عليه السلام» قائدهم هو الذي سلك المسالك الوعرة والغامضة في سرية ذات السلاسل، حتى إن ذلك قد حرك عمرو بن العاص، وكذلك خالد بن الوليد لتوسيط أبي بكر وعمر لديه، ليرجع بهم إلى الجادة، فأجابهم أنه يعلم ما يصنع..

فلماذا لا يرشدهم علي العارف بغوامض الطرق، والواقف على المسالك الصعبة، إلى طريق الجادة، حتى احتاجوا إلى قدح النار من حوافر خيولهم؟!

وحتى لو قبلنا بأنهم قد ضلوا الطريق.. فإن حديث معرفتهم الطريق بسبب قدح النار من حوافر الخيل، يبقى هو الآخر موضع ريب، فإن قدح الشرر لا يوجب رؤية الطريق، وتمييز معالمها، كما أنه لا يوجب اشتعال النار، إلى حد أن تكشف ما حولها..

إلا إن كان المقصود: أن سيره على الحجارة الذي أوجب قدح الشرر من حوافر الخيل قد عرَّفهم بأنهم يسيرون على الطريق. مع افتراض أن يكون وجود الحجارة دليلاً على الطريق، باعتبار أن سائر المسالك لا حجارة فيها..

ولكن هذا يبقى مجرد احتمال، قد يعرض له التأييد أو التفنيد، بحسب ما يعرض له من أدلة أو شواهد. بل هو احتمال بعيد، وافتراض غير سديد.

لا يقاتل حتى تطلع الشمس:

وأما ما ذكرته الرواية: من أن علياً «عليه السلام» كان لا يقاتل حتى تطلع الشمس، وتنزل ملائكة النهار..

فلعله اشتباه من الراوي، وذلك لما يلي:

١ ـ إن ملائكة النهار تنزل من حين طلوع الفجر، كما روي عن الإمام الصادق «عليه السلام» في تفسير قوله تعالى: **﴿إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً﴾**[1]، يعني صلاة الفجر، تشهده ملائكة الليل، وملائكة النهار[2].

---

(١) الآية ٧٨ من سورة الإسراء.

(٢) راجع: البحار ج٥ ص٣٢١ وج٩ ص٢٩٦ وج١١ ص١١٧ و ١١٨ وج٥٣ ص٢١٢ وج٧٣ ص٢٥٤ و ٢٦٣ وج٧٧ ص٣٠ و ٧٢ و ٧٣ و ٩٩ و ١٠٢ ومستدرك سفينة البحار ج٦ ص٣٢٩ وج٨ ص١٣٢ وعن مسند أحمد ج٢ ص٤٧٤ وراجع: فقه الرضا «عليه السلام» ص٧٢ والمعتبر للمحقق الحلي ج٢ ص١٧ ومنتهى المطلب (ط ق) ج١ ص١٩٦ و (ط ج) ج٤ ص٢٥ و ٢٧ وتذكرة الفقهاء (ط ق) ج١ ص٧٢ و (ط ج) ج٢ ص٢٧٣ والذكرى ص١١٣ و ١٢٢ ومدارك الأحكام ج٣ ص٢٤ والحبل المتين ص١٢٢ ومفتاح الفلاح ص٤ والحدائق الناضرة ج٦ ص٢٠٧ ومستند الشيعة ج٤ ص٥٣ وجواهر الكلام ج٧ ص١٦٨ ومسند زيد بن علي ص٩٩ والمبسوط للسرخسي ج١ ص١٥٧ وفقه السنة ج١ ص٩٧ و ١٥٧ والمحاسن ج٢ ص٣٢٣ والكافي ج٣ ص٢٨٣ و ٤٨٧ وج٨ ص٣٤١ ومن لا يحضره الفقيه ج١ ص٢٢٢ و ٤٥٥ وعلل الشرايع ج٢ ص٣٢٤ و ٣٣٦ وأمالي الصدوق ص٢٥٤ وثواب الأعمال ص١٣٦ والإستبصار ج١ ص٢٧٥ وتهذيب الأحكام ج٢ ص٣٧ وروضة الواعظين ص٣١٧ ومختصر بصائر الدرجات ص١٣١ والوسائل (ط مؤسسة آل البيت) ج١ ص٢٧٣ و ج٤ =

٢ ـ قد تقدم: أن النبي «صلى الله عليه وآله» ما بيَّت عدواً قط ليلاً..

بل إن علياً «عليه السلام» كان لا يقاتل إلا بعد زوال الشمس ظهراً، وقد تقدم ذلك..

لماذا لا يقاتل إلا بعد الزوال؟!

وقد شرح أمير المؤمنين «عليه السلام» نفسه أسباب عدم قتاله إلا بعد

= ص٥٠ و ٥٢ و ٥٣ و ٢١٢ و ٢١٣ و (ط دار الإسلامية) ج١ ص٢٦١ وج٣ ص٣٥ و ٣٦ و ٣٧ و ٦٠ و ١٥٤ و ١٥٥ ومستدرك الوسائل ج٣ ص٥١ و ١٢٠ و ١٢٤ و ١٦٤ وج٤ ص٧٥ والإختصاص ص٣٦ وأمالي ص٦٩٥ وعوالي اللآلي ج١ ص٤٢١ وحلية الأبرار ج١ ص١٦٠ وسنن ابن ماجة ج١ ص٢٢٠ وسنن الترمذي ج٤ ص٣٦٤ والمستدرك للحاكم ج١ ص٢١١ والمصنف للصنعاني ج١ ص٥٢٣ وعن السنن الكبرى للنسائي ج٦ ص٣٨١ وصحيح ابن خزيمة ج٢ ص٣٦٥ وصحيح ابن حبان ج٥ ص٤٠٩ وكتاب الدعاء للطبراني ص٥٩ وتفسير أبو حمزة الثمالي ص٢٣٦ وتفسير القمي ج٢ ص٢٥ والتبيان ج٦ ص٥٠٩ ومجمع البيان ج٢ ص١٢٨ وج٦ ص٢٨٣ وتفسير جوامع الجامع ج٢ ص٣٨٢ وفقه القرآن ج١ ص٨٢ و١١٤ وتفسير غريب القرآن ص١٩٧ والتفسير الصافي ج٣ ص٢١٠ والتفسير الأصفى ج١ ص٦٩٢ ونور الثقلين ج٣ ص٢٠١ وجامع البيان ج١٥ ص١٧٣ و ١٧٤ و ١٧٥ و ١٧٦ ومعاني القرآن ج٤ ص١٨٣ وزاد المسير ج٥ ص٥٣ والجامع لأحكام القرآن ج١٠ ص٣٠٦ وتفسير القرآن العظيم ج١ ص١٣ و ٥٣ وتفسير الجلالين ص٣٧٤ وعن الدر المنثور ج٤ ص٣٩٦ وعن فتح القدير ج٣ ص٢٥١ و ٢٥٥ وعن البداية والنهاية ج١ ص٥٦ وسبل الهدى والرشاد ج٩ ص١٥٠ والنهاية في غريب الحديث ج٢ ص٥١٣.

زوال الشمس.. فركز على الأسباب التالية:

١ ـ إن هذا الوقت أقرب إلى الليل، فإذا ذاق المقاتلون طعم القتال، وعرفوا أنه ليس مجرد نزهة، بل فيه آلام ومصائب، وكوارث ونوائب، ثم جنهم الليل، فإنهم سوف يعيدون النظر في حساباتهم، وسيقيِّمون الأمور وفق أمور عينية ملموسة، لم تعد مجرد تصورات غائمة، تكتنفها الكثير من التخيلات التي تقلل من وضوحها، وتهون من أمرها.

فالألم المتصور والمفترض لا يؤثر في قرار الإنسان بمقدار ما إذا أصبح ماثلاً وحاضراً، والمصاب الذي تسمع به أو تقرأ عنه ليس تأثير بمقدار المصاب الذي تراه وتعيشه، وتعاني منه ما تعاني..

فقد يدفعك خيال مَّا، أو يهيجك هائج حمية أو عصبية، أو يدعوك داعي طمع، أو جشع، أو تزين لك أحلام وردية، ترتكز إلى حسابات خاطئة أن تقتحم أتون الحرب.. فتبادر إلى ذلك.. فإذا مسَّك شيء من بلاياها وزراياها، يرجع إليك صوابك، وتلتمس الخلاص، ولات حين مناص.. ثم تطحنك رحى الحرب فيما تطحن، وتحطم ما صلب منك، وتلتهم ما رقَّ ولان. وتجد نفسك غير قادر على استرجاع ما ذهب، ولا استدراك ما يأتي، وتفرض عليك تلك الحرب كل تبعاتها، وتحملك ما أردته وما لم ترده من جرائمها وموبقاتها، وتلقي عليك بكلاكلها وأثقالها، وتبوء بكل مخزياتها..

٢ ـ إن هذا الوقت القصير، الذي هو بداية القتال، يكون فيه رجال الحرب على درجة عالية من اليقظة، والنشاط والحذر، ويريد كل منهم أن يختبر قدرات العدو، وأن يكتشف مكامن قوته، ومواضع ضعفه.

فالإقدام فيه محدود، والحذر فيه على أشده.. ولا تتوفر فيه دواع للاستقتال وطلب الموت، إذ لم يستحر القتل فيه بالأحبة، ولا وقع الأسر بعد على الأبناء والإخوة، ولا السبي أو العدوان على رموز الشرف، ومواضع الغيرة..

فلا موجب إذن لثورة حماس الشجعان. ليلقوا بأنفسهم في المهالك، طلباً للثار، أو لأجل محو العار.

وإذا كانت الأمور لا تزال في حدودها المعقولة هذه، فيمكن للعاقل أن يثوب إليه رشده في الليلة التي تعقب هذه البداية، ويكون ـ في هذه الحال ـ مدركاً بعمق حقيقة ما هو فيه، ونتائج ما يقدم عليه، فيوازن بين الحالين، ويتخذ القرار الرشيد، والموقف السديد..

٣ ـ وإذا كان هناك من يلاحق مهزوماً فسيمنعه حلول الليل من مواصلة سعيه.

٤ ـ ولا ضير في أن ينجو ذلك المهزوم، فإن هزيمته النفسية، تكفيه هو الآخر ليعيد حساباته، ويستأنف حياته، بنمط جديد، وحزر شديد.

كما أن المطلوب المهم هو دفع شره، والتخلص من أذاه.. وقد حصل ذلك فعلاً.. وليس المطلوب هو قتله، أو أسره، إلا إذا كان دفع شره يحتاج إلى ذلك.

وهذا هو ما قاله علي «عليه السلام»: «هو أقرب إلى الليل، وأجدر أن يقل القتل، ويرجع الطالب، ويفلت المنهزم»[1].

---

(١) الوسائل ج١١ ص٤٦ وفي هامشه عن الكافي (الفروع) ج١ ص٣٣٥ وعن تهذيب =

إن الإنسان لربه لكنود في من نزلت؟!

وقد ذكرت الرواية المتقدمة أن قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾[1] قد نزل في الحارث بن مكيدة، إلى أن قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾[2].

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام»: يعني باتباعه محمداً[3].

وقيل: المراد عمرو بن العاص[4].

وقيل: غير ذلك..

ونقول:

إن هذا الاختلاف لا ضير فيه، إذ لعل السورة قد نزلت أكثر من مرة. ولهذا نظائر كثيرة، حسبما أشرنا إليه في موارد أخرى في هذا الكتاب، وفي غيره.

غير أن تفسير آية: ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾[1] بعلي «عليه السلام». لا

= الأحكام ج٢ ص٢٥٦ وعن علل الشرايع ج٢ ص٦٠٣ والبحار ج٣٣ ص٤٥٣ وج٩٧ ص٢٢ والكافي للحلبي ص٢٥٦ ومنتهى المطلب (ط ق) ج٢ ص٩٩٧ والتحفة السنية (مخطوط) ص١٩٩ ورياض المسائل (ط ق) ج١ ص٤٨٩ و (ط ج) ج٧ ص٥١١ وجواهر الكلام ج٢١ ص٨١ والكافي (ط دار الكتب الإسلامية) ج٦ ص١٧٣ والوسائل (ط مؤسسة آل البيت) ج١٥ ص٦٣ و (ط دار الإسلامية) ج١١ ص٤٧ والبحار ج١١ ص٤٥٣ وج٩٤ ص٢٢.

(١) الآية ٦ من سورة العاديات.

(٢) الآية ٨ من سورة العاديات.

(٣) البحار ج ٢١ ص ٨٨ و ٨٩ عن تفسير فرات ج١ ص١٦.

(٤) البحار ج ٢١ ص ٧٧ عن الخرايج والجرايح.

يلائم سياق الآيات. حيث يظهر من السياق أن حب ذلك الكنود للخير، أي أن حبه للنعم الدنيوية، مثل المال، والجاه، والبقاء على قيد الحياة، شديد، ولذلك خاف الذين أرسلهم النبي «صلى الله عليه وآله» أولاً على أنفسهم، وحسدوا علياً «عليه السلام»، وحاولوا إحباط مسعاه في تحقيق النصر..

ثم ذكرت الآيات أن هؤلاء المحبين للدنيا سيرون في يوم القيامة كيف أن الله سيظهر ما أضمروه في صدورهم، وسيفضح ما انطوت عليه قلوبهم. ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ، وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ، إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾[2].

---

(١) الآية ٨ من سورة العاديات.

(٢) الآيات ٩ ـ ١١ من سورة العاديات.

الفصل الثامن:

سرايا حدثت.. إلى فتح مكة

[illegible]

الرسالة الخامسة

[illegible] . شطحة إبليس

سرية أبي قتادة إلى بطن إضم:

وفي أول شهر رمضان سنة ثمان أراد رسول الله «صلى الله عليه وآله» التوجه الى مكة لفتحها، بعث أبا قتادة الحارث بن ربعي في ثمانية نفر إلى بطن إضم(1)، ليظن ظان أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» توجه إلى تلك الناحية، ولأن تذهب بذلك الأخبار(2).

وقال بعضهم: بعثنا رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى إضم [في نفر من المسلمين]، أميرنا أبو قتادة الحارث بن ربعي، وفينا محلم بن جثامة الليثي، وأنا. فخرجنا حتى إذا كنا ببطن إضم مر بنا عامر بن الأضبط

---

(1) بطن إضم: بين ذي خشب وذي المروة، على ثلاثة برد من المدينة.

(2) سبل الهدى والرشاد ج5 ص211 وج6 ص190 عن محمد بن إسحاق، ومحمد بن عمر، وابن سعد، وابن أبي شيبة، والإمام أحمد، والترمذي، وحسنه، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والخرائطي في مكارم الأخلاق، والطبراني، وأبي نعيم، والبيهقي في دلائلهما، عن عبد الله بن أبي حدرد، والطبراني عن جندب البجلي، وابن جرير عن ابن عمر، وابن أبي حاتم عن الحسن، وعبد الرزاق، وابن جرير. وراجع: تاريخ الخميس ج2 ص76 والسيرة الحلبية ج3 ص195 وراجع: تاريخ مدينة دمشق ج67 ص149 وعن عيون الأثر ج2 ص177.

الأشجعي على قعود له، ومعه مُتيِّع له، ووطب من لبن.

قال: فلما مر بنا سلم علينا بتحية الإسلام فأمسكنا عنه، وحمل عليه محلم بن جثامة فقتله لشيء كان بينه وبينه، وسلبه بعيره ومتيعه.

فلما قدمنا على رسول الله «صلى الله عليه وآله» وأخبرناه الخبر نزل فينا: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ الله فَتَبَيَّنُواْ وَلاَ تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلاَمَ لَسْتَ مُؤْمِناً تَبْتَغُونَ عَرَضَ الحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِندَ الله مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ..﴾**[1].

فانصرف القوم ولم يلقوا جمعاً، حتى انتهوا إلى ذي خشب. فبلغهم أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد توجه إلى مكة، فأخذوا على بيبن حتى لحقوا برسول الله «صلى الله عليه وآله» بالسقيا[2].

فقال النبي «صلى الله عليه وآله» لمحلم: «أقتلته بعد ما قال آمنت بالله»؟

وفي حديث ابن عمر، والحسن: فجاء محلم في بردين، فجلس بين يدي رسول الله (ليستغفر له)، فقال «صلى الله عليه وآله»: **«أقتلته بعد ما قال إني مسلم»؟**

قال: يا رسول الله، إنما قالها متعوذاً.

قال «صلى الله عليه وآله»: «أفلا شققت عن قلبه»؟

قال: لم يا رسول الله؟

قال: «لتعلم أصادق هو أم كاذب».

قال: وكنت عالماً بذلك يا رسول الله. هل قلبه إلا مضغة من لحم؟

---

(١) الآية ٩٤ من سورة النساء.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٩٠وعن مراصد الاطلاع ج٢ ص٧٢. وتاريخ الخميس ج٢ ص٧٦ والسيرة الحلبية ج٣ ص١٩٥ والطبقات الكبرى لابن سعد ج٢ ص١٣٣ وتاريخ مدينة دمشق ج٦٧ ص١٥٠ وعن عيون الأثر ج٢ ص١٧٧.

قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «إنما كان ينبئ عنه لسانه».

وفي رواية: فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «لا ما في قلبه تعلم، ولا لسانه صدقت».

فقال: استغفر لي يا رسول الله.

فقال: «لا غفر الله لك».

فقام وهو يتلقى دموعه ببرديه. فما مضت سابعة حتى مات[1].

وفي حديث ابن إسحاق: فما لبث أن مات، فحفر له أصحابه، فأصبح وقد لفظته الأرض، ثم عادوا وحفروا له، فأصبح وقد لفظته الأرض إلى جنب قبره[2].

قال الحسن: لا أدري كم قال أصحاب رسول الله «صلى الله عليه وآله» كم دفناه، مرتين، أو ثلاثاً؟![3].

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٩٠ وقال في هامشه: ذكره السيوطي في الدر ج٢ ص٢٠١ وعزاه لابن أبي حاتم، والبيهقي في الدلائل، عن الحسن. وتاريخ الخميس ج٢ ص٧٦ والسيرة الحلبية ج٣ ص١٩٥ وراجع: مجمع الزوائد ج١ ص٢٧ والمفاريد عن رسول الله «صلى الله عليه وآله» ص٤٣ ومسند ابي يعلى ج٣ ص٩٢ والمعجم الكبير ج٢ ص١٧٧ وعن الدر المنثور ج٢ ص٢٠١ وراجع ص٢٠٢ وأسباب نزول الآيات ص١١٦.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٩١ وراجع: أسباب نزول الآيات ص١١٦ وأحكام القرآن للجصاص ج٢ ص٣٠٩ وعن الدر المنثور ج٢ ص٢٠١.

(٣) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٩١ وراجع: أسباب نزول الآيات ص١١٦ وعن الدر المنثور ج٢ ص٢٠١.

وفي حديث جندب، وقتادة: أما ذلك فوقع ثلاث مرات، كل ذلك لا تقبله الأرض، فجاؤوا رسول الله «صلى الله عليه وآله» فذكروا ذلك له، فقال: «إن الأرض تقبل من هو شر من صاحبكم، ولكن الله تعالى [يريد أن] يعظكم»، فأخذوا برجليه فألقوه في بعض الشعاب، وألقوا عليه الحجارة.

وسيأتي في غزوة حنين حكومته «صلى الله عليه وآله» بين عيينة بن حصن، والأقرع بن حابس في دم عامر بن الأضبط[1].

نقول:

إن لنا مع هذا الذي ذكروه وقفات، نذكرها في ضمن العناوين التالية:

توضيح لابد منه:

إن الذي يقرأ ما تقدم يحتاج إلى إضافات وتوضيحات تفيده في استكمال ملامح صورة ما جرى، فيحتاج إلى أن يقال له: إن تلك السرية تبدو وكأنها سرية استطلاعية للجيش الكبير المجتمع، الذي يريد التحرك نحو مقصد لم يفصح عنه قائده..

فإذا كانت السرية الاستطلاعية قد توجهت إلى هدف مَّا، فمن

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٢٣٤ و ٣٣٩ ج٦ ص١٩١ وتاريخ الخميس ج٢ ص٧٦ والسيرة الحلبية ج٣ ص١٩٥ والسنن الكبرى للبيهقي ج٩ ص١١٦ وعن أسد الغابة ج٢ ص٢٨٢ وج٤ ص٤١٣ وعن جامع البيان ج٥ ص٣٠١ وعن تفسير القرآن العظيم ج١ ص٥٥٢ وعن الدر المنثور ج٢ ص٢٠٠ وعن فتح القدير ج١ ص٥٠٢ وعن البداية والنهاية ج٤ ص٢٥٧ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٤٢٦ وأحكام القرآن للجصاص ج٢ ص٣٠٩ وتفسير الثعالبي ج٢ ص٢٨١.

الطبيعي أن يظن المراقب للأحداث أن الهدف هو التمهيد، ورصد الطرق والمسالك التي سيسلكها ذلك الجيش، أو يمر بالقرب منها. لكي لا تفاجئه كمائن العدو بهجمات قد تؤثر على تماسكه، وعلى معنوياته..

وربما يكون الهدف من السرايا الاستطلاعية هو تحديد الهدف الأقصى، الذي يراد تسديد الضربة القوية له..

هل كان أبو قتادة عالماً بهدف النبي ﷺ:

ويظهر من ثنايا النصوص التي نقلناها: أن أبا قتادة ومن معه ما كانوا يعلمون إلى أين سيتوجه النبي «صلى الله عليه وآله»..

ولذلك قال: فلما انتهوا إلى ذي خشب بلغهم: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد توجه إلى مكة، فلحقوا به.

وهذا معناه: أنه «صلى الله عليه وآله» قد مارس أقصى درجات الحيطة والحذر، حتى إن نفس سراياه كانوا لا يعلمون بالهدف الذي يريد توجيه الضربة إليه، ولا يعلمون بخطته الحربية، ولا بمقاصد تحركاته، حتى بعناوينها العامة..

وبذلك يكون قد أعطى درساً عملياً فيما يرتبط بالأسرار الحربية، على قاعدة ما روي عن أمير المؤمنين في قوله لأصحابه: «إن لكم عليَّ أن لا أخفي عنكم سراً إلا في حرب»[1].

---

(١) راجع: نهج البلاغة (بشرح عبده) ج٣ ص٧٩ والأمالي للشيخ الطوسي ص٢١٧ والبحار ج٣٣ ص٧٦ و ٤٦٩ وج٧٢ ص٣٥٤ ونهج السعادة ج٤ ص٢٢٩ وميزان الحكمة ج١ ص١٢٤ وشرح نهج البلاغة ج١٧ ص١٦ ووقعة صفين للمنقري ص١٠٧.

نصرت بالرعب:

قلنا في بعض المواضع من هذا الكتاب: إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» كان يريد أن يفتح مكة من دون إراقة محجمة من دم فيها، وذلك حفاظاً منه «صلى الله عليه وآله» على قدسية البيت الحرام، الذي يريده الله حرماً آمناً، حتى حين يتخطف الناس من حوله.

فكان أن انتهج سياسة تعرِّف أولئك الطغاة، بقوة الإسلام الحقيقية، وتزيل عن أعينهم غشاء الغرور والعنجهية، ليروا الحقائق على ما هي عليه، بعيداً عن التحجيم تارة، وعن التضخيم أخرى..

حتى إذا ا تضح لهم ذلك دب الرعب في قلوبهم، ولم يجدوا عن التراجع عن تلك المواقف المخزية محيصاً، وبذلك يتابع الإسلام مسيرته الظافرة، ويمارس حقه الطبيعي في الدعوة إلى الله تعالى.

وهذا بالذات هو ما عناه رسول الله «صلى الله عليه وآله» بقوله: «نصرت بالرعب».

وحين كان «صلى الله عليه وآله» من جهة أخرى يمارس أسلوب المفاجأة، فإنما كان يريد أن يظهر جانباً آخر من قوة الإسلام، من حيث أن أسلوب الحرب، وطبيعة الحركة فيها من شأنه أن يضيف المزيد من القدرات المؤثرة في إضعاف العدو، وفي هزيمته الروحية، وفي زيادة اندفاع القوات المهاجمة له، التي تريد تحقيق النصر عليه..

ولذلك بعث رسول الله «صلى الله عليه وآله» أبا قتادة في ثمانية نفر إلى بطن إضم، ليظن ظان أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» يفكر في التحرك بذلك الاتجاه. أو أنه يفكر في معالجة القضايا القريبة منه، وليس له همة فيما

هو أبعد من ذلك.

حتى إذا اطمأن العدو، وانصرف ليفكر في شأن آخر، باغته رسول الله «صلى الله عليه وآله» بجيش قد لا يجرؤ أو لا يقدر على مواجهته حتى وهو في أقصى درجات الاستعداد، فكيف يواجهه في حال الغفلة والاستنامة..

بل إنه حتى لو كان العدو ملتفتاً إلى حركة رسول الله «صلى الله عليه وآله» باتجاه مواقعه، فإن شعوره بأن النبي «صلى الله عليه وآله» قادر على فتح أكثر من جبهة في آن واحد، حتى لو كانت إحدى هذه الجبهات هي أعتى قوى الشرك في الحجاز كله، فإن ذلك سيفسح المجال لخياله ليسرح في آفاق القدرات التي توفرت لرسول الله «صلى الله عليه وآله»، الذي جُرِّبَتِ الحرب معه مرات ومرات، وخسرها كل من جربها.

ابن جثامة تلفظه الأرض:

وقد زعموا: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد رفض أن يستغفر لابن جثامة وأن الأرض قد لفظته.

ونقول:

إننا نتحفظ على قولهم هذا:

فأولاً: قد قيل: إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد استغفر له بعد دعائه عليه[1].

ثانياً: إن ابن جثامة قد مات بحمص أيام ابن الزبير[2].

---

(١) السيرة الحلبية ج٣ ص١٩٥.

(٢) السيرة الحلبية ج٣ ص١٩٥.

ثالثاً: إنهم يقولون: إن رجلاً لفظته الأرض اسمه فليت[1]. فلعلهم استعاروا هذه الحادثة من ذلك الرجل واتحفوا بها ابن جثامة لأسباب لا يهمنا التعرف عليها.

رابعاً: لماذا يستغفر النبي «صلى الله عليه وآله» لأسامة، كما يدعون، ويرفض أن يستغفر لابن جثامة؟!

ما معنى أن يطلب «صلى الله عليه وآله» من الله أن لا يغفر لابن جثامة، الذي كان يبكي، ويظهر الندامة، مع أن الله قد أرسله رحمة للعالمين. ومع أنه قد كان يمكنه أن يجري عليه الأحكام الشرعية التي تتعلق بالقاتل، إن وجده مداناً فيما أقدم عليه.

ثم إن الله هو الذي يتولى حسابه على نواياه، إن كان صادقاً في توبته، أو غير صادق فيها.

ملاحظة أخيرة:

ويلاحظ هنا: أن هذه القصة تشبه في عناصرها، وسياقاتها قصة أسامة بن زيد، التي تقدم الحديث عنها في الجزء السابق من هذا الكتاب.

فكيف لم يتعظ محلم بن جثامة بما جرى لأسامة؟!

وهل يمكن أن نعتبر أن الشدة التي أظهرها النبي الكريم «صلى الله عليه وآله» على محلم بن جثامة، ترجع إلى أن ما جرى لأسامة كان يجب أن يردع ابن جثامة وغيره عن ارتكاب نفس المخالفة، فضلاً عن أن يقدم نفس العذر.

---

(١) راجع: سبل الهدى والرشاد ج١٠ ص٢٢٢ عن الروض الأنف.

سرية واحدة أم سريتان؟!:

قد أورد الواقدي سرية أبي قتادة إلى خضرة، وابن أبي حدرد إلى الغابة في سياق واحد، معتبراً إياهما سرية واحدة..

لكنه في السيرة الحلبية جعلهما سريتين.

ونحن لا نريد أن نبذل المزيد من الجهد في تحقيق ذلك، ولاسيما بملاحظة ما يرد على كثير من المواضع فيهما من الإشكالات التي تزيد في وهنهما، وإبعادهما عن درجة الاعتماد..

غير أن لنا الحق في أن نقدم تصوراً لما جرى، ربما يكون قادراً على حل الإشكال فيما يرتبط بوحدة القضية أو تعددها.. وهو: أن يكون ابن أبي حدرد ورجلان آخران قد كلفوا بمهمة قتل رفاعة بن قيس، فوافق ذلك مسير أبي قتادة، فضمهم إليه.. فأنجز ابن أبي حدرد ما كلفه به الرسول، في طريق الذهاب أو العودة، وشارك في سرية أبي قتادة، فأصاب ما أصاب من الغنائم في السريتين.. ولأجل ذلك آثرنا الفصل بينهما، وكأنهما سريتان مستقلتان.

ولكن المهم هو إثبات أصل وجود كثير من هذه السرايا، ومنها سرية أبي قتادة، وسرية قتل ابن أبي حدرد لرفاعة.. فضلاً عن لزوم إثبات توافق المواقع والمواضع التي يقيم فيها هؤلاء وأولئك، وإمكانية الإلتقاء في طرقها ومسالكها.

إذ لو كانت هذه القبيلة أو الموقع في الشرق، وذاك في الغرب، فإن هذا التصور يسقط عن الاعتبار.

غير أن علينا هنا أن نذكر ما ذكروه، ثم نشير إلى مواضع النظر فيما

زعموه، فنقول:

إننا نورد النصوص التي تتحدث عن هذه القضية وتلك أولاً، ثم نعقب عليها بما يقتضيه المقام.. فلاحظ ما يلي:

سرية أبي قتادة إلى خضرة:

عن عبد الله بن أبي حدرد الأسلمي قال: تزوجت ابنة سراقة بن حارثة النجاري وقد قتل ببدر، فلم أصب شيئاً من الدنيا كان أحب إلي من نكاحها، وأصدقتها مائتي درهم، فلم أجد شيئاً أسوقه إليها، فقلت: على الله تعالى ورسوله «صلى الله عليه وآله» المعول.

فجئت رسول الله «صلى الله عليه وآله» فأخبرته، فقال: «كم سقت إليها»؟

فقلت: مائتي درهم يا رسول الله.

فقال: «سبحان الله، والله لو كنتم تغترفونه من ناحية بطحان ـ وفي رواية ـ «لو كنتم تغترفون الدراهم من واديكم هذا ما زدتم».

فقلت: يا رسول الله أعنِّي على صداقها.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «ما وافقت عندنا شيئاً أعينك به، ولكن قد أجمعت أن أبعث أبا قتادة في أربعة عشر رجلاً في سرية، فهل لك أن تخرج فيها؟ فإني أرجو أن يغنمك الله مهر امرأتك.

فقلت: نعم[1].

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٨٥ عن ابن إسحاق، وأحمد والواقدي وقال في هامشه: أخرجه أحمد في المسند ج٣ ص٤٤٨ والبيهقي في السنن ج٧ ص٢٣٥ =

وفي حديث محمد بن عمر، وأحمد. واللفظ للأول: فخرجنا، ومعنا سلاحنا من النبل والسيوف، فكنا ستة عشر رجلاً بأبي قتادة، وهو أميرنا. فبعثنا رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى غطفان نحو نجد.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «سيروا الليل، واكمنوا النهار، وشنوا الغارة، ولا تقتلوا النساء والصبيان».

قال: فخرجنا حتى جئنا ناحية غطفان(١).

وفي حديث أحمد: فخرجنا حتى جئنا الحاضر ممسين، فلما ذهبت فحمة العشاء، قال محمد بن عمر، قال: وخطبنا أبو قتادة، وأوصانا بتقوى الله تعالى. وألَّف بين كل رجلين، وقال:

«لا يفارق كل رجل زميله حتى يقتل أو يرجع إلي فيخبرني خبره، ولا يأتين رجل فأسأله عن صاحبه، فيقول: لا علم لي به، وإذا كبرت فكبروا، وإذا حملت فاحملوا، ولا تمعنوا في الطلب».

فأحطنا بالحاضر، فسمعت رجلاً يصرخ: يا خضرة، فتفاءلت وقلت: لأصيبن خيراً، ولأجمعن إلي امرأتي، وقد أتيناهم ليلاً.

قال: فجرد أبو قتادة سيفه وكبر، وجردنا سيوفنا وكبرنا معه، فشددنا

= والحاكم في المستدرك ج٢ ص١٧٨ وذكره الهيثمي في المجمع ج٤ ص٢٨٢ والمغازي للواقدي ج٢ ص٧٧٧ و ٧٧٨ والسيرة الحلبية ج٣ ص١٩٤ وعن مسند أحمد (ط دار صادر) ج٦ ص١١ ومجمع الزوائد (ط دار الكتب العلمية) ج٦ ص٢٠٦ وتاريخ مدينة دمشق ج٢٧ ص٣٤١.

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٨٥ عن ابن إسحاق، وأحمد والواقدي وراجع: المغازي للواقدي ج٢ ص٧٧٨ والسيرة الحلبية ج٣ ص١٩٣.

على الحاضر وقاتلنا رجالاً، وإذا أنا برجل طويل قد جرد سيفه وهو يمشي القهقري، مرة يقبل علي بوجهه، ومرة يدبر عني بوجهه، كأنه يريد أن يستطردني فأتبعه، ثم يقول: يا مسلم، هلم إلى الجنة فأتبعه.

ثم قال: إن صاحبكم لذو مكيدة، أمره هذا الأمر. وهو يقول: الجنة الجنة. يتهكم بنا.

فعرفت أنه مستقتل، فخرجت في أثره، وناديت: أين صاحبي؟

فقال: لا تبعد، فقد نهانا أميرنا عن أن نمعن في الطلب، فأدركته، وملت عليه فقتلته، وأخذت سيفه.

وقد جعل زميلي يناديني أين تذهب؟ إني والله إن ذهبت إلى أبي قتادة فسألني عنك أخبرته.

قال: فلقيته قبل أبي قتادة.

فقلت: أسأل الأمير عني؟

قال: نعم، وقد تغيظ علي وعليك.

وأخبرني أنهم قد جمعوا الغنائم، وقتلوا من أشرافهم.

فجئت أبا قتادة فلامني، فقلت: قتلت رجلاً كان من أمره كذا وكذا، وأخبرته بقوله كله.

ثم سقنا النعم، وحملنا النساء وجفون السيوف معلقة بالأقتاب، فأصبحت وبعيري مقطور بامرأة كأنها ظبي. فجعلت تكثر الالتفات خلفها وتبكي، فقلت: إلى أي شيء تنظرين؟

قالت: أنظر والله إلى رجل لئن كان حياً لاستنقذنا منكم.

فوقع في نفسي أنه هو الذي قتلت.

فقلت: قد والله قتلته، وهذا والله سيفه معلق بالقتب.

قالت: فألق إلي غمده.

فقلت: هذا غمد سيفه.

قالت: فشِمْه إن كنت صادقاً.

قال: فشِمْته فطبق.

قال: فبكت، ويئست[١].

وعن ابن عمر قال: بعث رسول الله «صلى الله عليه وآله» سرية قبل نجد، فخرجت فيها، فغنمنا إبلاً وغنماً كثيرة، فبلغت سهماننا اثني عشر بعيراً، فنفلنا أميرنا بعيراً بعيراً كل إنسان، ثم قدمنا على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فقسم علينا غنيمتنا، فأصاب كل رجل منا اثنا عشر بعيراً بعد الخمس، وما حاسبنا رسول الله «صلى الله عليه وآله» بالذي أعطانا صاحبنا، ولا عاب عليه ما صنع[٢].

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٨٥ و ١٨٦ عن أحمد والسيرة الحلبية ج٣ ص١٩٤ والمغازي للواقدي ج٢ ص٧٧٨ و ٧٧٩ وعن مسند أحمد ج٦ ص١١ و ١٢ ومجمع الزوائد ج٦ ص٢٠٦ و ٢٠٧ وعن عون المعبود ج٤ ص٥٩ و ٦٠ وتاريخ مدينة دمشق ج٢٧ ص٣٤١.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٨٧ والمجموع ج١٩ ص٣٨٣ ونيل الأوطار ج٨ ص١٠٨ والسنن الكبرى للبيهقي ج٦ ص٣١٢ والمصنف للصنعاني ج٥ ص١٩٠ وراجع صحيح ابن حبان ج١١ ص١٦٤ والمعجم الأوسط ج٥ ص١٥٥ والمعجم الكبير ج١٢ ص٢٩٤ والجامع لأحكام القرآن ج٧ ص٣٦٢ وعن الدر المنثور ج٣ ص١٦٠ والطبقات الكبرى ج٤ ص١٤٦ وعن البداية والنهاية ج٤ ص٢٧٤ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٤٥٤.

وفي رواية: نفلنا رسول الله «صلى الله عليه وآله» بعيراً بعيراً، فكان لكل إنسان ثلاثة عشر بعيراً[1].

قال عبد الله بن أبي حدرد: فأتينا رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وجئت برأس رفاعة أحمله معي، فأعطاني رسول الله «صلى الله عليه وآله» من تلك الإبل ثلاثة عشرة بعيراً، فدخلت بزوجتي، ورزقني الله خيراً كثيراً[2].

وعند محمد بن عمر، عن جعفر بن عمر: وقالوا: غابوا خمس عشرة ليلة، وجاؤوا بمائتي بعير، وألف شاة، وسبوا سبياً كثيراً، وجمعوا الغنائم،

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٨٧ عن أحمد، والبخاري، ومسلم، وأبي داود وقال في هامشه: أخرجه البخاري ج٧ ص٦٥٣ كتاب المغازي وصحيح مسلم ج٣ ص٣٦٨ وأحمد في المسند ج٢ ص١٠ ـ ٦٢ وراجع: المغازي للواقدي ج٢ ص٧٧٩ و ٧٨٠ وتاريخ الخميس ج٢ ص٧٦ والمغني ج١ ص٤١٧ والشرح الكبير ج١٠ ص٧٤١ ونيل الأوطار ج٨ ص١٠٨ و ١٠٩ وسنن أبي داود ج١ ص٦٢٣ والسنن الكبرى ج٦ ص٣١٢ وعن فتح الباري ج٦ ص١٦٩ وعن عون المعبود ج٧ ص٢٩٨ والمصنف لابن أبي شيبة ج٨ ص٥١٨ ومسند الشاميين ج٤ ص١٤٢ وكنز العمال ج٤ ص٥٣٦ والجامع لأحكام القرآن ج٧ ص٣٦٢ وعن البداية والنهاية ج٤ ص٢٧٤ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٤٥٤.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٨٧ وتاريخ الخميس ج٢ ص٧٦ و ٧٧ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٤٢٣ وعن البداية والنهاية ج٤ ص٢٥٥ وعن أسد الغابة ج٣ ص٣٣٥ وعن السيرة النبوية لابن هشام ج٤ ص١٠٤٦ وعن عيون الأثر ج٢ ص١٨٠.

فأخرجوا الخمس، فعزلوه، وعُدِل البعير بعشر من الغنم[١].

قال الدياربكري: فقتل من أشرافهم، وسبى سبياً كثيراً، واستاق النعم، فكانت الأبل مائتي بعير، والغنم ألفي شاة، وكانت غيبته خمس عشرة ليلة[٢].

ونقول:

المهور الغالية:

والذي لا مجال للإغماض عنه: هو أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد استكثر المهر الذي أعطاه ابن أبي حدرد لزوجته، ووجه له ما يشبه اللوم لمجرد أنه أصدق زوجته ماءتي درهم..

ونقول:

١ ـ إن النبي نفسه «صلى الله عليه وآله» قد أصدق زوجاته ـ كما يقول هؤلاء أنفسهم ـ ضعف هذا المبلغ أو أزيد من ذلك.. فلماذا يعترض على غيره في أمر هو قد سنه للناس؟! وللناس في رسول الله «صلى الله عليه وآله» أسوة حسنة..

٢ ـ على أن ما يزعم أنه قد قاله لابن أبي حدرد: «لو كنتم تغترفون الدراهم من واديكم هذا ما زدتم»، غير ظاهر الوجه على المستوى العملي، فإن عمر بن الخطاب قد أمهر زوجته أم كلثوم أربعين ألف درهم، أو عشرة

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٨٧ والمغازي للواقدي ج٢ ص٧٨٠.

(٢) تاريخ الخميس ج٢ ص٧٦ والطبقات الكبرى ج٢ ص١٣٢ وعن عيون الأثر ج٢ ص١٧٦ وتاريخ مدينة دمشق ج٦٧ ص١٤٩.

آلاف دينار، أو أربعين ألف دينار[1].

ثم زادت المهور، وتنامت حتى بلغت مئات الألوف والملايين.

---

(١) راجع: تاريخ اليعقوبي ج٢ ص١٤٩ و١٥٠ وراجع: جواهر الكلام ج٣١ ص١٥ والمبسوط للشيخ الطوسي والسرائر ج٣ ص٦٣٧ ط جماعة المدرسين والوسائل ط مؤسسة آل البيت ج٢١ باب ٩ من أبواب المهور والفتوحات الإسلامية ج٢ ص٤٥٥ و٤٥٦ وأسد الغابة ج٥ ص٦١٥ والذرية الطاهرة للدولابي ص١٦٠ والإصابةج٤ ص٤٩٢ والبداية والنهاية ج٧ ص١٥٦ وج٥ ص٣٣٠ وميزان الإعتدال ج٢ص٤٢٥ والدر المنثور ص٦٢ وتاريخ الإسلام للذهبي عهد الخلفاء الراشدين ص١٦٦ والإستيعاب (بهامش الإصابة) ج٤ ص٤٩١ والطبقات الكبرى لابن سعد (ط دار التحرير) ج٨ ص٣٤٠ و (ط دار صادر) ص٤٦٤ وسير أعلام النبلاء ج٣ ص٥٠١ وكنز العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج١٣ ص٦٢٥ عن ابن سعد، والبيهقي في السنن، وابن أبي شيبة، وابن عساكر، وابن عدي في الكامل، وتاريخ الأمم والملوك ج٣ ص٢٧٠ (ط مطبعة الإستقامة) والكامل في التاريخ ج٣ ص٥٤ ونساء أهل البيت لخليل جمعة ج١ ص٦٦٠ والمجموع ج١٦ ص٣٢٧ وذخائر العقبى ص١٧٠ عن أبي عمر، والدولابي، وابن السمان، وإفحام الأعداء والخصوم ص١٦٥ ومختصر تاريخ دمشق لابن منظور ج٤ ص٢٧٠ وج٩ ص١٦١ والمصنف لابن أبي شيبة ج٣ ص٣١٩ وشرح النهج للمعتزلي ج١٢ ص٢٢٧ وعيون الأخبار لابن قتيبة ج٤ ص٧١ وعمدة القاري ج٢٠ ص١٣٧ وحياة الحيوان ج١ ص٤٩٤ وسيرة ابن إسحاق ص٢٤٩ ومختصر تاريخ دمشق ج٩ ص١٦١ وتهذيب تاريخ دمشق ج٦ ص٢٨ وراجع: تاريخ عمر بن الخطاب ص٢٦٧ ونهاية الأرب ج١٩ ص٣٩١ والسيدة زينب لحسن قاسم ص٦٤ ونظام الحكومة النبوية (التراتيب الإدارية) ج٢ ص٤٠٥ عن المختار الكنتي في الأجوبة المهمة، نقلاً عن الحافظ الدميري.

وحديث زواج بوران بنت الفضل بن سهل بالمأمون، وما أنفق في زفافها، وما جُعِل نحلة لها، مما لا يجهله أي مطلع على كتب التاريخ[1].

٣ ـ قد أحل الله سبحانه أن يعطي الرجل للمرأة من المهر ما شاء. وإن كان يستحب تقليل المهر.. ولكن لا يلام ولا يجبه من لم يعمل بالمستحب..

٤ ـ إن مقدار المهر وخصوصياته قد تفرضه ظروف خارجة عن اختيار الزوج، وقد يكون منها رغبة الزوجة، أو رغبة أهلها بتكثير المهر لأسباب خاصة بهم.. فلا يستحق الزوج هذا التأنيب أو اللوم، إلا إذا ثبت أنه هو قد بادر إلى ذلك على سبيل المباهاة، أو الشطط..

تبييت العدو:

وقد ذكرت تلك الرواية: أن المسلمين أغاروا على القوم ليلاً.. مع أنه قد تقدم: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» ما بيت عدواً ليلاً..

فإذا كان هو لم يفعل ذلك تنزهاً عنه، فهل يسمح به لسراياه وبعوثه؟!

الغنائم والأسرى:

والذي يثير الشبهة أيضاً هذه الغنائم الكثيرة، التي بلغت ألفي شاة، وماءتي بعير، بل أكثر، بالإضافة إلى الأسرى والسبايا، هو أن الغانمين كانوا ستة عشر رجلاً فقط.. فكيف استطاعوا أن يحافظوا عل كل هذه الغنائم، وكل هذا السبي من محاولات أصحابها، استرجاعها، أو اقتطاع جزء أو أجزاء منها، من أي جهة أرادوا..

---

(١) الدر المنثور في طبقات ربات الخدور ص ١٠٢ و ١٠٣.

فإن ستة عشر رجلاً إذا تفرقوا حول ذلك الحشد العظيم من الغنائم وغيرها، وصاروا أفراداً متباعدين حولها، فإن هجوم أي جماعة من أية جهة كانت، سوف يكون ناجحاً في استعادة ذلك السلب والسبايا، أو في استعادة كثير منه.

علماً بأن كثرة هذه الإبل والغنم، إن لم تكن تشير إلى كثرة المالكين لها، فإن مجرد كونهم من قبائل غطفان يكفي على هذه الكثرة فيهم، ومعها الجرأة أيضاً..

فقد عرفنا: أن عيينة بن حصن الغطفاني كان يتحرك في المنطقة كلها من منطلق كونه قوة رئيسة فيها، حتى لقد كان المناوئون للإسلام يعرضون عليه أثماناً باهظة جداً، إذا نصرهم بالألوف من الغطفانيين الذين كانوا تحت أمره وبأمرته.

إذن.. فكيف يمكن أن نتصور ستة عشر رجلاً يغيرون على غطفان، وهي في بلاد بعيدة عن المدينة ـ حتى لقد غاب المسلمون في سريتهم إليها خمس عشرة ليلة ـ ثم يأخذون سبايا وغنائم بهذا الحجم العظيم، ولا يبادر الأهل والأصحاب، وأهل النجدة من تلك القبيلة لنجدة من حل بهم المصاب؟! واسترجاع كل أو بعض ما أخذ من سبايا، وأسلاب؟! خصوصاً مع طول المسير، وليس للمغيرين ظهير ولا مجير، ولا محام ولا نصير!!

الإحاطة بالحاضر:

وإذا كانت الغنائم والسبايا بهذه الكثرة، فإن الدائرة التي يكون فيها الحاضر متسعة، فكيف أحاط ستة عشر رجلاً بهم فيها؟! وكيف تعرَّف بعضهم على بعض؟.. وكيف؟.. وكيف؟..

يرى وجه مهاجمه في ظلام الليل:

وقد صرحت الروايات المتقدمة: بأن هجوم أبي قتادة ومن معه كان ليلاً، بعد ان ذهبت فحمة العشاء، (أي ذهب إقباله وأول سواده[1]).. فكيف رأى ابن أبي حدرد الرجل الطويل، وقد جرد سيفه؟! وكيف رآه يمشي القهقري، ومرة يقبل عليه بوجهه، ومرة يدبر عنه بوجهه؟!

افتراق الزميلين:

وإذا كان هو قد طارد ذلك الرجل الطويل، وترك صاحبه، فلماذا يتركه صاحبه؟! أو لماذا يترك هو صاحبه؟! وإذا كان يراه يذهب كما تقول الراوية، فلماذا لم يلحق به؟!

الغنائم تحل المشكلات:

ثم إننا لا نستطيع أن نتجاهل ذلك الإنطباع غير المحمود، الذي تتركه الطريقة التي يزعمون أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد عالج بها مشكلة ابن أبي حدرد، من حيث أنه اعتمد في ذلك على الغنائم التي سوف تحصل عليها تلك السرية، وكأن همه «صلى الله عليه وآله» منصرف إلى حل المشكلات بهذا الأسلوب.. وكأن سراياه كانت سرايا تحصيل أموال، وحصول على سبايا وغنائم..

---

(١) السيرة الحلبية ج٣ ص١٩٤ وكنز العمال ج١ ص٣٤٠١ وعون المعبود ج٧ ص١٨٩ وشرح سنن النسائي للسيوطي ج١ ص٢٨٧ والنهاية في غريب الحديث ج٣ ص٤١٧ ولسان العرب ج٢ ص٤٤٨.

ونحن لا نشك في عدم صحة ذلك، وأنه لا يمكن أن يكون ذلك محط اهتمامات رسول «صلى الله عليه وآله»، ولا هو مما يرتكز إليه في وعوده المالية.. بل كان همه «صلى الله عليه وآله» هو الدعوة إلى الله. وتحصين المسلمين، وحفظهم من كيد اعدائهم، والمتربصين بهم..

وعد آخر بسبية متوقعة:

هذا وقد رووا عن عبد الله بن أبي حدرد: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» كان قد وعد محمية بن جزء الزبيدي بجارية من أول فيء يفيء الله به. فلما رجع أبو قتادة بالغنائم والسبي التي أخذها من غطفان، في أرض محارب، جاء محمية بن جزء إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» وقال: يا رسول الله، إن أبا قتادة قد اصاب جارية وضيئة، وقد كنت وعدتني جارية من أول فيء يفيء الله به عليك.

فأرسل رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى أبي قتادة، وقال: هب لي الجارية، فوهبها له، فأخذها ودفعها إلى محمية بن جزء[1].

ونقول:

١ ـ لماذا يطلب النبي «صلى الله عليه وآله» من أبي قتادة أن يهبه الجارية، ولا يطلب منه أن يبيعها له؟! أليس ذلك هو الأنسب، من حيث أنه لا تبقى

---

(١) راجع: السيرة الحلبية ج٣ ص١٩٣ وسبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٨٧ والمغازي للواقدي ج٢ ص٧٨٠ وتاريخ الخميس ج٢ ص ٧٦ وراجع: الطبقات الكبرى لابن سعد ج٢ ص١٣٣ وتاريخ مدينة دمشق ج٦٧ ص١٤٩ وعن الإصابة ج٦ ص٣٧ والأعلام للزركلي ج٧ ص١٨٩ وعن عيون الأثر ج٢ ص١٧٦.

لأحد منة على رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟! وهو الأولى، من حيث تأكيد اليقين بطيب نفسه عن تلك الجارية الوضيئة، والرضا بالمال الذي يحصل عليه كثمن لها؟!

٢ ـ لماذا اختار ذلك الرجل الموعود خصوص جارية أبي قتادة الوضيئة، ولم يختر سواها؟!

أو فقل: لماذا يفسح المجال لذلك الشخص ليعيِّن هو هذه الجارية أو تلك؟ ولماذا لا يكتفي بمجرد مطالبة النبي «صلى الله عليه وآله» بالوفاء بوعده، باستخلاص أية جارية كانت من صاحبها، لكي يعطيه إياها؟

٣ ـ ألم يكن لرسول الله «صلى الله عليه وآله» الصفى من المغانم؟ أليس كان من الطبيعي أن تكون الجارية الوضيئة التي قد يثور حولها خلاف حين الاقتسام، هي الصفى لرسول الله «صلى الله عليه وآله»، لينقطع بذلك دابر الخلاف فيها، ويزول الاحساس بالغبن، والتحاسد لدى سائر المقاتلين الذين لم تكن تلك الجارية من نصيبهم؟!

٤ ـ إن ما يستوقفنا هنا أيضاً: أن غطفان لم تحاول اللحاق بأولئك الذين قتلوا رجالها، وسبوا نساءها، واستاقوا نعمها وشاءها، وهم خمسة عشر رجلاً فقط، مع أن مسيرهم طويل، وليس فيهم من يخشاه فوارس غطفان، الذين كانوا يعدون بالمئات والألوف..

سرية ابن أبي حدرد إلى الغابة:

وفي هذه السنة كانت سرية عبد الله بن أبي حدرد الأسلمي أيضاً، ومعه رجلان إلى الغابة، لما بلغه «صلى الله عليه وآله» أن رفاعة بن قيس يجمع

لحربه، فذهب الرجال الثلاثة إلى رفاعة فقتلوه وهزموا عسكره، وغنموا غنيمة عظيمة. حكاه مغلطاي[1].

وعن عبد الله بن أبي حدرد أنه قال: أقبل رجل اسمه رفاعة بن قيس، أو قيس بن رفاعة في بطن عظيم من بني جشم، حتى نزل بقومه، وبمن معه الغابة، يريد أن يجمع قيساً على حرب رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وكان ذا اسم وشرف في جشم.

فدعاني رسول الله «صلى الله عليه وآله» ورجلين من المسلمين فقال: «أخرجوا إلى هذا الرجل، حتى تأتوني منه بخبر وعلم».

وقدم لنا شارفاً عجفاء، يحمل عليها أحدنا، فوالله ما قامت به ضعفاً، حتى دعمها الرجال من خلفها بأيديهم، حتى استقلت، وما كادت. ثم قال: «تبلغوا عليها واعتبقوها»[2].

قال عبد الله بن أبي حدرد: فخرجنا، ومعنا سلاحنا من النبل والسيوف، حتى إذا جئنا قريباً من الحاضر (عشيشية)، مع غروب الشمس، كمنت في

---

(١) راجع: كتاب المحبر ص١٢٣ وعن أسد الغابة ج٣ ص٣٣٤ وعن تاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٣١٧ وسبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٨٥ وعن البداية والنهاية ج٤ ص٢٥٤ وعن السيرة النبوية لابم هشام ج٤ ص١٠٦٤ وعن عيون الأثر ج٢ ص١٧٩ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٤٢٢ وعن زاد المعاد ج١ ص١١١٩.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٨٦ وتاريخ الخميس ج٢ ص٧٦ والسيرة الحلبية ج٣ ص١٩٤ وعن السيرة النبوية لابن هشام ج٤ ص١٠٤٦ وعن عيون الأثر ج٢ ص١٧٩ وعن تاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٣١٧ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٤٢٢.

ناحية، وأمرت صاحبي فكمنا في ناحية أخرى من حاضر القوم، وقلت لهما: إذا سمعتماني قد كبرت وشددت في ناحية العسكر، فكبرا، وشدا معي.

قال: فوالله إنا لكذلك ننتظر غرة القوم، أو أن نصيب منهم شيئاً، غشينا الليل، فذهبت فحمة العشاء، وكان راعيهم قد أبطأ عليهم حتى تخوفوا عليه. فقام صاحبهم رفاعة بن قيس، أو قيس بن رفاعة. فأخذ سيفه، فجعله في عنقه، ثم قال: والله لأتبعن أثر راعينا هذا، فلقد أصابه شر.

فقال بعض من معه: نحن نكفيك فلا تذهب.

فقال: والله لا يذهب إلا أنا.

فقالوا: ونحن معك.

قال: والله لا يتبعني أحد منكم. وخرج حتى مر بي، فلما أمكنني نفحته بسهم، فوضعته في فؤاده، فوالله ما تكلم، ووثبت إليه، فاحتززت رأسه، وشددت في ناحية العسكر، وكبرت، وشد صاحباي وكبرا.

فوالله ما كان إلا النجاء ممن فيه: عندك، عندك. بكل ما قدروا عليه من نسائهم وأبنائهم، وما خف معهم من أموالهم، واستقنا إبلاً عظيمة، وغنماً كثيرة[1].

ثم ذكر أنه جاء بالغنيمة إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فأعانه منها بثلاثة عشر بعيراً.

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٨٧ وتاريخ الخميس ج٢ ص٧٦ والسيرة الحلبية ج٣ ص١٩٤ وعن البداية والنهاية ج٢ ص٢٥٤ وعن السيرة النبوية لابن هشام ج٤ ص١٠٤٦ وعن عيون الأثر ج٢ ص١٧٩ وعن تاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٣١٧ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٤٢٢ وعن زاد المعاد ج١ ص١١١٩.

ونقول:

إن أكثر المفردات التي وردت في هذه السرية قد جاءت في غير السياق الطبيعي، فلاحظ على سبيل المثال ما يلي:

١ ـ إن راوي هذه الأحداث هو ابن أبي حدرد نفسه، وهو يدعي أنه حقق بطولات نادرة، من شأنها أن تصبح حديث النوادي، للحاضر، وللبادي، وأن يحتفي الناس ببطلها وبمساعديه، ويصبح الرجل المقدم على الأقران، وأن نسمع الثناء عليه وعليهم من كل شفة ولسان، حتى من رسول الله «صلى الله عليه وآله»، في ذلك الوقت، وفي كل عصر وزمان..

ولكن كل ذلك لم يكن..

٢ ـ إذا كان هناك جمع عظيم مجموع، ومستعد لحرب رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وقد هزمه ثلاثة أشخاص فقط، فإن المتوقع من هذا الجمع العظيم، أن يعيد الكرة على مهاجميه، بعد أن يعود إليه صوابه، وأن يلاحق الذين استاقوا الأبل والشاء، وأن يراقب حركتهم، ويسعى إلى الانتقام لنفسه، ويستعيد كرامته، ويستنقذ شرفه.

ولكن كل ذلك لم يكن أيضاً.

٣ ـ إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» إنما أرسل ابن أبي حدرد ورفيقيه في مهمة محددة، وهي أن يأتوا من رفاعة بن قيس بخبر، فما معنى أن يشنوا الغارة عليه، ويقتلوه، ولم يأمرهم رسول الله «صلى الله عليه وآله» بذلك..

٤ ـ ما معنى أن يعطيهم رسول الله «صلى الله عليه وآله» في مهمتهم تلك التي تحتاج إلى النشاط والحركة السريعة، لكونها مهمة استطلاع شارفاً

واحداً؟. ثم أن تكون هذه الشارف عجفاء، أي لم تستطع أن تقوم بواحد منهم لشدة ضعفها[1].

٥ ـ لماذا أصر رفاعة على الخروج في طلب الراعي، ولم يوكل ذلك إلى بعض قومه؟! ثم لماذا أصر أن يكون وحده؟! فهل كان غاضباً من قومه، لائماً لهم على تقصيرهم؟!.

أم أن على الرئيس أن يتولى أمر تفقد رعاته، وأن يبحث عنهم بنفسه؟!

٦ ـ لماذا حمل رأس قيس بن رفاعة معه إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟! وهل جرت عادة السرايا أن يأتوا برؤوس الناس إليه «صلى الله عليه وآله»؟!

وما الذي قاله له رسول الله «صلى الله عليه وآله» في ذلك؟! هل قبله منه؟ أم اعترض عليه؟! أم سكت عنه؟!.

٧ ـ من هو الذي جمع هذا الجمع العظيم؟! هل هو قيس بن رفاعة؟ أم هو رفاعة بن قيس؟!..

وهل يكون مثلاً من يستطيع أن يجمع هذا الجمع نكرة ومجهولاً إلى هذا الحد؟!

٨ ـ لماذا لم يذكر الرواة لنا عن هؤلاء الذين جمعهم رفاعة بن قيس شيئاً، فلم تعرف قبائلهم، ولا عرفنا أحداً من الشخصيات التي كانت

---

(١) السيرة الحلبية ج٣ ص١٩٤ وعن البداية والنهاية ج٢ ص٢٥٤ وعن السيرة النبوية لابن هشام ج٤ ص١٠٤٦ وعن عيون الأثر ج٢ ص١٧٩ وعن تاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٣١٧ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٤٢٢ وسبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٨٥.

معهم، أو في جملة قياداتهم..

٩ ـ قد ذكروا: أن ابن أبي حدرد زعم: أنه طلب من النبي«صلى الله عليه وآله» أن يعينه في مهر زوجته، فأرسله في هذه السرية، وأعانه «صلى الله عليه وآله» بثلاثة عشر بعيراً في صداق زوجته[1].

ثم ذكروا: أنه حين طلب منه «صلى الله عليه وآله» المعونة في ذلك: أرسله مع أبي قتادة في سرية فحصل على ما أراد، فقد روي عن ابن أبي حدرد نفسه أنه قال:

«لما طلبت منه «صلى الله عليه وآله» الإعانة في مهر زوجتي. قال لي: ما وافقت عندنا شيئاً أعينك به، ولكن قد أجمعت أن أبعث ابا قتادة في أربعة عشر رجلاً في سرية، فهل لك أن تخرج فيها».

ثم ذكر خروجه معهم، وأنه قتل ذلك الرجل الذي صار يتهكم به، وأنه رأى في السبي إمرأة كأنها ظبي، تبين له أنها هي صاحبة ذلك الرجل الذي كان قد قتله، فراجع[2].

ويلاحظ: أن ثمة تشابهاً في مقدار الغنيمة، بين هذه السرية والسرية التي قبلها، فحصته كانت في كل واحدة منها ثلاثة عشر بعيراً.

---

(١) السيرة الحلبية ج٣ ص١٩٤ والمستدرك للحاكم ج٢ ص١٧٨ والسنن الكبرى ج٧ ص٢٣٥ ومجمع الزوائد ج٤ ص٢٨٢ وعن المصنف لابن أبي شيبة ج٣ ص٣١٩ وبغية الباحث ص١٥٨ والمعجم الكبير ج٢٢ ص٣٥٢ وعن فيض القدير ج٥ ص٤٢١ والطبقات الكبرى لابن سعد ج٤ ص٣١٠ وعن أسد الغابة ج٥ ص١٦٩ وسبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٨٧.

(٢) السيرة الحلبية ج٣ ص١٩٤ وسبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٨٥.

سرية أبي عبيدة إلى سيف البحر:

وكانت سرية أبي عبيدة إلى سيف البحر، ليرصدوا عيراً لقريش[١]. في شهررجب في السنة الثامنة للهجرة، وذلك بعد أن نكثت قريش العهد وقبل الفتح[٢].

قال بعضهم: وكان النكث ـ كما زعم هؤلاء ـ في شهر رمضان[٣].

ولعل الأمر قد اشتبه عليه، فإن الفتح كان في شهر رمضان، أما النكث فكان قبل ذلك.

ولعله أراد أن يكتب أن الفتح كان في شهر رمضان، فكتب بدل ذلك، أن النكث كان فيه.

وعند ابن سعد: أن هذه السرية كانت في سنة ست أو قبلها، قبل الحديبية[٤].

---

(١) راجع: السيرة الحلبية ج٣ ص١٩١ وعن البداية والنهاية ج٤ ص٣١٤ و ٣١٥ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٥٢٢ وعن صحيح البخاري (ط دار العامرة ـ إستانبول) ج٦ ص٢٢٤ وعن صحيح مسلم ج٦ ص٦٢ ومسند الحميدي ج٢ ص٥٢١ ومسند أبي يعلى ج٢ ص٤٥٧ وصحيح ابن حبان ج١٢ ص٦٣ وسبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٧٦ والبحار ج٢١ ص٦٤.

(٢) تاريخ الخميس ج٢ ص٧٥ والطبقات الكبرى لابن سعد ج٢ ص١٣٢ وعن عيون الأثر ج٢ ص١٧٣ وتاج العروس ج٥ ص١٢٥.

(٣) تاريخ الخميس ج٢ ص٧٥ عن ابن العراقي في شرح التقريب.

(٤) راجع: سبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٧٩ وعن عيون الأثر ج٢ ص١٧٤ و ١٧٥ وعن فتح الباري ج٨ ص٦١.

وعلى كل حال، فقد قالوا: بعث رسول الله «صلى الله عليه وآله» أبا عبيدة بن الجراح في سرية فيها المهاجرون والأنصار، وهم ثلاثمائة رجل إلى ساحل البحر، إلى حي من جهينة، فأصابهم جوع شديد، فأمر أبو عبيدة بالزاد فجمع حتى إنهم كانوا ليقتسمون التمرة.

فقيل لجابر: فما يغني ثلث تمرة.

قال: لقد وجدوا فقدها.

قال: ولم تكن معهم حمولة. إنما كانوا على أقدامهم، وأباعر يحملون عليها زادهم. فأكلوا الخبط، حتى إن شدق أحدهم بمنزلة مشفر البعير العضة.

فمكثنا على ذلك حتى قال قائلهم: لو لقينا عدواً ما كان بنا من حركة إليه. لما بالناس من الجهد.

فقال قيس بن سعد: من يشتري مني تمراً بجزر. يوفيني الجزر ههنا، وأوفيه التمر بالمدينة؟

فجعل عمر يقول: واعجباه لهذا الغلام، لا مال له، يدَّان في مال غيره.

فوجد رجلاً من جهينة، فقال قيس بن سعد: بعني جزراً وأوفيك سقة من تمر بالمدينة.

قال الجهني: والله ما أعرفك. ومن أنت.

قال: أنا قيس بن سعد بن عبادة بن دليم.

قال الجهني: ما أعرفني بنسبك. أما إن بيني وبين سعد خلة، سيد أهل يثرب.

فابتاع منهم خمس جزر، كل جزور بوسقين من تمر. يشرط عليه البدوي تمر ذخيرة مصلبة من تمر آل دليم.

قال: يقول قيس: نعم.

قال الجهني: فأشهد لي.

فأشهد له نفراً من الأنصار، ومعهم نفر من المهاجرين.

قال قيس: أشهد من تحب.

فكان فيمن أشهد عمر بن الخطاب، فقال عمر: لا أشهد! هذا يدان ولا مال له. إنما المال لأبيه.

قال الجهني: والله، ما كان سعد ليخني بابنه في سقةٍ من تمر! وأرى وجهاً حسناً، وفعالاً شريفاً.

فكان بين عمر وبين قيس كلام حتى أغلظ له قيس الكلام.

وأخذ قيس الجزر فنحرها لهم في مواطن ثلاثة. كل يوم جزوراً. فلما كان اليوم الرابع نهاه أميره وقال: تريد أن تخفر ذمتك ولا مال لك؟

وقال الواقدي: حدثني محمد بن يحيى بن سهل، عن أبيه، عن رافع بن خديج، قال: أقبل أبو عبيدة بن الجراح ومعه عمر بن الخطاب، فقال: عزمت عليك ألا تنحر؛ أتريد أن تخفر ذمتك ولا مال لك؟

فقال قيس: يا أبا عبيدة، أترى أبا ثابت وهو يقضي دين الناس، ويحمل الكل، ويطعم في المجاعة، لا يقضي سقة من تمر لِقومٍ مجاهدين في سبيل الله!

فكاد أبو عبيدة أن يلين له، ويتركه حتى جعل عمر يقول: اعزم عليه! فعزم عليه، فأبى عليه أن ينحر.

فبقيت جزوران معه، حتى وجد القوم الحوت، فقدم بهما قيس المدينة ظهراً يتعاقبون عليها.

وبلغ سعد ما كان أصاب القوم من المجاعة، فقال: إن يكن قيس كما

أعرفه فسوف ينحر للقوم.

فلما قدم قيس لقيه سعد، فقال: ما صنعت في مجاعة القوم حيث أصابهم؟

قال: نحرت.

قال: أصبت، انحر.

قال: ثم ماذا؟

قال: ثم نحرت.

قال: أصبت، انحر.

قال: ثم ماذا؟

قال: ثم نحرت.

قال: أصبت، انحر.

قال: ثم ماذا؟

قال: نهيت.

قال: ومن نهاك؟

قال: أبو عبيدة بن الجراح أميري.

قال: ولم.

قال: زعم أنه لا مال لي، وإنما المال لأبيك.

فقلت: أبي يقضي عن الأباعد، ويحمل الكل، ويطعم في المجاعة، ولا يصنع هذا بي.

قال: فلك أربع حوائط.

قال: وكتب له بذلك كتاباً.

قال: وأتى بالكتاب إلى أبي عبيدة، فشهد فيه، وأتى عمر فأبى أن يشهد

فيه ـ وأدنى حائط منها يجذ خمسين وسقاً. وقدم البدوي مع قيس فأوفاه سقته، وحمله، وكساه.

فبلغ النبي «صلى الله عليه وآله» فعل قيس، فقال: إنه في بيت جود[1].

ثم روى الواقدي عن جابر بن عبد الله: أن البحر ألقى لهم حوتاً مثل الظرب، فأكل الجيش منه اثنتي عشرة ليلة، ثم أمر أبو عبيدة بضلع من أضلاعه فنصب، ثم أمر براحلة فرحلت، ثم مر تحتها فلم يصبها[2].

حدثني ابن أبي ذئب، عن أبيه، عن جابر بن عبد الله، قال: إن كان الرجل ليجلس في وقب عينه، وإن كان الراكب ليمر بين ضلعين من أضلاعه على راحلته.

حدثني عبد الله بن الحجازي، عن عمر بن عثمان بن شجاع، قال: لما قدم الأعرابي على سعد بن عبادة، قال: يا أبا ثابت! والله، ما مثل ابنك صنعت، ولا تركت بغير مال؛ فابنك سيد من سادات قومه، نهاني الأمير أن أبيعه.

قلت: لم؟

قال: لا مال له! فلما انتسبت إليك عرفته، فتقدمت لما عرفت أنك تسمو على معالي الأخلاق وجسيمها، وأنك غير مذم بمن لا معرفة له لديك.

---

(١) راجع: سبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٧٧ ـ ١٧٨ وعن عيون الأثر ج٢ ص١٧٤ و ١٧٥ وعن فتح الباري ج٨ ص٦٢ وتاريخ مدينة دمشق ج٩٤ ص٤١٢ ـ ٤١٥ وسير اعلام النبلاء ج٣ ص١٠٥ و ١٠٦.

(٢) راجع: مسند ابن الجعد ص٣٨٧ وصحيح ابن حبان ج٢ ص٦٥ ورياض الصالحين للنووي ص٢٨١ وعن نصب الراية ج٦ ص٧٠ وعن مسند أحمد ج٣ ص٣٠٦ وعن صحيح مسلم ج٦ ص٦١.

قال: فأعطى ابنه يومئذ أموالاً عظاماً[1].

رصد عير قريش لا يصح:

ونقول:

قد ذكروا: أنه «صلى الله عليه وآله» أرسل أبا عبيدة بن الجراح في ثلاث مائة رجل إلى حي من جهينة في ساحل البحر.

وقيل: ليرصدوا عيراً لقريش.

قال الحلبي: «وعليه فتكون هذه السرية قبل الهدنة الواقعة في الحديبية، لما تقدم أنه «صلى الله عليه وآله» لم يكن يرصد عيراً لقريش إلى الفتح.

وتعدد سرية الخبط بعيد، فلا يقال: يجوز أن تكون سرية الخبط مرتين: مرة قبل الهدنة، ومرة بعدها. ومن ثم حكم على هذا القول: بأنه وهم الخ..»[2].

ونضيف إلى ذلك: أن رصد العير، إن كان لأجل مهاجمتها وأخذها، كان ذلك نقضاً للهدنة، ولا يقدم النبي «صلى الله عليه وآله» على ذلك أبداً.

وإن كان لمجرد الاستعلام عن مسيرها، وعن حالاتها، فيرد سؤال عن الفائدة في الحصول على هذه المعلومات.

وسؤال آخر عن سبب تجهيز ثلاث مائة رجل لمجرد مهمة رصد،

---

(١) المغازي للواقدي ص٧٧٤ ـ ٧٧٧ وراجع: السيرة الحلبية ج٣ ص١٩٢ و ١٩٣ وراجع: سبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٧٨ وتاريخ مدينة دمشق (ط دار الكتب العلمية) ج٥٢ ص٢٧٠.

(٢) السيرة الحلبية ج٣ ص١٩١.

يكفي فيها أقل من عشر هذا العدد.

وسؤال ثالث يفرض نفسه هنا، عن سبب امتداد إقامةثلاث مائة شخص ما يقارب الشهرين في تلك المنطقة النائية.

وسؤال رابع عن سبب قصور أزوادهم عن أن تكفيهم في هذه المدة التي يحتاجون إليها لتحقيق مراد رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وإنجاز المهمة الموكلة إليهم..

ثم أن نسأل أخيراً.. إذا كانت المهمة قتالية، لمن كان في ساحل البحر من جهينة، فإن كانوا قد أنجزوها فور وصولهم، فلماذا لم يرجعوا إلى بلادهم مباشرة؟

ولماذا امتدت إقامتهم إلى حين نفذت أزوادهم حتى أكلوا الخبط؟ ثم إلى حين أكلوا شهراً من تلك الدابة البحرية.

وإن كانت تلك المهمة لم تنجز، ولم يباشروا القتال الذي أمروا بمباشرته، فلابد أن نسأل عن سبب ذلك.

على أن الأغرب من ذلك كله.. أن سرية تمتد تحتاج إلى حوالي شهرين لإنجاز مهمتها، وفيها ثلاث مائة مقاتل، لا يذكر لنا التاريخ أي شيء عما جرى لها، وعن أي شيء من إنجازاتها..

فلا ندري هل حققت نصراً، أم منيت بهزيمة.. وإن كانت قد ظفرت بالعدو، فكم قتلت منهم؟ وكم أسرت؟ وما هي الغنائم التي حصلت عليها؟

وإذا كان ثلاثة أشخاص، أو أربعة عشر شخصاً أو نحو ذلك يحققون الإنجازات الكثيرة في سرايا أخرى، فلماذا لم يستطع هذا العدد الكبير هنا تحقيق أي شيء رغم هذه الكثرة؟!

هدف السرية:

وروي عن جابر أنه قال: إن سبب بعث هذه السرية هو «طلب عير لقريش، وترصدها. فأقمنا على الساحل حتى فني زادنا، وأكلنا الخبط حتى تقرحت أشداقنا، ثم إن البحر ألقى إلينا دابة، يقال لها: العنبر، فأكلنا منها نصف شهر حتى صحت أجسامنا»(١).

ونقول:

إننا لا ندري ما معنى أن يرسل «صلى الله عليه وآله» ثلاث مائة رجل في طلب عير لقريش مع أنه يكفي لأخذ العير ما هو أقل من هذا العدد بكثير..

إلا إذا فرض: أن قريشاً كانت تجهز مئات المقاتلين لحماية قوافلها الاقتصادية.

وإن كان المطلوب كما صرحت به الرواية هو مجرد ترصد تلك البعير، وليس المطلوب القتال فإن هذا العدد الكبير لا يناسب حالة الترصد والاستطلاع، لأنه عدد لا يمكن إخفاؤه لمدة طويلة.. بل هو سوف يطير خبره في كل اتجاه، وسوف يتحاشى الناس من الاقتراب منه.. وفرض توزعهم في الشعاب والجبال ليقوموا بمهمة الرصد، لا يمنع من افتضاح أمرهم مع طول المدة التي تحتاجها مهمة الرصد هذه.. إلا إن كان الهدف

---

(١) تاريخ الخميس ج٢ ص٧٥ وراجع: مسند الحميدي ج٢ ص٥٢١ و ٥٢٢ وصحيح ابن حبان ج١٢ ص٦٣ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٥٢٢ وعن البداية والنهاية ج٤ ص٣١٥ وعن صحيح البخاري ج٦ ص٢٣٣ وعن صحيح مسلم ج٦ ص٦١ و ٦٢.

من هذه السرية هو الضغط على قريش من الناحية النفسية، وإيجاد حالة من الخشية والترقب، وعدم الاستقرار لديها..

على أن من غير المعقول: في سرية بهذا الحجم، وتحتاج في إنجاز مهمتها إلى وقت طويل، أن لا تحمل معها من القوت ما يكفيها طيلة إقامتها إلا أن يكون اعتمادها على الغارة والسلب، وهذا ما لا يقرهم عليه دينهم وخُلقهم، ولا يقبله وجدانهم ولا يرضاه منهم رسول الله «صلى الله عليه وآله» كما أشرنا إليه أكثر من مرة.

عقلاء.. أم حساد؟!:

إن سعد بن عبادة كان رئيس الخزرج، وكان من بيت شرف وأريحية وإباء.. وكان قيس نفسه معروفاً بالجود والكرم أيضاً..

ولسنا نشك في أن سعداً لا يخذل ولده في موقف كهذا، بل هو يسر ويفتخر ويتباهى به. وقد قال ذلك الرجل ـ بائع التمر ـ نفسه: والله، ما كان سعد ليخني بابنه في سقة من تمر.

ولكن اللافت: هو هذا الموقف الحاد الذي اتخذه عمر بن الخطاب، الذي كان يكفيه أن يسدي النصيحة لقيس فيما بينه وبينه. وأما تقبيح عمله على رؤوس الأشهاد، ثم التشكيك بوفاء أبيه له، فلا يرضاه أحد لاسيما وانه يستبطن انتقاصاً من سعد ومن قيس على حد سواء..

ولا نريد أن نفسح المجال لخيالنا ليلاحق دوافع هذا الموقف الحاد، فنفترض تارة أن الهدف هو صلاح قيس، وحفظ أموال سعد عن الإهدار والتبذير..

ثم نناقش في ذلك: بأن هذا ليس من التبذير ولا الإهدار، بل هو مال تحفظ به النفوس، وتصان به الأرواح. وإن لم تسخَ به نفس سعد بن عبادة، ولم يف بذمة ولده، فلا شك في أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» نفسه هو الذي سيتولى هذا الوفاء، ولو من بيت مال المسلمين.

وسيكون «صلى الله عليه وآله» شاكراً لقيس، مغتبطاً بما صنع، لأنه حفظ جيش المسلمين من الضياع، وإبعاد الأذى والمتاعب عنه، حتى لو كانت في أدنى حالاتها أمر محبوب ومطلوب لله تعالى، ولرسوله، ولكل عاقل أريب..

وقد كنا نتوقع أن يبادر عمر نفسه، أو أمير السرية والمسؤول عن حفظها ـ وهو أبو عبيدة ـ إلى نفس ما فعله قيس. ولكن الأمور سارت على عكس ما توقعناه، فهما لم يفعلا شيئاً، كما أنهما قد اتفقا على منع غيرهما من فعل أي شيء من ذلك.

وقد زاد الطين بلة، أن عمر بن الخطاب أبى أن يشهد ليس فقط لم يشهد على صفقة قيس مع ذلك الأعرابي على الجزائر التي أخذها ليطعم الجيش، وإنما هو لم يشهد حتى على الكتاب الذي كتبه سعد لولده بالحوائط الأربع، مكافأة له على ما فعل حسبما تقدم.

فهل كان ذلك من حسد اعترى هذا، أو ذاك، أو كليهما؟ أم كان قصر نظر، وعجز عن إدراك هذا الأمر الظاهر البداهة؟ أم أنهم لا يريدون لقيس المعروف بولائه لعلي «عليه السلام» أن يذكر بفضيلة أو مكرمة؟

لا ندري ولعل الفطن الذكي يدري.

عدد الجزائر:

قال البخاري: نحر لهم تسع جزائر، كل يوم ثلاثاً[1].

وقيل: نحر لهم ستة جزائر، كل يوم ثلاثاً ثم نهاه أبو عبيدة[2].

لكن الحلبي يقول: بل نحر ثلاث جزائر، ثم أيد ذلك بما تقدم عن الواقدي، من أنه بقي معه جزوران قدم بهما إلى المدينة.

ونقول:

لا ندري كيف أيد القول بأنه نحر لهم ثلاث جزائر من قولهم: إنه بقي

---

(١) تاريخ الخميس ج٢ ص٧٥ والسيرة الحلبية ج٣ ص١٩٢ و (ط دار الفكر) ج٣ ص٢٠١ وراجع: المصنف للصنعاني ج٤ ص٥٠٨ ومسند الحميدي ج٢ ص٥٢٢ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٥٢٢ وسبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٧٧ والسنن الكبرى للبيهقي (ط دار الفكر) ج١٤ ص١٥٠ وصحيح البخاري (ط دار إحياء التراث العربي) ج٨ ص٤٠٧ وعن صحيح مسلم (ط دار الكتب العلمية) ج١٣ ص٧٤ (٤٩٥٦) وسنن النسائي ج٧ ص٢٧٣ والسنن الكبرى للنسائي (ط دار الكتب العلمية) ج٣ ص١٦٤واللؤلؤ والمرجان ج١ ص٦٢٠ وفتح الباري (ط دار الفكر) ج٨ ص٤٠٧ وشرح الزرقاني ج٤ ص٢٩٦ وعمدة القاري ج١٨ ص١٣ والبداية والنهاية (ط مكتبة المعارف) ج٢ ص٢٧٦ وزاد المعاد ج١ ص١١٤٢

(٢) راجع: البحار ج٢١ ص٦٤ عن الكازروني في المنتقى في مولد المصطفى وراجع: وصحيح البخاري (ط دار إحياء التراث العربي) ج١١ ص٣٩ وفتح الباري (ط دار الفكر) ج١١ ص٣٨ وسبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٧٧ والسنن الكبرى للبيهقي (ط دار الفكر) ج١٤ ص١٥٦ وعمدة القاري ج٢١ ص١٠٤ وتاريخ مدينة دمشق ج٥٢ ص٢٧٠.

معه جزوران.. فلماذا لا ينحر لهم تسعة، ويبقى معه جزوران، فإن المفروض هو: أنه أطعم الجيش ثلاثة أيام..

وإذا كان عدد الجيش ثلاث مائة رجل، فمن المعلوم: أن الجزور الواحد إنما يكفي مائة رجل.. كما ظهر في غزوة بدر، حيث كشف النبي «صلى الله عليه وآله» عدد جيش المشركين من ذبحهم يوماً تسعاً، ويوماً عشراً، فكان الجيش ما بين تسع مائة إلى ألف.. فهل أطعم قيس في كل يوم مائة رجل فقط، وأبقى مائتين بلا طعام؟!

مبالغات لا مبرر لها:

وقد أفاضوا ما شاءت لهم قرائحهم في وصف دابة العنبر، وبيان ضخامتها، وعظم خلقتها حتى قالوا: «فرفع لنا على ساحل البحر كهيئة الكثيب الضخم، فأتيناه، فإذا هو دابة تدعى العنبر، فأقمنا عليها شهراً، ونحن ثلاثمائة حتى سمنَّا.

ولقد رأيتنا نغترف من وقب عينيه بالقلال الدهن، ونقتطع منه القدر كالثور.

ولقد أخذ منا أبو عبيدة ثلاثة عشر رجلاً فأقعدهم في وقب عينها، وأخذ ضلعاً من أضلاعه فأقامها، ثم رحل أعظم بعير معنا، ثم ركبه أطول رجل منا (وهو قيس بن سعد) فجاز من تحتها، وتزودنا من لحمه الوسائق.

فلما قدمنا المدينة أتينا رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فذكرنا ذلك له فقال: هو رزق أخرجه الله تعالى لكم.

فهل معكم من لحمه شيء فتطعمونا؟

فأرسلنا إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» منه فأكله»[1].

ونقول:

إننا نشك في كثير مما ذكروه هنا.. وذلك لما يلي:

هل للعنبر فلس؟!

إن أول سؤال يرد على الأذهان هو:

هل صحيح أن لحم هذه الدابة العظيمة مما يحل أكله؟! من حيث أن لها فلساً يكون علامة على ذلك، أو ليس لها فلس، فتكون حراماً. كما هو مذهب أهل الحق..

مقدار وقب عينها:

ثم إن هناك تناقضات حتى في مبالغاتهم، فبينما يظهر من بعضها أن شخصاًواحداً قد جلس في وقب عينها نجد نصاً آخر يقول: إن أبا عبيدة قد أجلس في وقب عينها، ثلاثة عشر رجلاً!!

فأي ذلك هو الصحيح؟!

---

(١) راجع: السيرة الحلبية ج٣ ص١٩٢ و ١٩٣ والمحلى ج٧ ص٣٩٥ وعن مسند أحمد ج٣ ص٣١٢ وعن صحيح مسلم ج٦ ص٦١ وسنن أبي داود ج٢ ص٢١٦ وشرح مسلم للنووي ج١٢ ص٨٦ ومسند ابن الجعد ص٣٨٧ ورياض الصالحين للنووي ص٢٨١ والجامع لأحكام القرآن ج٦ ص٣١٩ وعن تفسير القرآن العظيم ج٢ ص١٠٥.

الأعجوبة التي لم يهتم لها أحد!!

إن هذه الدابة إذا كانت بهذا الوصف فهي أعجوبة الدهر، فلماذا لم يقصدها الناس للتفرج على حجم أضلاعها من جميع البلاد؟ ولماذا لم يحتفظ أحد منهم بوقب عينها؟! أو بضلع من أضلاعها، ليفاخر به؟!

لا نظير لهذه الدابة في المحيطات:

وإذا كان هذا هو حجم وقب عينها، وارتفاع أضلاعها، فإن طولها لابد أن يكون مئة متر، أو أكثر بكثير. فهل وجد في محيطات هذا العالم حيوان بهذا الحجم؟!

إنهم يقولون: إن أكبر حيوان بحري يعرف في العالم كله، لا يزيد طوله على ثلاثة وثلاثين متراً، ولعل هناك من يحتمل أن يصل طول واحد منها إلى أربعين متراً..

مع أن وقب عين الدابة التي يتحدث هؤلاء عنها يبلغ مساحة غرفة طولها ثلاثة أمتار بعرض ثلاثة، أو أقل بقليل، فإذا أضفنا إلى ذلك مساحة العين الأخرى، ثم المساحة الواقعة بينهما..

فإن مساحة وجه تلك الدابة، ستكون ما بين عشرة أمتار إلى خمسة عشر متراً على أقل تقدير.. فما بالك بطول هذه الدابة التي عبرت عنها الروايات بالكثيب الضخم..

هل هذا ميتة؟!

وفي حين يقولون: إنهم حين وجدوا الدابة التي تدعى العنبر، قال أبو

عبيدة: ميتة.

ثم قال: اضطررتم إليها، فكلوا، فأقمنا عليها شهراً ونحن ثلاث مائة حتى سمنا»[1].

ثم يقولون في مناقضة ذلك: «فلما قدمنا المدينة، ذكرنا ذلك لرسول الله «صلى الله عليه وآله» أمر العنبر، فقال: أخرجه الله تعالى لكم، لعل معكم من لحمه شيء فتطعمونا؟!.

فأرسلنا إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» منه فأكله.

أي ولم يكن أروح، بدليل أنه «صلى الله عليه وآله»، قال: لو نعلم أننا ندركه لم يروح لأحببنا لو كان عندنا منه.

قال ذلك ازدياداً منه»[2].

فكيف يكون ميتة أولاً، ولم يحل لهم إلا لأنهم اضطروا إليه، ثم يطلب النبي «صلى الله عليه وآله» أن يأتوه منه بشيء، ثم يأكله وهو لم يكن مضطراً

---

(١) السيرة الحلبية ج٣ ص١٩٢ ومسند ابن الجعد ص٣٨٧ والجامع لأحكام القرآن ج٢ ص٢٢٨ والمحلى ج٧ ص٣٩٥ ونيل الأوطار ج٩ ص٢٧ وعن مسند أحمد ج٣ ص٣١١ وعن صحيح مسلم ج٦ ص٦١ والسنن الكبرى ج٩ ص٢٥١ وشرح مسلم للنووي ج١٣ ص٨٥ وعن فتح الباري ج٩ ص٥٠٨ وصحيح ابن حبان ج١٢ ص٦٥ ورياض الصالحين للنووي ص٢٨١ وعن نصب الراية ج٦ ص٧٠ والفصول من الأصول للجصاص ج٤ ص٤١ وعن البداية والنهاية ج٤ ص٣١٥ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٥٢٢.

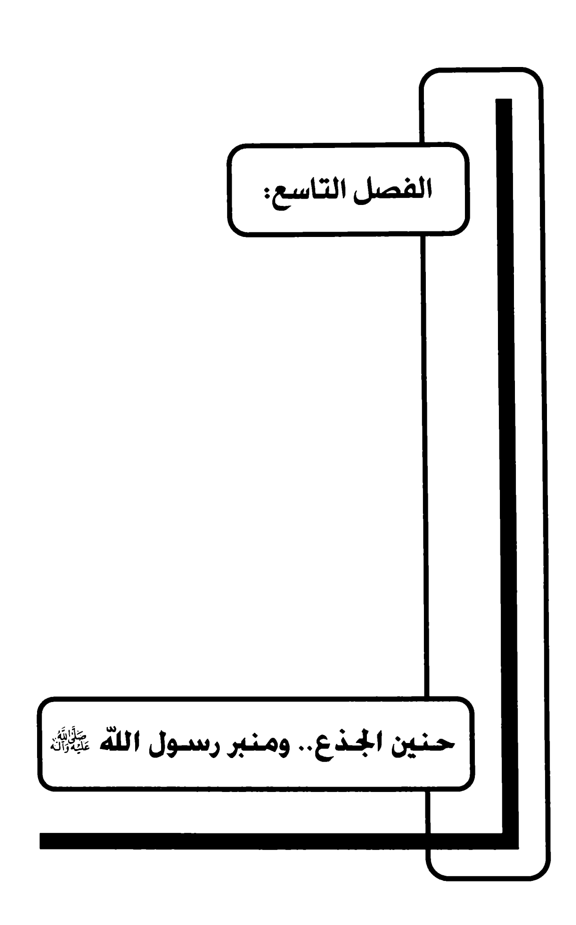
(٢) السيرة الحلبية ج٣ ص١٩٣ وراجع: سبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٨ وعن فتح الباري ج٨ ص٦٥.

إليه؟!

إن لم يكن أروح:

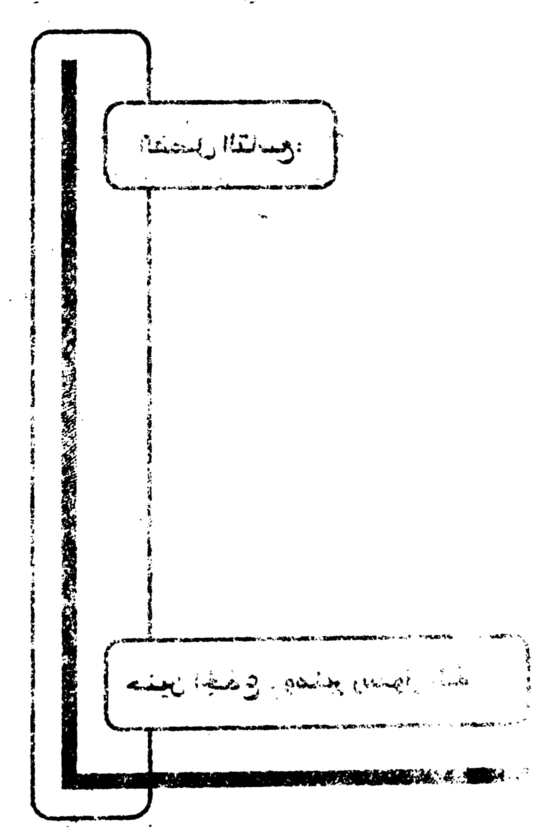
وأما الحديث عن الرائحة، فلست أدري ما أقول فيه!! وكيف يمكن أن يبقى هذا اللحم طيلة ما يقرب من أربعين يوماً، وفي بلاد الحجاز بالذات، التي تمتاز بارتفاع درجات الحرارة فيها، ثم لا تظهر له رائحة كريهة، ولا يعرض عليه ما يوجب التحفظ من الاستفادة منه في الطعام؟!

على أن كلمة رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «لو نعلم: أننا ندركه لم يروح لأحببنا الخ..» تشير إلى أنه «صلى الله عليه وآله» كان يتوقع فيه ذلك، وأن القضية في ذلك لا تخضع للمعجزة والكرامة، والتصرف الإلهي، بل هي جارية وفق السنن والأوضاع الطبيعية، فلا مجال لأي ادعاء في غير هذا السياق.



الفصل التاسع:

حنين الجذع.. ومنبر رسول الله ﷺ



إتخاذ المنبر:

وزعموا: أن المنبر قد اتخذ لرسول الله «صلى الله عليه وآله» في سنة ثمان من الهجرة، فصار «صلى الله عليه وآله» يخطب عليه وكان قبل ذلك إذا خطب يقوم ويستند إلى أحد جذوع النخل التي كانت في المسجد، لأنه «صلى الله عليه وآله» قد بنى مسجده مسقوفاً على جذوع النخل.

وقد اختلفوا في كثير من الأمور التي يرتبط بهذا الأمر، مما يمكن أن يعطي صورة غير مرضية عن مدى الخلل في رسمهم لصورة كثير من الوقائع والأحداث، ثم هو يشير إلى مدى الجهد الذي ينبغي أن يبذل للتعرف على الصورة الحقيقية، أو المقاربة لها في كل ملامحها، وسماتها، كبيرة كانت، أو صغيرة، وكمثال على ذلك نشير إلى الاختلافات التالية:

١ ـ هل صنع المنبر في السنة السابعة، أو الثامنة، أو التاسعة.

٢ ـ هل صنع المنبر من أثل (شجر)، أو من طرفاء.

٣ ـ وهل صنعه (باقوم) باني الكعبة لقريش، أو باقوم، أو ميمون، أو رجل رومي، أو صباح، غلام العباس، أو كلاب غلامه، أو مينا، غلام امرأة أنصارية، اسمها: غلاثة.

٤ ـ وهل هو درجتان ومجلس، كما عن الواقدي.. أو هو ثلاث مراقي،

أو أربع.

٥ ـ وهل الذي اقترح على رسول الله «صلى الله عليه وآله» صنع المنبر امرأة أنصارية اسمها عائشة أو علاثة، فعمله غلامها باقوم الرومي. أو أن رجلاً سأله «صلى الله عليه وآله» عن ذلك فأجابه إليه[1].

ونحن نذكر هنا بعض الروايات التي تضمنت شيئاً مما تقدم.

قال الصالحي الشامي:

«وفيها: اتخذ المنبر وحنين الجذع، وهو أول منبر عمل في الإسلام، كما جزم به ابن النجار وغير واحد.

قال الحافظ: وفيه نظر، لما ورد في حديث الإفك في الصحيحين عن عائشة، قالت: فثار الأوس والخزرج حتى كادوا أن يقتتلوا، ورسول الله «صلى الله عليه وآله» على المنبر، فنزل يخفضهم حتى سكنوا.

فإن حمل على التجوز في ذكر المنبر وإلا فهو أصح مما مضى»[2].

---

(١) راجع هذه الاختلافات في: تاريخ الخميس ج٢ ص٦٨ و ٦٩ والبحار ج٢١ ص٤٧ عن المنتقى للكازروني. وراجع: المصنف للصنعاني ج٧ ص٤٣٣ وتاريخ مدينة دمشق ج٤ ص٣٩٣ وسبل الهدى والرشاد ج١٢ ص٦٩ وعن مسند أحمد ج٣ ص٣٠٠ وعن صحيح البخاري ج١ ص١١٦ وج٣ ص١٤ و (ط دار الكتب العلمية) ج٢ ص١١٤ وج٥ ص٤٣ وشرح مسلم للنووي ج٥ ص٣٤ و (ط دار الفكر) ج٥ ص٢٨ وعن المصنف لابن أبي شيبة ج٧ ص٤٣٣ وسير أعلام النبلاء ج١٢ ص٢٣٨ وعن البداية والنهاية ج٦ ص١٤٠ وعمدة القاري ج٤ ص١٠١ و ٢١٠ وج١١ ص٢١٢.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج١٢ ص٦٩.

لكننا قدمنا في الجزء الثالث عشر من هذا الكتاب: أن حديث الإفك موهون جداً، وقد تواردت عليه العلل والأسقام من كل جانب ومكان. فلا يصح الإعتماد عليه في رد ما عداه.

هذا.. وقد روي عن سهل بن سعد: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» أرسل إلى علاثة، امرأة قد سماها سهل: أن مري غلامك النجار أن يعمل لي أعواد المنبر أجلس عليهن إذا كلمت الناس، فأمرته، فعملها من طرفاء الغابة.

وفي رواية: فعمل هذه الثلاث درجات، ثم جاء بها، فأرسلته إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فأمر بها فوضعت ها هنا[1].

وعن أُبي بن كعب قال: كان رسول الله «صلى الله عليه وآله» يصلي إلى جذع إذ كان المسجد عريشاً، وكان يخطب إلى ذلك الجذع، فقال رجل من أصحابه: يا رسول الله، هل لك أن تجعل لك منبراً تقوم عليه يوم الجمعة، حتى يراك وتسمع الناس خطبتك؟

قال: نعم، فصنع له ثلاث درجات، هي التي أعلى المنبر، فلما صنع وضعه رسول الله «صلى الله عليه وآله» موضعه الذي هو فيه، فكان إذا بدأ الرسول «صلى الله عليه وآله» أن يخطب عليه تجاوز الجذع الذي كان يخطب إليه أولاً.

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٨ ص١٨٢ و ١٨٣ وج١٢ ص٦٩ عن البخاري، ومسلم، والبيهقي وراجع: صحيح مسلم ج٢ ص٧٤ والسنن الكبرى للبيهقي ج٣ ص١٩٥ وشرح مسلم للنووي ج٥ ص٣٤ والطبقات الكبرى لابن سعد ج١ ص٢٥٢ .

ثم إن الجذع خار حتى تصدَّع وانشق، فنزل رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فلما سمع صوت الجذع مسحه بيده حتى سكن، ثم رجع إلى المنبر، وكان إذا صلى صلى إليه.

فلما هدم المسجد أخذ ذلك الجذع أُبي بن كعب، فكان عنده حتى بلي [فأكلته الأرض وعاد رفاتاً][1].

وروي عن أنس أنه قال: كان رسول الله «صلى الله عليه وآله» يوم الجمعة يسند ظهره إلى جذع منصوب في المسجد، فخطب الناس، فجاءه رومي، فقال: ألا أصنع لك شيئاً تقعد عليه كأنك قائم، فصنع له منبراً له درجان ومقعد على الثالثة، فما قعد رسول الله «صلى الله عليه وآله» على المنبر خار الجذع[2].

وقد تقدم في حديث الإفك: أن بعض الروايات قد صرحت: بأن تميم

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج١٢ ص٦٩، عن الشافعي، وأحمد، وابن ماجة، وراجع: مستدرك سفينة البحار جج٢ ص٤٢ وعن مسند أحمد ج٥ ص١٣٧ وسنن الدارمي ج١ ص١٨ وفتح الباري (ط دار المعرف) ج٦ ص٤٤٤ و (ط دار الكتب العلمية) ج٧ ص٢٧٧ والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج٦ ص١٣٨ و (ط مكتبة المعارف) ج٣ ص١٢٥ وعن دلائل النبوة للبيهقي ج٦ ص٦٧ وعن سنن ابن ماجة في إقامة الصلاة ح١٤١٤ وعمدة القاري (ط دار الفكر) ج١٦ ص١١٧ .

(٢) سبل الهدى والرشاد ج١٢ ص٦٩ وراجع: سنن الدارمي ج١ ص١٩ وصحيح ابن خزيمة ج٣ ص١٤٠ والبحار ج١٧ ص١٧٠ وعن البداية والنهاية ج٦ ص١٣٩ وقصص الأنبياء للراوندي ص٣١١.

الداري هو الذي صنع المنبر.

وبعضها يقول: إن غلاماً للعباس اسمه كلاب هو الذي صنع المنبر.

وفي نص آخر: أن غلام العباس الذي صنع المنبر اسمه صباح..

وبملاحظة هذه الروايات كلها يتضح مدى التلاعب والتصرف الذي نال هذه القضية، التي قد لا يخطر على بال أحدٍ أن تكون مسرحاً للأهواء، وأن يخبط فيها الرواة خبط عشواء. ولا نريد أن نقول أكثر من ذلك.

ونحن بدورنا لا نرى ضرورة لصرف العمر في تحقيق هذا الأمر، فنكتفي بالإشارة إلى ما يلي:

حنين الجذع:

ويقولون: إن الروايات قد تواترت في أن ذلك الجذع الذي كان يستند إليه رسول الله «صلى الله عليه وآله»، قد اضطرب، وسمع له حنين كحنين الناقة التي انتزع ولدها.

وقد روى هذا الحديث بضعة عشر صحابياً.

وفي رواية أنس: حتى ارتج المسجد لخواره، وكثر بكاء الناس لما رأوا به[1].

وفي رواية عن أُبي بن كعب: أنه تصدع وانشق حتى جاء النبي «صلى

---

(١) تاريخ الخميس ج٢ ص٦٩ وراجع في حنين الجذع: البحار ج١٧ ص٣٦٥ و ٣٢٦ و ٣٢٧ والخرائج الجرايح ج١ ص١٦٥ وعن الشفا بتعريف حقوق المصطفى ج١ ص٣٠٤ وعن عيون الأثر ج١ ص٢١٨ وسنن الدارمي ج١ ص١٩ وصحيح ابن خزيمة ج٣ ص١٤٠.

الله عليه وآله»، (فاحتضنه أو) فوضع يده عليه فسكن[1].

لكن في نص آخر: أن النبي «صلى الله عليه وآله» دعاه إليه، فجاء يخرق الأرض، ثم أمره فعاد إلى مكانه[2].

وفي رواية عنه «صلى الله عليه وآله» قال: هذا بكى لما فقد من الذكر[3].

---

(١) راجع: تاريخ الخميس ج٢ ص٦٩ والبحار ج١٧ ص٣٦٥ وج٢١ ص٤٧ والخرائج ج١ ص١٦٥ وكتاب المسند للشافعي ص٦٥ وعن مسند أحمد ج٥ ص١٣٧ و ١٣٨ وسنن الدارمي ج١ ص١٨ وسنن ابن ماجة ج١ ص٤٥٤ وكنز العمال ج١٢ ص٤١١ والطبقات الكبرى ج١ ص٢٥٢ وتاريخ مدينة دمشق ج٤ ص٢٩٢ وعن البداية والنهاية ج٦ ص١٣٨ وعن فتح الباري ج٦ ص٤٤٤ والشفا بتعريف حقوق المصطفى ج١ ص٣٠٤ وعن عيون الأثر ج١ ص٣١٨ ومصباح الزجاجة ج١ ص٢٥٢ وجامع الأحاديث والمراسيل ج١٨ ص٢٥٣ وعمدة القاري ج٦ ص٢١٤ وج١٦ ص١١٧ وسبل الهدى والرشاد ج٩ ص٣٩٤ وج١٢ ص٦٩ عن الشافعي، وأحمد، وابن ماجة.

(٢) راجع: تاريخ الخميس ج٢ ص٦٩ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج٢ ص٣٥٢ والشفا بتعريف حقوق المصطفى ج١ ص٣٠٤.

(٣) تاريخ الخميس ج٢ ص٦٩ والبحار ج٢١ ص٤٧ وعن مسند أحمد ج٣ ص٣٠٠ والمصنف لابن أبي شيبة ج٧ ص٤٣٣ وصحيح ابن خزيمة ج٣ ص١٤٠ وكنز العمال ج١١ ص٣٧١ وتاريخ مدينة دمشق ج٤ ص٣٩٣ وعن البداية والنهاية ج٦ ص١٤٠ وعن الشفا بتعريف حقوق المصطفى ج١ ص٣٠٤ وعن عيون الأثر ج١ ص٣١٨.

دفن الجذع:

وقالوا: فأمر به النبي «صلى الله عليه وآله» فدفن تحت المنبر[١].

ولكن روى الراوندي: أن الجذع بقي إلى أن هدم بنو أمية المسجد فقلعوا الجذع[٢].

وفي حديث أبي بن كعب: «فكان إذا صلى النبي «صلى الله عليه وآله» صلى إليه، فلما هدم المسجد وغيِّر أخذ أبي ذلك الجذع، وكان عنده في تلك الدار إلى أن بلي، وأكلته الأرضة (الأرض)، وعاد رفاتاً»[٣].

عبرة.. ومناسبة:

وفي رواية: أنه «صلى الله عليه وآله» قال: معاشر المسلمين، هذا الجذع

---

(١) راجع: تاريخ الخميس ج٢ ص٦٩ وعن الشفا بتعريف حقوق المصطفى ج١ ص٣٠٤ وعن عيون الأثر ج١ ص٣١٨.

(٢) البحار ج١٧ ص٣٦٥ عن الخرائج والجرائح ج١ ص١٦٥ ودرر الأخبار ص١٦٠.

(٣) تاريخ الخميس ج٢ ص٦٩ والبحار ج١٧ ص٣٨٠ وج٢١ ص٤٧ عن المنتقى للكازروني، ومناقب آل أبي طالب ج١ ص٨٠ ومستدرك سفينة البحار ج٢ ص٤٢ وكتاب المسند للشافعي ص٦٥ وعن مسند أحمد ج٥ ص١٣٧ و ١٣٨ وسنن الدارمي ج١ ص١٨ وسنن ابن ماجة ج١ ص٤٥٤ وعن فتح الباري ج٦ ص٤٤٤ والطبقات الكبرى لابن سعد ج١ ص٢٥٢ وتاريخ مدينة دمشق ج٤ ص٣٩٢ و ٣٩٣ وعن البداية والنهاية ج٦ ص١٣٨ وعن الشفا بتعريف حقوق المصطفى ج١ ص٣٠٤ وعن عيون الأثر ج١ ص٣٢٠ وسبل الهدى والرشاد ج١٢ ص٦٩ عن الشافعي، وأحمد، وابن ماجة.

يحن إلى رسول رب العالمين، ويحزن لبعده عنه.

ففي عباد الله الظالمين أنفسهم من لا يبالي: قرب من رسول الله أم بعد، ولولا أني احتضنت هذا الجذع، ومسحت يدي عليه، ما هدأ حنينه إلى يوم القيامة.

وإن من عباد الله وإمائه لمن يحن إلى محمد رسول الله، وإلى علي ولي الله، كحنين هذا الجذع، وحسب المؤمن أن يكون قلبه على موالاة محمد وعلي وآلهما الطيبين منطوياً.

أرأيتم شدة حنين هذا الجذع إلى محمد رسول الله؟ وكيف هدأ لما احتضنه محمد رسول الله، ومسح يده عليه؟

قالوا: بلى يا رسول الله.

قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: والذي بعثني بالحق نبياً، إن حنين خزَّان الجنان، وحور عينها، وسائر قصورها ومنازلها إلى من يوالى محمداً وعلياً وآلهما الطيبين، ويبرأ من أعدائهما لأشد من حنين هذا الجذع، الذي رأيتموه إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله».

وإن الذي يسكِّن حنينهم وأنينهم، ما يرد عليهم من صلاة أحدكم معاشر شيعتنا على محمد وآله الطيبين، أو صلاة نافلة، أو صوم، أو صدقة.

وإن من عظيم ما يسكن حنينهم إلى شيعة محمد وعلي، ما يتصل بهم من إحسانهم إلى إخوانهم المؤمنين، ومعونتهم لهم على دهرهم.

يقول أهل الجنان بعضهم لبعض: لا تستعجلوا صاحبكم، فما يبطئ عنكم إلا للزيادة في الدرجات العاليات في هذه الجنان، بإسداء المعروف إلى إخوانه المؤمنين.

وأعظم من ذلك مما يسكِّن حنين سكان الجنان وحورها إلى شيعتنا ما يعرِّفهم الله من صبر شيعتنا على التقية، واستعمالهم التورية، ليسلموا من كفرة عباد الله وفسقتهم، فحينئذ تقول خزان الجنان وحورها: لنصبرن على شوقنا إليهم كما يصبرون على سماع المكروه في ساداتهم وأئمتهم، وكما يتجرعون الغيظ، ويسكتون عن إظهار الحق لما يشاهدون من ظلم من لا يقدرون على دفع مضرته.

فعند ذلك يناديهم ربنا عز وجل: يا سكان جناتي، ويا خزّان رحمتي، ما لبخل أخرت عنكم أزواجكم وساداتكم، ولكن ليستكملوا نصيبهم من كرامتي، بمواساتهم إخوانهم المؤمنين، والأخذ بأيدي الملهوفين، والتنفيس عن المكروبين، وبالصبر على التقية من الفاسقين الكافرين، حتى إذا استكملوا أجزل كراماتي، نقلتهم إليكم على أسر الأحوال وأغبطها، فأبشروا.

فعند ذلك يسكن حنينهم وأنينهم[1].

التبرك بمنبر رسول الله ﷺ:

وفي حديث عن أبي عبد الله الصادق «عليه السلام» في بيان آداب زيارة النبي «صلى الله عليه وآله» قال: «فإذا فرغت من الدعاء عند القبر، فأت المنبر، وامسح بيدك، وخذ برمانتيه، وهما السفلاوات، وامسح عينيك، ووجهك به، فإنه يقال: إنه شفاء للعين.

وقم عنده فاحمد الله، واثني عليه، وسل حاجتك، فإن رسول الله «صلى

---

(١) البحار ج١٧ ص٣٢٧ و ٣٢٨ وج٦٢ ص٣٣ و ٣٤ وج٦٨ ص٣٣ ج٨ ص١٦٣ و ١٦٤ عن التفسير المنسوب للإمام العسكري «عليه السلام» ص١٨٨ ـ ١٩٠.

الله عليه وآله» قال: ما بين منبري وبيتي روضة من رياض الجنة، وإن منبري على ترعة من ترع الجنة، وقوائم المنبر رتب في الجنة».

والترعة: هي الباب الصغير[1].

وقد أشرنا أكثر من مرة إلى مشروعية التبرك والاستشفاء بآثار الأنبياء «عليهم السلام»، وأن ما يدَّعيه بعض الجهلة من حرمة ذلك، لا أساس له في دين الإسلام.

ويمكن مراجعة كتاب: «التبرك بآثار الأنبياء والصالحين» للعلامة الشيخ الأحمدي الميانجي «رحمه الله».. ففيه ما ينقع الغلة، ويشفي الغليل..

إنزل عن منبر أبي:

ومما يناسب ذكره هنا: موقف هام جداً للإمام الحسن «عليه السلام» في مقابل أبي بكر، حيث جاء إليه يوماً وهو يخطب على المنبر، فقال له: نزل عن منبر أبي.

فأجابه أبو بكر: صدقت. والله، إنه لمنبر أبيك، لا منبر أبي.

---

(١) البحار ج٩٧ ص١٥١ عن كامل الزيارات، وسفينة البحار ج٨ ص١٧٢ ومن لا يحضره الفقيه ج٢ ص٥٦٨ وتهذيب الأحكام ج٦ ص٧٧ والوسائل (ط مؤسسة آل البيت) ج١٤ ص٣٤٥ و (ط دار الإسلامية) ج١٠ ص٢٧٠ ومستدرك سفينة البحار ج٩ ص٥٢٧ والمزار لابن المشهدي ص٧٦ ومستدرك الوسائل ج١٠ ص١٩٥ ومنتقى الجمان ج٣ ص٤٦٥ والكافي ج٤ ص٥٥٣ وجواهر الكلام ج٢٠ ص٨٤ والحدائق الناضرة ج١٧ ص٤١٥ ومدارك الأحكام ج٨ ص٤٧١.

فبعث علي «عليه السلام» إلى أبي بكر: إنَّه غلام حدث، وإنَّا لم نأمره.

فقال أبو بكر: إنا لم نتهمك(١).

وليتأمل قوله «عليه السلام»: إنَّا لم نأمره، فإنه لا يتضمن إنكاراً على الإمام الحسن «عليه السلام»، ولا إدانة لموقفه.

ولقد صدق أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه؛ فلم يكن الإمام الحسن «عليه السلام» يحتاج إلى أمر، فلقد أدرك خطة الخصوم بما آتاه الله من فضله، وبإحساسه المرهف، وفكره الثاقب. وهو الذي عايش الأحداث عن كثب، بل كان في صميمها.

وإذن.. **فمن الطبيعي أن يدرك:** أن عليه مسؤولية العمل على إفشال تلك الخطة، وإبقاء حق أهل البيت «عليهم السلام» وقضيتهم على حيويتها

---

(١) راجع: تاريخ الخلفاء للسيوطي ص٨٠ و ١٤٣ وتاريخ بغداد ج١ ص١٤١ عن أبي نعيم وغيره، وأنساب الأشراف (بتحقيق المحمودي) ج٢ ص٢٦ و ٢٧ بسند صحيح عندهم، والصواعق المحرقة ص١٧٥ عن الدارقطني، والمناقب لابن شهراشوب ج٤ ص٤٠ عن فضائل السمعاني، وأبي السعادات، وتاريخ الخطيب، وسيرة الأئمة الاثني عشر ج١ ص٥٢٩ وإسعاف الراغبين (بهامش نور الأبصار) ص١٢٣ عن الدارقطني، وشرح النهج للمعتزلي ج٦ ص٤٢ و ٤٣ ومقتل الحسين للخوارزمي ج١ ص٩٣ وينابيع المودة ص٣٠٦ وحياة الصحابة ج٢ ص٤٩٤ عن الكنز، وأبي سعد، وأبي نعيم، والجابري في جزئه، والغدير ج٧ ص١٢٦ عن السيوطي، وعن الرياض النضرة ج١ ص١٣٩ وعن كنز العمال ج٣ ص١٣٢ وحياة الإمام الحسن «عليه السلام» للقرشي البحار ج١ ص٨٤ عن بعض من تقدم، والإتحاف بحب الأشراف ص ٢٣.

في ضمير ووجدان الأمة.

وكان علي وصي النبي «صلى الله عليه وآله» يحتاط للأمر، حتى لا تحدث تشنجات حادة، ليس من مصلحة القضية، ولا من مصلحة الإسلام المساهمة في حدوثها في تلك الظروف.

والإمام الحسين عليه السلام أيضاً:

ولا عجب إذا رأينا للإمام السبط الشهيد الحسين «عليه السلام» موقفاً مماثلاً تماماً لموقف أخيه مع الخليفة الثاني عمر بن الخطاب..

ونجد: أن عمر قد أخذه إلى بيته، وحاول تقريره: إن كان أبوه أمره بهذا، أو لا. فأجابه عن ذلك بالنفي.

وبعض الروايات تقول: إنه سأله عن ذلك في نفس ذلك الموقف أيضاً، فنفى ذلك، فقال عمر: منبر أبيك والله، وهل أنبت على رؤوسنا الشعر إلا أنتم[1].

---

(١) راجع: مقتل الحسين للخوارزمي ج١ ص١٤٥ والإصابة ج١ ص٣٣٣ وقال: سنده صحيح، وأمالي الطوسي ج٢ ص٣١٣ و ٣١٤ وإسعاف الراغبين (بهامش نور الأبصار) ص١٢٣ وحياة الصحابة ج٢ ص٤٩٥ عن كنز العمال ج٧ ص١٠٥ عن ابن كثير، وابن عساكر، وابن سعد، وابن راهويه، والخطيب، والصواعق المحرقة ص ١٧٥ عن ابن سعد وغيره، والإحتجاج للطبرسي ج٢ ص١٣ والمناقب لابن شهراشوب ج٤ ص٤٠ وتاريخ بغداد ج١ ص١٤١ وكشف الغمة للأربلي ج٢ ص٤٢ وحياة الحسن للقرشي ج١ ص٨٤ والإمام الحسن للعلايلي ص٣٠٥ عن الإصابة، وصححه، وينابيع المودة ص١٦٨ وتذكرة الخواص٢٣٥ وسيرة الأئمة =

فأبو بكر لم يكن يرى: أن اتهام أمير المؤمنين في قضية الإمام الحسن «عليه السلام» من صالحه..

أما عمر، الذي رأى أنه قد أصبح قوياً في الحكم، وقد تكرس الموقف لصالح غير أهل البيت «عليهم السلام» على الصعيد السياسي..

نعم، إن عمر هذا، يهتم بالتعرف على مصدر هذه الإرهاصات، ليعمل على القضاء عليها قبل فوات الأوان، ما دام يملك القدرة على ذلك بنظره.

لقد كانت مواقف الحسنين «عليهما السلام» هذه تعتبر تحدياً عميقاً للسلطة، في أدقِّ وأخطر قضية عملت هذه الجهة من أجل حسم الأمور فيها لصالحها، ورأت أنها قد وفقت في مقاصدها تلك إلى حدٍ بعيد.. فجاءت هذه المواقف لتهز من الأعماق ما كاد يعتبر، أو قد اعتبر بالفعل من الثوابت الراسخة.

والحسنان «عليهما السلام» هما ذانك الفرعان من دوحة الإمامة، وغرس الرسالة، اللذان يفهمان الظروف التي تحيط بهما، ويقيِّمانها التقييم الصحيح والسليم، ليتخذا مواقفهما على أساس أنها وظيفة شرعية، ومسؤولية إلهية.

= الاثني عشر للحسني ج٢ ص١٥ وكفاية الطالب ص٢٢٤ عن مسند أحمد، وابن سعد وتهذيب تاريخ ابن عساكر ج٤ ص٣٢٤ وتهذيب التهذيب ج٢ ص٣٤٦ وصححه، وفضائل الخمسة من الصحاح الستة ج٣ ص٣٦٩ وهامش أنساب الأشراف (بتحقيق المحمودي) ج٣ ص٢٧ عن تاريخ دمشق ج١٣ ص١٥ و ١١٠ بعدة أسانيد، وترجمة الإمام الحسين من تاريخ دمشق بتحقيق المحمودي ص١٤١ و ١٤٢ وفي هامشه عن ابن سعد ج ٨ في ترجمة الإمام الحسين وعن كنز العمال ج٧ ص١٠٥ عن ابن راهويه وغيره، والغدير ج٧ ص١٢٦ عن ابن عساكر.

أما التكليف الشرعي، والموقف الذي لأبيهما، فهو وإن كان في ظاهره يبدو هنا مختلفاً، إلا أنه ولا شك يخدم نفس الهدف، ويسير في نفس الاتجاه.

أول قود في الإسلام:

قالوا: وفي هذه السنة أقاد رسول الله «صلى الله عليه وآله» رجلاً من هذيل برجل من بني ليث، وهو أول قود كان في الإسلام[1].

ومن الواضح: أن هذا القود مهم جداً في توجه الناس نحو الانقياد لأحكام الشرع في أكثر الأمور حساسية وأهمية في حياتهم، وفقاً لقاعدة: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَاْ أُولِيْ الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[2]، وقاعدة: ﴿مَن قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً﴾[3].

فإن من الواضح: أن من يستحل قتل الناس، فإنه يكون قد تجاوز جميع الحدود، وأعفى نفسه من الالتزام بجميع الحقوق، وسمح لنفسه بهتك جميع الحرمات الإنسانية. فلا سبيل إلى عقد أي التزام مع إنسان من هذا القبيل، إذ لا يمكن الاطمينان إليه، بأن يفي بأي عهد أو عقد، أو أن يقف عند أية حرمة إنسانية..

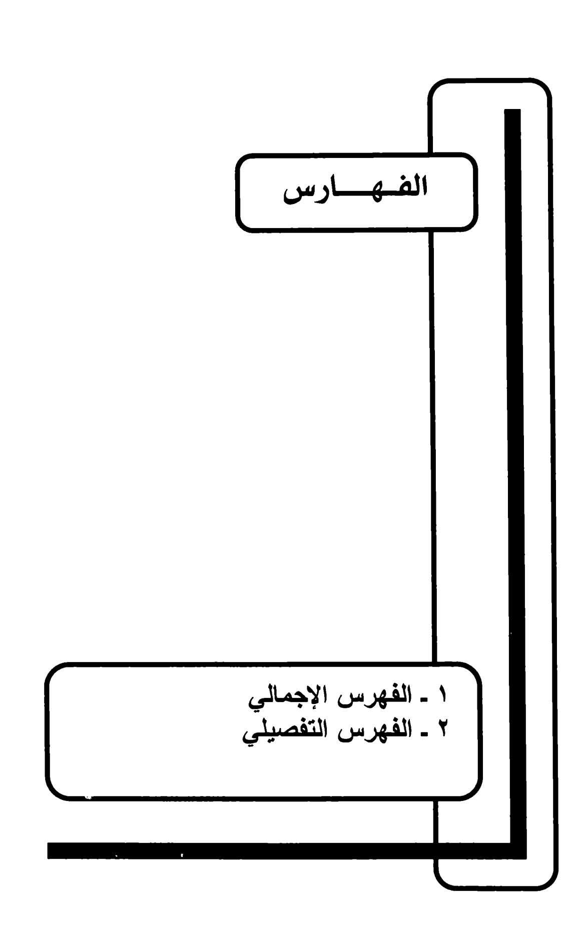
وعلى كل حال، فإن لهذا الموضوع جهات كثيرة من البحث، نسأل الله التوفيق للتعرض لها بالمعالجة في فرصة أخرى إن شاء الله تعالى..

---

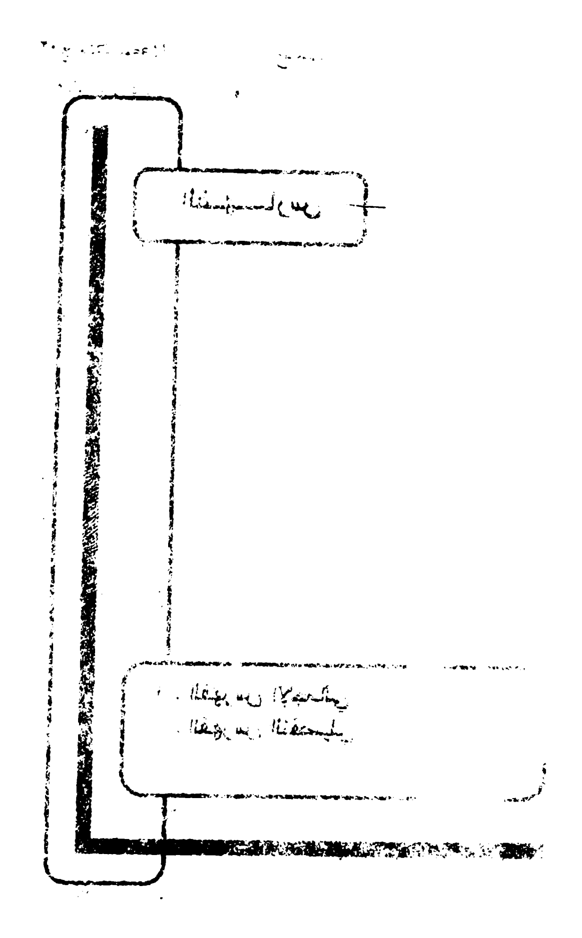
(١) تاريخ الخميس ج٢ ص٧٠ وعن أسد الغابة ج١ ص٢٣ وراجع: سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٣٨٢ وعن عيون الأثر ج٢ ص٣٥٨.

(٢) الآية ١٧٩ من سورة البقرة.

(٣) الآية ٣٢ من سورة المائدة.



الفهارس



١ ـ الفهرس الإجمالي

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] [illegible]

[illegible] [illegible]

[illegible] [illegible]

[illegible] [illegible]

[illegible]

[illegible] [illegible]

[illegible] [illegible]

٢ ـ الفهرس التفصيلي

الفصل الثاني: معركة مؤتة

الفصل الثالث: خالد يضيع النصر الأعظم

الفصل الخامس: صورة موهومة لسرية ذات السلاسل

الفصل السادس: الصورة الحقيقة لغزوة ذات السلاسل

الفصل السابع: رواية القمي توضح.. بل تصرح

الفصل التاسع: حنين الجذع.. ومنبر الرسول ﷺ

الفهارس: